المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم

جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

وكالة الجامعة للدارسات العليا

والبحث العلمي

عمادة الدراسات العليا

قسم اللغة العربية

Kingdom of Saudi Arabia

Ministry of Education

Princess Nourah bint Abdulrahman University

Graduate Studies and Scientific Research Vice-Rectorate

Deanship of Graduate Studies

عنوان البحث

الاستعارات التصورية عند الراغب الأصفهاني (ت:٥٠٢) في كتابه المفردات مقاربة عرفانية في الأركان الخمسة

إعداد الطالبة:

مها بنت دليم القحطاني

(طالبة دراسات عليا في قسم اللغة العربية)

الرقم الجامعي: ٤٣٦٠٠٨١٢٦

مقدمة إلى قسم اللغة العربية جزءًا من متطلبات الحصول على درجة الماجستير

في تخصص: اللسانيات "اللغة والنحو"

إشراف:

أ.د نوال بنت إبراهيم الحلوة

أستاذة علم اللغة بالقسم

١٤٣٩هـ-١٤٤٠هـ

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
Ministry Of Education
Princess Nourah bint Abdulrahman University
(048)
Graduate Studies and Scientific Research Vice-Rectorate
Deanship of Graduate Studies
نموذج (١٦/أ)

المَمْلَكَة العَرَبِيَّة السُّعُودِيَّة
وِزَارَة التَّعْلِيم
جَامِعَة الأَمِيرَة نُورَة بِنْت عَبْدُالرَّحْمَن
(٠٤٨)
وَكَالَة الجَامِعَة لِلدِّرَاسَاتِ العُلْيَا والبَحْثِ العِلْمِي
عِمَادَة الدِّرَاسَاتِ العُلْيَا

اعتماد نتيجة لجنة المناقشة والحكم

(ماجستيـــر)

نوقشت رسالة الطالبة : مها بنت دليم بن محمد القحطاني بتاريخ ١٨/ ١ / ١٤٤١هـ

وتكونت لجنة المناقشة والحكم من الأساتذة :

	الاسم	المرتبة العلمية /التخصص	الجهة	صفة العضوية	التوقيع
١.	أ. د. نوال بنت إبراهيم الحلوة	أستاذ/ علم اللغة	جامعة الأميرة نوره بنت عبدالرحمن	مشرف	
٢.	أ. د زكية محمد السانح	أستاذ /اللسانيات	جامعة الأميرة نوره بنت عبدالرحمن	عضواً	
٣.	.د. ناصر بن عبدالله الغالي	أستاذ مشارك /لسانيات	جامعة الملك سعود	عضواً	
٤.					
٥.					

قرار اللجنة منح الطالبة درجة الماجستير في

تخصص اللسانيات "اللغة والنحو" بتقدير ممتاز

تاريخ موافقة مجلس الكلية على المنح : / / ١٤هـ

وكيلة الكلية للدراسات العليا　　ختم الكلية　　عميدة الكلية

إهـــــداء

- إلى أبي الغالي.
- إلى والدتي فقيدتي الغائبة الحاضرة -رحمها الله-
- إلى زوجي العزيز وأطفالي الأحبة.
- إليكم عائلتي الكريمة.
- أساتذتي الأفاضل وكل من أسدى لي معروفًا وساندني.

ملخص البحث

يُعْنَى هذا البحث (الاستعارات التصورية عند الراغب الأصفهاني (ت:٥٠٢): مقاربة عرفانية في الأركان الخمسة) بدراسة الاستعارات التصورية المرتبطة بأركان الإسلام الخمسة، انطلاقًا من معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، فالقرآن الكريم، فالأحاديث النبوية. ويزعم هذا البحث أن الاستعارات التصورية أدت دورًا حاسما في القبول الواسع للدين الإسلامي، خاصة استعاراتي الحماية والمغفرة. فالإنسان الجاهلي كان محتاجا لبيت يأويه وشخص حليم يغفر طيشه وزلاته، الأمر الذي أتاح للمسلمين تصور الدين الإسلامي، من خلال أركانه، تصورا جديدا مخالفا لما كان سائدا في الحقبة السابقة لظهور الإسلام.

تُقَدِّمُ هذه الدراسة أيضًا خطوة أولى لدراسة اللغة الدينية انطلاقًا من منظور عرفاني باعتماد نظرية الاستعارة التصورية ونظرية المزج، مما يَعِدُ بالوصول إلى اكتشافات مهمة بخصوص إسهام الاستعارة في تشكيل الوقائع الدينية الجديدة.

كلمات مفاتيح: الاستعارة التصورية – المزج التصوري – أركان الإسلام – مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني – الدلالة العرفانية — الحماية – المغفرة.

Abstract

This research (The Conceptual Metaphors in the dictionary of the Quran's terms by Raghib Al-Asfahani: A cognitive Approach) investigates the conceptual metaphors related to the five pillars of Islam. This study is based, mainly, on the dictionary of the Quran's terms by Raghib Al-Asfahani, the Quran itself, and the Hadith consecutively. This research suggests that the two conceptual metaphors suggested implied in Islam's pillars, namely ISLAM is PROTECTION and ISLAM is FORGIVENESS have played a crucial role in the propagation of this religion. Indeed, these two metaphoric expressions reflect, along with other secondary similar metaphors, the concepts of protection and forgiveness. Man before Islam was in a dire need to a home he can resort to and someone all-forbearing to ignore his impulsiveness and sins. Unlike the era before the coming of Islam, these features were present in the Islamic discourse, especially in its five pillars, leading people to embrace it as a source of redemption. This research introduces a preliminary thought to a cognitive study of religious language using Conceptual Metaphor Theory and Blending Theory. Hopefully, this stream will lead to insightful accounts as to how metaphors contributed to the formation of new religious realities.

Keywords: Conceptual Metaphor Theory- Blending Theory- the pillars of Islam- Cognitive Semantics- protection-forgiveness

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١
إشكالية الدراسة وفرضيتها	٢
أسئلة الدراسة	٢
أهداف الدراسة	٣
الدراسات السابقة	٣
ملاحظة نقدية	٧
منهجية الدراسة	٨
مفاهيم البحث	٩
تبويب البحث	١١
الفصل الأول: اللسانيات العرفانية: مهاد نظري	١٣
تقديم	١٣
١- اللسانيات العرفانية	١٤
خاتمة الفصل	٤٨
الفصل الثاني: دراسة وصفية لمعجم: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني	٤٩
تقديم	٤٩
١- ترجمة الراغب الأصفهاني	٥٢
٢- التعريف بالمعجم	٥٥
٣-موضوع المعجم	٥٧
٤- منهج تأليف المعجم	٥٨
٥-مميزات المعجم	٦١
أنواع الدلالة في كتاب المفردات	٦٥
الفصل الثالث: استعارات أركان الإسلام في ضوء المقاربة العرفانية	٧٠
تقديم	٧٠
١- البعدًان الاجتماعي والديني لعرب ما قبل الإسلام	٧١
١-١- طبقات المجتمع وأخلاق العرب	٧٢
١-٢- التفكير الديني عند عرب ما قبل الإسلام	٧٥
٢- المعنى الموسوعي لمفردات أركان الإسلام	٨١
معاني أركان الإسلام	٨٣

الموضوع	الصفحة

٣- استعارات أركان الإسلام التصورية..... ٨٧
٤- استعارات أركان الإسلام: في ضوء التحليل العرفاني ٩١
٤-١- خطاطة صورة الحاوية ٩١
٤-٢- تصور الدين الإسلامي كبناية ٩٣
٤-٢-١- البناء من الدلالة المعجمية إلى الدلالة العرفانية ٩٣
٤-٢-٢- إطار البناء..... ٩٥
٤-٢-٣- فهم إطار الإسلام بواسطة إطار البناء ٩٦
٤-٢-٤- تفسير لاستعارة الإسلام بناية..... ١٠٠
٤-٣- استعارات الحماية..... ١٠١
٤-٣-١- استعارة: الشهادتان/الحج أداة لدخول الجنة ١٠٢
٤-٣-١-١- استعارة الشهادتان أداة لدخول الجنة..... ١٠٣
٤-٣-١-٢-استعارة الحج أداة لدخول الجنة..... ١٠٦
٤-٣-٢- استعارة الصلاة نور ١١٠
٤-٣-٣- استعارة الزكاة نمو..... ١١٥
٤-٣-٤- استعارة الصوم جُنَّةٌ..... ١١٦
٤-٤- استعارات المغفرة..... ١٢٠
٤-٤-١- استعارة الصلاة / الزكاة / الصوم محو للذنوب..... ١٢١
٤-٤-٢- استعارة الصلاة نهر ١٢٤
٤-٤-٣- استعارة الحج ولادة ١٢٦
خاتمة ١٢٨
أولاً: الخلاصات: ١٢٨
ثانيًا: التوصيات:..... ١٣١
لائحة المصادر والمراجع ١٣٢
قاموس المصطلحات..... ١٣٨

فـهـرس الـجـداول

جـدول رقـم	عـنوان الـجدول	الـصفحة
جدول (١):	إسقاطات الجزار على الجراح.....	٤٠
جدول (٢):	إسقاطات استعارة الإسلام بناية	٩٦
جدول (٣):	إسقاطات استعارة الشهادتان أداة لدخول الجنة	١٠٤
جدول (٤):	إسقاطات استعارة الصلاة نور.....	١١٣
جدول (٥):	إسقاطات استعارة الزكاة نمو فلو / فصيل	١١٦
جدول (٦):	إسقاطات استعارة الصلاة/الزكاة/الصوم محو للذنوب	١٢٣

فـهـرس الأشـكـال

شكل رقم	عنوان الشكل	الصفحة
شكل (١):	روابط العناصر عبر الدخلين	٤٢
شكل (٢):	إضافة الفضاء العام	٤٣
شكل (٣):	شبكة الدمج الأساسية	٤٤
شكل (٤):	شبكة مزج الجراح بوصفه جزارا	٤٥
شكل (٥):	رسم تخطيطي للاحتواء	٩٢
شكل (٦):	شبكة دمج الإسلام بناية	٩٧
شكل (٧):	دلالة لفظ الشهادة في معجم مفردات ألفاظ القرآن	١٠٣
شكل (٨):	شبكة مزج الحج أداة لدخول الجنة	١٠٧
شكل (٩):	شبكة مزج الصوم جُنَّة	١١٨
شكل (١٠):	خطاطة استعارة الحاوية المطبقة على الإسلام وأركانه	١٢٠
شكل (١١):	شبكة مزج الصلاة نهر	١٢٥
شكل (١٢):	شبكة مزج الحج ولادة	١٢٦
شكل (١٣):	خطاطة استعارة الحاوية المطبقة على الجسد	١٢٧

المقدمة

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

تولَّدَت فكرة هذا البحث من الدروس التي تلَقَّيْتُها في جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن؛ إذ لفت انتباهي مفهوم الاستعارة التصورية، الذي يندرج في مجالٍ لسانيٍّ جديدٍ هو 'اللسانيات العرفانية'. وقد توطدت علاقتي مع هذا التخصُّصِ بعد قراءة بعض الكتب والمقالات التي أمدّتني بها أستاذتي المشرفة الدكتورة نوال بنت إبراهيم الحلوة، وكُتُبٍ ومقالاتٍ أخرى وجدتها في المكتبات وشبكات الأنترنت. وقد لفتت انتباهي بعض الأفكار الجديدة التي تستحق الاهتمام، وأحسبها أساسَ اختيارِ هذا البحث؛ فمن هذه الأفكار ما قرأته بأنَّ "التصورات التي تتحكَّمُ في تفكيرنا ليست ذات طبيعة ثقافية صرف. فهي تتحكم أيضًا في سلوكاتنا اليومية البسيطة بكل تفاصيلها. فتصوراتنا تبني ما ندركه وتبني الطريقة التي نتعامل بواسطتها مع العالم، كما تبني كيفية ارتباطنا بالناس. وبهذا يلعب نسقنا التصوري دورًا مركزيًا في تحديد حقائقنا اليومية. وإذا كان صحيحًا أن نسقنا التصوري في جزء كبير منه ذو طبيعة استعارية، فإن كيفية تفكيرنا وتعاملنا وسلوكاتنا في كل يوم... ترتبط بشكل وثيق بالاستعارة"[(١)]. إن هذه الفكرة مركزية في هذا البحث، حيث إن تغيير السلوك يقتضي تغيير الاستعارات التصورية التي تَحْكُمُ هذا السلوك. ولذلك كان جوهر ما أتى به لايكوف وجونسون في نظريتهما عن الاستعارة التصورية هوَ أنَّ الاستعارةَ تُكَوِّنُ الفكرَ، وأن طبيعة الفكر استعارِيَّةٌ. ويقتضي هذا الأمرُ شيئين؛ فمن جهة يؤثرُ نظامُنَا التصوري في تجاربنا، وحتى نفهم تجاربنا علينا أن نفهم كيفية توظيفنا للاستعارات، ومن جهة أخرى تحدِّدُ الاستعارات بصورة كبيرة ما يعتبر واقعًا.

(١) جورج لايكوف ومارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة (٢٠٠٩):٢١، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.

إن إدراك أهمِّيَّةِ الاستعارة التصورية في تحديدِ الواقع وتغييرِه يُشَكِّلُ النقطة الأساسية التي جعلتي أهتم بهذا الموضوع. أما الفكرة الثانية التي حصلت لي عليها وأنا أقرأ بعض الدراسات عن الاستعارات التصورية فمفادُها أن استعمال الناس لاستعارات تصورية مختلفة يَسْمَحُ لهم بعيشِ ما هو دينِيٌّ بطرق مختلفة، وهي طرقٌ لم تكن متاحة قبل ترسُّخِ تلك الاستعارات التصورية في أذهانِ الناس. فترسّخ عندي العزم أن أفحصَ طُرُقَ تشكيل الاستعارات التصورية الدينية لوقائع جديدة لاختبار ما هو ديني في ثقافتنا العربية الإسلامية. ولما كان الأمر كذلك، فقد ارتأيتُ أن أدرس الوقائع الأساسية للدين الإسلامي إبان ظهور الإسلام وانتشاره، أي أثناء بعثة النبي مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام، فكان أن وجَدْتُ حديث أركان الإسلام الخمسة هو الجدير بالبحث والنظر، فهذه الأركان تشكِّلُ الأعمدة الأساسية للدين الإسلامي.

إشكالية الدراسة وفرضيتها:

يدرس هذا البحث الاستعارات التصورية، وبالضبط الاستعارات التصورية لأركان الإسلام الخمسة؛ أي الشهادتان والصلاة والزكاة والصوم والحج. وتوخى الإجابة عن السؤال التالي: كيف استطاع الدين الإسلامي الانتشار في بلاد العرب الوثنية خلافا للديانتين اليهودية والمسيحية؟ لقد انطلقتُ للإجابة عن إشكالية هذا البحث من فرضية مفادها أن "الاستعارات التصورية لأركان الإسلام الخمسة أدت دورًا حاسما في القبول الواسع للدين الإسلامي، خاصة استعارتي: الحماية والمغفرة، اللتين أقنعتا، بمعية الاستعارات الفرعية المعبرة عنهما، الإنسانَ الجاهلي بأن الإسلام بيتٌ يحميه وكيانٌ يغفر طيشه وزلاته.

أسئلة الدراسة:

تثير فرضية البحث مجموعة من الأسئلة، التي حاولنا الإجابة عنها، ومن هذه الأسئلة نذكر:

- كيف ترتبط اللغة بالذهن وبالثقافة؟

- كيف تغيّرُ الاستعاراتُ التصوريةُ أنماطَ التفكير والسلوك ويبني الناس المعنى من خلالها؟
- ما الاستعارات التصورية التي أتى بها الدين الإسلامي لإقناع عرب ما قبل الإسلام بأداء شعائر الدين الإسلامي والدخول في هذا الدين؟
- ما مظاهر العلاقة بين اللغة والفكر والتجربة الجسدية في معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني؟

أهداف الدراسة:

نسعى في هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

- إبراز التطور الحديث في دراسة اللغة من منظور عرفاني.
- قراءة الخطاب الديني في ضوء المقاربة العرفانية.
- الكشف عن آليات إقناع الخطاب الديني، انطلاقًا من الاستعارة التصورية.
- تحديد الدلالات والوظائف التي أدتها الاستعارات التصورية الدينية والمرتبطة بأركان الإسلام.
- إبراز وعي المعجميين العرب –أصحاب المعاجم المختصّة– بالأبعاد الذهنية للمفردات القرآنية.

الدراسات السابقة:

نقدم في هذا الصدد مجمل الدراسات العربية التي تناولت الاستعارات الدينية، ونرتبها زمنيا كالتالي:

- **كتاب دراسات في الاستعارة المفهومية. لمؤلفه عبد الله الحراصي، وهو من منشورات مؤسسة عمان للصحافة والأنباء والنشر والإعلان وصدر عام ٢٠٠٢.**

يهدف هذا الكتاب، من جهة، إلى تقديم الاستعارة التصورية للقراء العرب. ومن جهة أخرى يسعى إلى تطبيق نظرية الاستعارة التصورية على مجموعة من الخطابات العربية المختلفة: فكرية وفلسفية ودينية وسياسية

وأخلاقية. وهو ينقسم إلى خمسة فصول، الفصل الأول عُنِيَ بعرض نظري للاستعارة التصورية لدى لايكوف وجونسون. وفصول أربعة اهتم كل فصل فيها بدراسة خطاب عربي من حيث استعاراته التصورية المهيمنة عليه.

وما يهمنا من كتابه الفصل الثالث الذي درس فيه كتاب بذل المجهود في مخالفة النصارى واليهود للإمام نور الدين عبد الله بن حميد السالمي، ويتوقف الحراصي في تحليله لهذا الكتاب عند استعارتين إسلاميتين هما: الإسلام فضاء ذو حدود، والإسلام طريق مستقيم. وتُعَدُّ هاتان الاستعارتان إستراتيجيتين، لكونهما ترسمان تقابلًا بين مجموعتين اثنتين: المسلمون وغير المسلمين، فمن يقع في فضاء الإسلام وحدوده وطريقه فهو مسلم ومن لا يقع في فضائه وانحرف عن طريقه فهو غير مسلم(٢).

يقدمُ الكتاب قراءات نقدية شيقة للخُطَبِ العربية باستخدام نظرية الاستعارة التصورية وكذلك التحليل النقدي للخطاب. ولعله من الكتب العربية الأولى التي اهتمت بالاستعارة التصورية. غير أن اهتمام الباحث يختلف عن اهتمامي الذي أركز فيه على البعد الإقناعي للاستعارة الدينية، كما أنني أوظف نظرية المزج التصوري كآلية للتحليل وهو ما يفتح آفاقا للفهم المتعمق للاستعارات الدينية خلاف التصور الوصفي في كتاب الباحث.

- **كتاب الدراسات المجازية في القرآن: مقاربة عرفانية لبلاغة النص القرآني، لعفاف موقو من منشورات جامعة سوسة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عام ٢٠١٤.**

يعد هذا الكتاب، الذي هو في الأصل أطروحة دكتوراه، دراسة لسانية عرفانية دقيقة للتصورات الاستعارية في القرآن الكريم. سواء من خلال إسقاط المستوى القاعدي على إطار الدين (الدين تجارة، الدين رؤية، الدين سفر) أو من خلال إسقاط خطاطة الصورة على إطار الدين (الدين توازن، الدين فوق–تحت،

(٢) **ينظر**: عبد الله الحراصي، دراسات في الاستعارة المفهومية (٢٠٠٢): ٩٩–١٠٠، منشورات مؤسسة عمان للصحافة والأنباء والنشر والتوزيع.

الدين جزء-كل). وهدفت دراسة موقو إلى تحقيق غايتين اثنتين، فهي من جهة بيّنت أن الوجوه المجازية في القرآن نابعة من تصورات استعارية متحكمة فيها ومنتِجَةٍ لها، ومن جهة ثانية عدَّتْ التصورات المجازية مسهمةً في انسجام الخطاب القرآني[٣].

وقد جعلت الغايتان اللتان تحكمتا في دراسة موقو الباحثةَ تتوسل بنظرية الاستعارة التصورية ونظرية المزج التصوري في تحليل الاستعارات القرآنية، ثم باستعمال نظرية فان ديك في الانسجام[٤] من أجل توضيح إسهام الاستعارة في انسجام النص. والدراسة مهمة في هذا الجانب؛ إذ تبرز إسهام الاستعارات التصورية في انسجام النصوص. والقصد عند الباحثة يختلف عن قصدي وعن الإشكالية التي أنطلق منها؛ فغايتها تفسيرية لانسجام النص القرآني وغايتي تفسيرية لإحداث الاستعارة الدينية لتصورات إبداعية لها طابع إقناعي قويٌّ.

١. **في اللسانيات العرفانية**: مقاربة في الاستعارة المفهومية: 'ظاهرة التجسد والتشخيص في حقل المكان نموذجا' للدكتورة نوال بنت إبراهيم بن مُحَمَّد الحلوة. وهو منشور في مجلة صحيفة الألسن بالقاهرة، العدد ٣٩، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٣م.

يقدم هذا المقال نبذة تعريفية باللسانيات العرفانية وبنظرية الاستعارة التصورية باعتبارها مبحثا من مباحث فرع الدلالة العرفانية. ويختص هذا المقال بدراسة أنواع الاستعارات، فقد ركزت الباحثة في البداية على الاستعارات البنيوية (الجدول الأول)، ولا سيما استعارة الحياة رحلة، حيث يتصوَّرُ الإنسان حياته كرحلة في طريق، وهذه الطريق مليئة بالمنعرجات والحفر، إلخ. ثم انتقلت في دراسة الأفعال والصفات إلى دراسة النوعين

(٣) **ينظر**: عفاف موقو، الدراسات المجازية في القرآن: مقاربة عرفانية لبلاغة النص القرآني، (٢٠١٤): ٢٩ ، منشورات جامعة سوسة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

(٤) مهَّد فان ديك الطريق للمقاربة التداولية للانسجام بابتكاره لمفهوم البنيات الدلالية الكبرى التي تتجاوز البنية الدلالية للجملة. وقد ميز فيها بين ثلاثة مستويات: مستوى أصغر يتعلق بالروابط النصية التي تضمن اتساق النص، ثم مستوى أكبر يرتبط بموضوع الخطاب، ثم مستوى أعلى يتعلق بالبناء الذي يبنى عليه النص كأن يكون حجاجيا أو سرديا ...إلخ. (ينظر: عفاف موقو، ٢٠١٤: ٢٥٥-٣٥٦).

الآخرين من الاستعارة وهما الاستعارة الاتجاهية (الجدول الثاني) والاستعارة الأنطولوجية (الجدول الثاني، ولا سيما الجدول الثالث). حيث نجد الباحثة في الجدول الثاني ركزت على الاستعارات الاتجاهية، لكنها دمجت أيضًا خطاطة صورة الحاوية، التي تنتمي إلى الاستعارة الأنطولوجية، وفي الجدول الثالث ركزت على التشخيص، وهو مكون أساسي من مكونات الاستعارة الأنطولوجية. وقد اتبعت الباحثة في طريقة تحليلها منهجا طريفا يعتمد على إبراز المجالين: المصدر والهدف، وتحديد المكونات المرتبطة بالمجال المصدر من حيث المكوناتُ الساقطةُ والمكوناتُ الباقيةُ.

ومقال الدكتورة نوال الحلوة مهمٌّ من حيث كونه تأصيلا للسانيات العرفانية، وعلاقتها بباقي التخصصات المعرفية الأخرى، كما أنه دراسة تجريبية للاستعارات التصورية العربية، مع التركيز على البعد الجسدي في هذه الاستعارات. ويختلف بحثي عن مقال الباحثة من حيثُ التركيز (تركيزي على البعد الإقناعي وتركيز الباحثة على البعدِ الوصفي التصوري) ومن حيثُ المقاربة (اعتمادي على نظريتي الاستعارة التصورية والمزج التصوري واعتماد الباحثة على نظرية الاستعارة التصورية فقط).

٢. **الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية،** للدكتور عطية سليمان أحمد، دار النشر: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط: ١، ٢٠١٤.

يسلك الباحث في هذا الكتاب مسلكا تكامليا، ويتجلى هذا الأمر من وجهين: الوجه الأول، وهو الجمع في دراسة الاستعارة بين فكر القدماء العرب من البلاغيين، وبين الفكر الغربي المعاصر حول الاستعارة من التأويليين والعرفانيين. أما الوجه الثاني، فيرتبط بمنهجية تحليل الباحث التي جمع فيها بين مقاربات مختلفة تنتمي إلى التأويلية (بول ريكور) واللسانيات العرفانية (جورج لايكوف ومارك جونسون). وقد اتخذ الباحث متنا له كتاب تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي. واتبع في تحليله منهجيا متكاملا ينطلق فيه من

تفسير الآية القرآنية، فالبحث عن معاني كلماتها في المعاجم وكتب المشترك اللفظي، فتناول رأي الشريف الرضي في كتابه للاستعارة الموجودة في الآية، ثم تطبيق النظريات العرفانية الحديثة عليها؛ بالبدء بنظرية النموذج الشبكي، فنظرية البنية التصورية، فالنظرية العرفانية. والملاحظُ في عملية تحليله للاستعارات القرآنية مزجُهُ لهذه المقاربات من أجل كشف الغِنَى المعنوي للمفردات القرآنية، ولا سيما الاستعمال الاستعاري لها، والغايةُ المتحكمةُ في تحليله هي إبرازُ إعجاز القرآن الكريم.

والكتاب مهم من حيث كونه محاولة أولى لدراسة اللغة الدينية في بعدها الاستعاري. غير أن دمج الباحث لتصورات نظرية مختلفة جعلت بحثه غير عميق؛ إذ هو تجميع لما هو موجود في التفاسير دون بعدٍ تفسيري. وهو ما يجعل كتابه جمعًا بدل كونه تحليلاً.

ملاحظة نقدية:

إن الدراسات التي قدمنا قراءة لها تختلف عن بحثنا من حيث المادة التي نشتغل عليها، فنحن نشتغل بمعجم مفردات ألفاظ القرآن، والقرآن الكريم والأحاديث النبوية، وبعبارة أخرى على اللغة الدينية. ومن ناحية أخرى، لا نحصر اهتمامنا باستعارة وحيدة، بل نحن مهتمون بالاستعارات التصورية حول أركان الإسلام الخمسة؛ واختيارنا للأركان الإسلامية الخمسة نابع من إشكالية البحث التي انطلقنا منها، والتي تغيب عن الدراسات السابقة التي لا نجد فيها تبريرا لاختيار استعارة دون أخرى أو خطاب دون آخر. وهذا يوصلنا إلى الوعي بتأثير الاستعارة التصورية والرغبة في استكشاف تأثيرها. الأمر الأخير الذي يتميز به بحثنا عن البحوث التي سقناها أنه يتخذ بعدًا تفسيريًا غائبًا في الدراسات السابقة، التي لم تحاول أن تغوص في دلالات الاستعارات التصورية وارتباطها بالثقافة التي تُبْتَكَرُ فيها هذه الاستعارات، وهو أمر ندرك أنه يحتاج إلى تعزيز من دراسات تنهل من الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وعلم النفس، والدراسات المقارنة. لذلك كانت منهجية اشتغالنا التحليل بنظرية الاستعارة التصورية ثم التفسير في إطار الدراسات الدينية المقارنة.

هذا الأمر يقودنا إلى نقطة هامة في هذا البحث، وهو بعده العملي، لذلك فهو لم يتعمق كثيرا في الدراسة الدلالية والعرفانية للاستعارات التصورية كما قامت بذلك الباحثة عفاف موقو، بل كان يهدف إلى الاستفادة من نظرية الاستعارة التصورية لتطبيقها على الخطاب الديني بغية الوصول إلى تفسيرات لتأثير الاستعارات التصورية. إن عملنا يجمع بين تحليل الخطاب واللسانيات العرفانية.

منهجية الدراسة:

يتبع هذا البحث من حيث منهجية الدراسة مقاربة تقوم على ثلاث مراحل، وهي: جمع المدونات، وتحديد أمثلة الاستعارات في المدونة، ثم في النهاية تحليل الاستعارات وفق نظرية الاستعارة التصورية ونظرية المزج. ونعرض لهذه الخطوات كالتالي.

أولاً: جمع المدونة:

من أجل تحديد استعارات أركان الإسلام في الدين الإسلامي وتفسيرها، كان لزاما علينا الانطلاق من القرآن الكريم لرؤية المعاني التصورية التي ارتبطت بهذه الأركان. فاخترنا معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، بما أنه يقدم مخزونا لغويا يحدد بدقة المعاني الحقيقية والمجازية لألفاظ القرآن. وانطلقنا بعد ذلك إلى تقصي استعارات أركان الإسلام في القرآن نفسه، ثم في الأحاديث النبوية، وخاصة صحيحي البخاري ومسلم، وهما لكونهما أعلى كتب الحديث إسنادًا، وهو ما يتيح إمكانية الوقوف بالاستعارات التي استعان بها النبي ﷺ لإقناع العرب بالتصورات الدينية، وبصفة خاصة بأركان الإسلام الخمسة.

وقد أزلنا من الدراسة الكلمات والتعابير التي لا ترتبط بمتن الأحاديث، وركزنا بالخصوص على المتن في تصوره لتلك الأركان. ونظرًا لكون اعتماد برنامج حاسوبي لتحديد الاستعارات في مدونتنا هو أمر متعذر، فقد بحثنا عن الاستعارات التصورية وتعابيرها اللغوية بشكل يدوي.

ثانيًا: تحديد الاستعارات:

اعتمدت على حدسي –كوني متحدثة أصلية باللغة العربية–، بالإضافة إلى تحديد الاستعارات المعجم الذي انطلقت منه (مفردات الراغب) فهو يمتاز بتحديد المعاني الحقيقية والمجازية لمفردات القرآن الكريم.

ثالثًا: تحليل الاستعارات:

ينبني منهج تحليلنا للاستعارات التصورية المرتبطة بأركان الإسلام الخمسة على ثلاث خطوات: خطوة أولى نحدد فيها الاستعارات التي اخترنا تحليلها بناء على عملية التحديد السالفة الذكر، ثم خطوة ثانية نؤول فيها هذه الاستعارات وفق نظرية الاستعارة التصورية أو نظرية المزج التصوري. وخطوة ثالثة نفسر فيها هذه الاستعارات في ضوء بعض الخلاصات الاستدلالية التي سنحاول التوصل إليها بمقارنة الدين الإسلامي من حيث أركانُه بالشعائر نفسها في الديانتين اليهودية والنصرانية حتى يتبيَّنَ لنا اكتمال الدين الإسلامي وتميُّزُهُ في تصوير هذه الأركان(٥).

مفاهيم البحث:

يُعْنَى هذا البحث كما هو ظاهر من عنوانه بالاستعارات التصورية لأركان الإسلام الخمسة، وينطلق في دراسة هذه الأركان من معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني. وكما هو معلوم في الدراسات الدلالية العرفانية، ليست الكلمةُ سوى نقطة نفاذ إلى معرفة موسوعية تصورية مرتبطة بتجربة الإنسان الجسدية وأقدم ما يربطنا بأركان الإسلام هو القرآن الكريم والحديث النبوي.

(٥) أخذتُ منهج الاشتغال من جوناثان شارترز بلاك Jonathan Charteris-Black في كتابه (السياسيون والبلاغة: السلطة الإقناعية للاستعارة) Politicians and Rhetoric: The Persuasive Power of Metaphor، غير أنني أدخلتُ عليه بعد التعديلات حتى أكيفه مع ثقافتنا العربية الإسلامية، فلم ألتزم بتوجيهاته بقدر ما أخذت بعده الثلاثي القائم على التحديد فالتحليل فالتفسير.

بناء على هذا الأمر يقوم هذا البحث على ثلاثة مفاهيم أساسية هي: الاستعارة التصورية، وأركان الإسلام، والمعرفة الموسوعية، التي يعدُّ غريب القرآن أحد مصادرها.

وتعد الاستعارة التصورية فهمًا لمجالٍ معين (الحياة مثلا) انطلاقًا من مجالٍ آخر (الرحلة مثلا). ومعنى الفهم هنا يتحقَّقُ عبرَ رؤية مجموعة من التناسبات النسقية أو الإسقاطات بين المجالين. ويمكن التعبير عن الاستعارة التصورية من خلال الصيغ المنطقية، التي تأخذ شكلين هما: 'أ' هو 'ب' أو 'أ' كَ 'ب'. نحو: 'زيد أسد' أو 'زيد كالأسد'.

وأركان الإسلام الخمسة مصطلح إسلامي يُقْصَدُ به مجموعة من الشعائر الدينية التي يقوم عليها الإسلام، وهي: الشهادتان وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم شهر رمضان والحج إلى بيت الله الحرام. ويدل على هذه الأركان حديث "بني الإسلام على خمس". وقد انتبه النووي، رحمه الله، إلى أن "هذا الحديث أصل عظيم في الدين، وعليه اعتماده، وقد جمع أركانه"(٦).

أما المعرفة الموسوعية فهي تلك المعرفة المخزنة في أذهان الناس، التي يكتسبونها طوال حياتهم. وهكذا فمعرفة معنى كلمة معينة رهينٌ بمعرفة التصورات الذهنية عنها، التي تنتظم في شكل أُطُرٍ عرفانية. وقد شكل مبحث غريب القرآن مصدرًا لغويًا ثريًا لبناء المعرفة الموسوعية بلغة القرآن الكريم؛ لانشغاله بتفسير مفردات القرآن عبر إيراد مختلف استعمالاتها عند العرب. ومن ثمَّ فهو معرفة موسوعية لا غنى عنها لإدراك معاني لغة القرآن.

(٦) النووي، محيي الدين، المنهاج شرح النووي على صحيح مسلم بن الحجاج(١٩٩٤): ١٤٨/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

تبويب البحث:

رغبة منا في تحقيق أهداف هذا البحث والإجابة عن إشكاله المطروح في ضوء الإطار المنهجي الذي استقر عليه اختيارنا، تناولنا هذا البحث من خلال ثلاثة فصول، بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة، وبيان ذلك كالتالي:

تناولت المقدمة تمهيدا للبحث من خلال إبراز مجال اشتغاله وموضوعه وإشكاليته وفرضيته والدراسات السابقة، ومنهجية دراسته بالإضافة إلى مفاهيمه وتبويبه.

أما الفصل الأول، فخصصناه للجانب النظري في البحث، حيثُ عرضنا فيه بشكل موجز اللسانيات العرفانية، التي تشكل الإطار العام الذي نشتغل فيه، ثم الدلالة العرفانية، التي تعد هي الأخرى إطارًا أعم لدراسة بناء المعنى، منتقلين بعد ذلك إلى نظريات دراسة بناء المعنى (الإطار الخاص)، مبتدئين بنظرية الاستعارة التصورية ومثنين بنظرية المزج (الإطار الأخص).

في حين قمنا في الفصل الثاني بتقديم قراءة وصفية لمعجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، بغية التعرف على طريقة بنائِهِ وغايات تأليفه، ومميزات منهجه في الشرح والتفسير.

أما الفصل الثالث فانصرفنا فيه إلى دراسة الاستعارة التصورية في أركان الإسلام الخمسة. وبما أن هذه الاستعارات ارتبطت بالأساس بالأحاديث النبوية وبخطاطة صورة الحاوية، فقد خصصنا محورا للحديث عن الحياة الاجتماعية والدينية لعرب ما قبل الإسلام، مركزة على أسباب تفرق المجتمع الجاهلي وعدم تأثير اليهودية والمسيحية والحنيفية في الوثنية الجاهلية، ثم خصصتُ محورا آخر لتحديد المعاني الموسوعية لمفردات أركان الإسلام، ومنه انطلقتُ إلى تحديد استعارات أركان الإسلام في الأحاديث النبوية في الصحيحين، ثم حددتُ خطاطة صورة الحاوية بما أنها تؤطر استعارت أركان الإسلام. بعد ذلك حللتُ استعارات أركان الإسلام من خلال عنوانين فرعيين هما: استعارات الحماية واستعارات المغفرة، وذلك في ضوء نظريتي الاستعارة التصورية ونظرية المزج.

وعرضتُ في الخاتمة الاستنتاجات التي انتهيتُ إليها، والآفاق التي فتحها البحث أمامي، بالإضافة إلى التوصيات التي استخلصتها من رحلته.

ولا أنكر أنني وجدتُ صعوبات جمة أثناء إنجاز هذا البحث؛ إذ إن الاطلاع على ما أنتجه الباحثون في ميدان الاستعارة التصورية واللسانيات العرفانية يتطلب الكثير من الوقت، والقراءة المتأنية، لاستيعاب ما كتب حول هذين الحقلين المعرفيين، وهو ما لم تتحه لي المدة الزمنية المخصصة لكتابة هذا البحث. وقد منعتني هذه الصعوبة من سد بعض الفراغات والتصدي لبعض الإشكالات والقضايا التي كان يثيرها البحث.

وفي خاتمة هذه المقدمة، أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل الأساتذة الذين كانوا نبراسا أنار لي الطريق في مشواري الدراسي، فلهم من الله حسن الجزاء، وأخص بالشكر هنا الدكتورة نوال بنت إبراهيم الحلوة، مزجية لها خالص شكري، وامتناني على حسن إشرافها وسديد تقويمها، فجهدها وتعهدها لا ينهض بهما شكر ولن يوفيهما ثناء، فجزاها الله أحسن الجزاء، وأمد لها في عمرها، وأبقاها ذخرا للعلم وعونا لأهله. والشكر موصول لكل من أسهم بكبيرة أو صغيرة في اكتمال بناء هذا البحث واستوائه على سوقه، وأخص منهم بالذكر، الأستاذ مُحَمَّد غاليم، الذي راجع مسودة هذا البحث وشجعني كثيرا كما أمدني بمراجع كثيرة أغنت البحث. والأستاذ مُحَمَّد الصالح البوعمراني، الذي صحح هو الآخر مسودة البحث وأمدَّني بملاحظات قيِّمة أفادتني كثيرا. وأخيرا الأستاذ سعيد بكار الذي صحَّح هو الآخر مسودة البحث، وقدَّم لي ملاحظات منهجية حول البحث. فلهم جميعا شكري وتقديري.

الـشـق الـنـظـري

الفصل الأول: اللسانيات العرفانية: مهاد نظري

المبحث الأول: اللسانيات العرفانية

المبحث الثاني: الدلالة العرفانية

المبحث الثالث: النظريات والمقاربات الأساسية في الدلالة العرفانية

المحور الأول: نظرية الاستعارة التصورية

المحور الثاني: نظرية المزج التصوري

الفصل الثاني: دراسة وصفية لمعجم مفردات ألفظا القرآن للراغب الأصفهاني

الفصل الأول

اللسانيات العرفانية: مهاد نظري

الـفـصـل الأول
اللـسـانـيـات الـعـرفـانـيـة[١]: مـهـاد نـظـري

تقديم:

يسعى هذا الفصل إلى تأطير البحث نظريا للتصريح بأدوات اشتغالي وإبراز سبب اختياري الاشتغال بنموذج نظري دون آخر، علاوة على كونه يوضح المجال الذي أشتغل فيه ضمن مجال اللسانيات العرفانية بصفة عامة والدلالة العرفانية بصفة خاصة.

وأشير إلى أن النظرية الذي ارتأيتُ الاشتغال بها هي (نظرية الاستعارة التصورية) لمؤَسِّسَيْهَا جورج لايكوف ومارك جونسن، و(نظرية المزج) لمؤسسيها جيل فوكونيي ومارك تورنر. ولم تَأْتِ هاتان النظريتان من فراغ، بل هما نتيجة بحث متواصل في مبحث الدلالة بدأتهُ عالمة النفس العرفانية إلينور روش وزملاؤها فيما أسموه (نظرية الطراز)، ثم طوَّرَهُ جورج لايكوف في كتابه (النساء والنار وأشياء خطيرة) (١٩٨٧)، مُبْتَكِرًا نظرية (النماذج العرفانية المؤمثلة)، ثم (نظرية الاستعارات التصورية)، ودمج تورنر رفقة زميله فوكونيي (نظرية الاستعارة التصوري ب(نظرية الفضاءات الذهنية)، مما أدى إلى بروز (نظرية المزج)، التي تعدُّ أكثر قدرة على تفسير بعض الاستعارات من (نظرية الاستعارة التصورية). إن الغاية من هذا العرضِ النظري إذن هي: تحديد أداوت الاشتغال من جهة، وتبرير سبب اختيار نظريتي (الاستعارة التصورية) و(المزج التصوري) في دراسة موضوع أركان الإسلام الخمسة دون غيرهما.

وبغية الإيفاء بهذين المطلبين، سأقوم أولاً بعرض وصفي للسانيات العرفانية، التي تُشَكِّلُ الإطار العام الذي أشتغل من خلاله، ثم الدلالة العرفانية، التي تعد هي الأخرى إطارًا أعم لمجال اشتغالي، منتقلةً بعد ذلك إلى المقاربات التي سأعتمدها في تحليل استعارات أركان الإسلام، أي نظريتي (الاستعارة التصورية) و (نظرية المزج).

(١) نشير إلى أنه تم اعتماد مصطلح العرفانية في البحث، والمصطلحات الموجودة فيه من قبيل "عرفنة، معرفية، الإدراكية.." الدالة على نفس المصطلح (linguistics cognitive): هو تقيّد بما نقل عن الباحثين في الاقتباسات الواردة.

١- اللسانيات العرفانية:

تأتي كل نظرية لتجيب عن سؤال معين أو تنظر إلى ظاهرة مَا نظرةً مختلفة عن نظرية أخرى. ومن ثم تتحدَّدُ خُصُوصِيَّةُ النظريات في كونها تعارض نظريات سابقة لها. وكذلك هو تاريخ تطور العلوم بشتى أنواعها الإنسانية والاجتماعية فما بالنا بالعلوم المادية[١]. واللسانيات العرفانية التي أنا بصدد الحديث عنها هي محصَّلةُ لقاء بين النظرية العرفانية واللسانيات. وتعدُّ النظرية العرفانية: "جملة من العلوم تدرس اشتغال الذهن والذكاء دراسة أساسها تضافر الاختصاصات تساهم فيها الفلسفة وعلم النفس والذكاء الاصطناعي وعلوم الأعصاب (علوم الدماغ) واللسانيات والأنثروبولوجيا"[٢]. وما يهمني منها ارتباطها باللسانيات، وفي هذا الصدد يرى الباحث التونسي الأزهر الزناد أن علاقة اللسانيات بالعلوم العرفانية يمكن تناولها من زاويتين؛ فهناك زاوية إفادة اللسانيات من العلوم العرفنية، وهو ما يتجلى في تواتر جملة من المفاهيم المعتمدة في العلوم العرفنية في اللسانيات العرفانية كالخطاطة والتصوير الذهني والجشطلت والطراز... إلخ. وهناك زاوية إفادة العلوم العرفنية من اللسانيات من حيثُ الحقائق والنتائج التي تتوصل إليها اللسانيات العرفانية حول اشتغال الذهن البشري[٣]. وقد حدَّد لايكوف وجونسون هذه النتائج في النقط التالية[٤]:

- **الذهنُ متجسِّدٌ**: ومعنى ذلك أن طبيعة أجسادنا تؤثر في إدراكنا للعالم المحيط بنا ومن ثَمَّ في تأسيس بنيتنا التصورية. ومثال ذلك إدراكنا أننا لا نستطيع الخروج من كوَّةٍ صغيرة كما يفعل الغاز أو من فجوات كما يفعل النمل، وإدراكنا لهذين الأمرين ناتج أساسًا من تجربتنا الجسدية.

(١) **ينظر**: توماس كون، بنية الثورات العلمية، (١٩٩٢):٢٤، ترجمة شوقي جمال، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت.

(٢) الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، (٢٠١٠): ١٥، الدار العربية للعلوم ودار محمَّد علي للنشر ومنشورات الاختلاف.

(٣) **ينظر**: المصدر السابق: ٣٢.

(٤) **ينظر**: جورج لايكوف ومارك جونسون، الفلسفة في الجسد: الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي، (٢٠١٦): ٣٧، ترجمة عبدالمجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.

- **الفكر لا واع إلى حد كبير**: معنى هذا أن "نسقنا التصوري اللاواعي يعمل مثل 'يد خفية' تشكل كيفية بناء تصورات كل مظاهر تجربتنا"(١)، ويتضح هذا في صراعنا من أجل التحكم في ذواتنا أثناء كبح بعض تصرفاتنا التي قد لا تكون متلائمة مع بنية ثقافتنا ومجتمعنا من قبيل التَّبَاهِي أو التسلُّطِ.
- **التصورات المجردة استعارية بشكل كبير**: تشير هذه النتيجة إلى كون اللاوعي يتجلى في الاستعارة التصورية التي تحكم تصرفاتنا دون وعي منا، فاليد الخفية للذهن اللاواعي تستعمل "الاستعارة لتحديد ميتافيزيقانا اللاوعية"(٢).

يُستَشَفُّ من هذه النتائج أن دراسة الاستعارة التصورية تشكل مدخلا أساسيا لدراسة تصوراتنا الواعية واللاواعية التي تتحكم في سلوكاتنا اليومية. وهو ما يَعِدُ بالوصول إلى تَبَصُّرَاتٍ نافذةٍ حول دور الاستعارة- كوسيط للبنيات التصورية-في حياتنا اليومية.

ويشير هذا التضافر بين اللسانيات والعلوم العرفانية إلى خاصية حديثة تسم العلوم الإنسانية سمَّاها مُحَمَّد وحيدي (البَيْمَعْرِفِيَّةِ) وتشير إلى "التفاعل بين الحقول المعرفية الذي يمكن أن يمتد من تقاسم الأفكار إلى الإدماج المتبادل للمفاهيم والمصطلحات والمعطيات والإجراءات"(٣)، ولربما كانت هذه الخاصية هي التي جعلت النتائج التي وصلت إليها العلوم العرفانية، ومنها اللسانيات العرفانية جديرة بِتَحَدِّي الفكر الغربي كما يعبِّرُ عن ذلك عنوان كتاب لايكوف وجونسون الأخير (الفلسفة في الجسد: الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي).

(١) جورج لايكوف ومارك جونسون، الفلسفة في الجسد: الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي، (٢٠١٦): ٤٩.

(٢) **المصدر السابق**: ٤٩.

(٣) مُحَمَّد وحيدي، اللغة والمعرفة: قضايا البحث البيمعرفي: مقاربة أولية لأنموذج العلاقة بين اللسانيات وعلم المعرفة، (٢٠١٧): ٣٢٤، مجلة فصول العدد ١٠٠.

بناء على هذا الأمر سأحاول في هذا الفصل التعريف باللسانيات المعرفية بصورة عامة ثم أنتقل إلى الحديث عن الدلالة العرفانية بصفة خاصة ثم بعد ذلك أنتقل إلى عرض وصفي لنظريتين أساسيتين في الدلالة العرفانية هما: (نظرية الاستعارة التصورية) و(نظرية المزج التصوري) اللذين سأعتمدهما إطارًا تحليليًا لاستعارات أركان الإسلام.

١-١- السياق التاريخي لظهور اللسانيات العرفانية:

يعدُّ تحديدُ تاريخ ولادة نظرية معيَّنَةٍ صعبا في معظم الحالات، وعلى الرغم من كون اللسانيات العرفانية لسانياتٍ حديثةً نوعا ما إلا أن هناك إرهاصات عديدة لظهورها في أوربا وأمريكا[١]. ويستقصي الباحثان بريجيت نرليش وديفيد كلارك تاريخ بروز اللسانيات العرفانية، معتبرين أنهالَم تنشأ كليا من مصدر واحد ولم يكن لها زعيم مركزي أو التزامات شكلية متبلورة، مشيرين إلى أنه يمكن رصد بداية نشأتها في مجموعة من التواريخ لَعَلَّ أهمها [٢]:

- **١٩٧٥**: حيث شهدت هذه السنة أول استخدام لمصطلح اللسانيات العرفانية من قبل لايكوف.
- **١٩٧٩**: التقاء لايكوف بجونسون وبَدْءُ تعاونهما.
- **١٩٨٠**: صدور كتاب الاستعارات التي نحيا بها، الذي حرره جورج لايكوف ومارك جونسون. وهو ما يُشَكِّلُ بداية ازدهار الكتابة في اللسانيات العرفانية.

(١) **ينظر**: الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، (٢٠١٠): ٢٧.

(٢) **ينظر**: بريجيت نرليش وديفيد كلارك، اللسانيات الإدراكية وتاريخ اللسانيات، ترجمة حافظ إسماعيلي علوي، (٢٠١٧): ٢٧١-٢٧٤، مجلة انساق العدد الأول.

- **١٩٨٩**: تنظيم المؤتمر الدولي الأول في اللسانيات العرفانية في دويسبورغ في ألمانيا، وتأسيس (الجمعية الدولية للسانيات العرفانية) و(مجلة اللسانيات العرفانية)[١].
- **١٩٩٠**: صدور أول عدد من (مجلة اللسانيات العرفانية).

ويجمع الباحثون في اللسانيات العرفانية أن سنة ١٩٨٧ شكلت تاريخا مهما في نَشْأَةِ اللسانيات العرفانية؛ ومرد ذلك إلى كون هذه السنة ظهرت فيها ثلاثة كتب مُؤَسِّسَةٍ لهذه المقاربة، وهي:

- **كتاب جورج لايكوف**: (النساء، والنار، وأشياء خطيرة) Women, Fire and Dangerous Things
- **كتاب مارك جونسون**: (الجسد في الذهن) The Body in the Mind
- **كتاب رولاند لانگاكر**: (أُسُسُ النحو العرفاني) Foundations of Cognitive Grammar

ويميز الأزهر الزناد بين بين توجهين كبيرين في اللسانيات العرفانية: توجه أوربي وتوجه أمريكي. ويرى بغلبة التوجه الأمريكي كمًّا وكيفًا ويميِّزُ فيه بين قسمين كبيرين: القسم الأول يضم كل المقاربات التي تحمل اسم العرفانية في عناوينها والقسم الثاني يضمُّ البرنامج الأدنوي لتشومسكي الذي اهتم فيه بالعمليات العرفانية في النحو المضمر (الفردي) والكُلِّيِّ. ويشير التوجه الأمريكي إلى اهتمام القسم الأول بالدلالة واهتمام القسم الثاني بالنحو. وهذا أدى إلى قيام اللسانيات العرفانية على هذين الشقين، أي الدلالة والنحو[٢]. يقول الأزهر الزناد في هذا الصدد: "ولئن تعددت تواريخ المؤلفات وتباعدت فإن الدراسات تعود بنشأة اللسانيات العرفنية إلى ١٩٨٧ سَنَةَ صدر كل من كتاب لايكوف (١٩٨٧) ولانقاكر (١٩٨٧)، ومقال طالمي (١٩٨٨). وقد صاحب هذا التأسيس المعرفي العلمي بعثُ جمعية اللسانيات العرفنية العالمية (سنة ١٩٨٩) ومجلتها اللسانيات

(١) **ينظر**: المرجع السابق(٢٠١٧): ٢٧٤ والأزهر زناد، نظريات لسانية عرفنية،(٢٠١٠): ٣٠.

(٢) **ينظر**: الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، (٢٠١٠): ٢٨-٢٩.

العرفنية (سنة ١٩٩٠) وذلك بعد عقد تقريبا من بعث مجلة العلوم العرفنية (١٩٧٧) وتأسيس جمعية العلوم العرفنية بأمريكا (١٩٧٩). وبالإضافة إلى هؤلاء هناك الكثير من الأعلام الذين يسهم بعضهم في توسيع دائرة الدرس اللساني العرفني ويسهم بعضهم في ترسيخه بالتأليف التبسيطي في شكل دروس (تايلور ١٩٩٦، ٢٠٠٢). ومنذ ذلك الزمن ما انفكت جمعيات لسانية عرفنية محلية أو وطنية تتأسس في بلدان كثرة أغلبها أوروبي"[١].

وعلى الرغم من التنوع والتعدُّد الذي يسم اللسانيات العرفانية كاسم عام يشمل العديد من النظريات، إلا أن هناك مجموعة من الالتزامات والمبادئ الموجهة لعمل اللسانيات العرفانية. وهو ما سنوضحه فيما يأتي.

١-٢- مبادئ اللسانيات العرفانية: التزامان نقديان

يرى الأزهر الزناد أن من المبادئ الموجهة للدرس اللساني العرفاني الالتزام بأمرين هما: الالتزام بالتعميم والالتزام العرفني. ويشير الباحث إلى أن هذين المبدأين سطَّرَهُمَا لايكوف سنة ١٩٩٠ وتَبَلْوَرَا في كتابات عرفانية عديدة، أوردهما كالتالي:

١-١-٢- الالتزام بالتعميم:

يرى الزناد أن الالتزام بالتعميم يتمثل في استيعاب الدرس اللساني العرفاني جميع مظاهر النشاط اللغوي[٢].ويعني "الالتزام بتوصيف المبادئ العامة المسؤولة عن جميع جوانب اللغة البشرية"[٣]. وترفض اللسانيات العرفانية اعتبار اللغة قالبا مستقلا عن المظاهر غير اللغوية واعتبار اللغة قوالب من الصواتة والصرافة

(١) الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، (٢٠١٠): ٣٠.

(٢) **ينظر**: الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، (٢٠١٠): ٣٣.

(٣) فيفيان ايفانز وملاني غرين، طبيعة اللسانيات الإدراكية، ترجمة عبده العزيزي، (٢٠١٧): ٣٨، مجلة فصول العدد ١٠٠.

والتركيب والدلالة؛ فاللسانيات العرفانية ترفض هذه النظرة وتسعى إلى دراسة اللغة ككل بل ودراستها باعتبارها انعكاسا للتصورات الذهنية البشرية[١].

وهناك نتائج ملموسة للالتزام بالتعميم على دراسات اللغة؛ فهو أولاً يجعل اللسانيات العرفانية تركز على ما هو مشترك بين مظاهر اللغة عن طريق "توحيد النظام المعجمي مع النظام النحوي، وتوفير نظرية موحدة للتركيب النحوي والمعجمي"[٢]، ويسمح هذا الأمر بالنظر إلى اللغة على أنها مكونة من مجموعة من الطبقات المتمايزة من التنظيم.

١-٢-٢- الالتزام العرفاني:

يمثِّلُ الالتزام العرفاني وجهة النظر القائلة إنَّ "مبادئ البنية اللغوية يجبُ أن تعكس ما هو معروف عن الإدراك البشري من التخصصات الأخرى، ولا سيما العلوم الإدراكية الأخرى مثل (الفلسفة، وعلم النفس والذكاء الاصطناعي وعلم الأعصاب)"[٣]. وبعبارة أخرى يقتضي هذا الالتزام أن اللغة والتنظيم اللغوي ينبغي لهما أن يعكسا مبادئ عامة بدل عكس مبادئ خاصَّةٍ باللغة فقط. ويشير الأزهر الزناد إلى أن هذا الالتزام يندرج اندراجا طبيعيا في الالتزام بالتعميم؛ "إذ لا يستقيم تعميم في شأن اللغة ما لم يستقم من زاوية عرفنية عامة، ولذلك وجب أن تُرَاعَى طبيعة العرفنة وخصائصها في إقامة النظرية اللسانية فيلغى منها كل ما ليس ذا أرضية عرفنية"[٤].

(١) **ينظر**: المرجع السابق، (٢٠١٧): ٣٩.

(٢) فيفيان ايفانز وملاني غرين، طبيعة اللسانيات الإدراكية، (٢٠١٧): ٤٩.

(٣) المصدر السابق: ٥٠.

(٤) الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، (٢٠١٠): ٣٣.

١-٣- موضوع اللسانيات العرفانية واتجاهاتها:

تدرس اللسانيات العرفانية اللغة بطريقة تتفق مع ما هو معروف عن العقل البشري والنظر إليها بأنها انعكاس للعقل وكشفٌ له. وتنقسم إلى قسمين: الدلالة العرفانية وتدرس العلاقة بين التجربة والعرفانية المتجسّدة واللغة، والنحو العرفاني ويدرس الوحدات اللغوية الرمزية التي تتكون من اللغة(١).

وبما أن إطار اشتغالي هو الاستعارة التصورية؛ أي تمثيل المعرفة وبناء المعنى، فإني سأخصص المحور الموالي للحديث عن الدلالة العرفانية بوصفها شقا أساسيا في اللسانيات العرفانية وسندًا نظريًا ومنهجيًا لبحثي.

٢- الدلالة العرفانية:

يرى إيفانز وغرين أن الدلالة العرفانية نشأت بوصفها ردة فعل على النظرة الموضوعية لفهم العالم التي تَبَنَّاهَا التراث الفلسفي الإنجليزي والأمريكي في الفلسفة؛ أي ما دُعِيَ بدلالة شروط الصدق التي طُوِّرَتْ فيما بعد في الدلالة الشكلية، حيث تَنْزَعُ هذه الدلالةُ التنظيمَ العرفانيَّ من النظام اللغوي كما ذهبت إلى ذلك إيف سويتسر(٢).

إن الدلالة العرفانية-خلافا لهذه النظرة-تنظرُ إلى المعنى اللغوي بوصفه تجليا لبنية تصورية، وهو ما أكده ليونارد طالمي في ذهابه إلى أن "البحثَ في الدلالة العرفانية بحثٌ في المحتوى التصوري وتنظيمه في اللغة"(٣). ويشير الباحث التونسي مُحَمَّد الصالح البوعمراني إلى أن موضوع علم الدلالة العرفاني، أي المعنى، يقارب في هذه النظرية من أربعة مداخل على الأقل، **وهي:**

- مدخل يعتبر الدلالة العرفانية نظرية في المقُوَلَةِ أساسًا.

(١) **ينظر:** فيفيان إيفانز وملاني غرين، طبيعة اللسانيات الإدراكية، (٢٠١٧): ٥٧.

(٢) **ينظر:** فيفيان إيفانز وملاني غرين، ما هو علم اللغة الإدراكي؟ (٢٠١٧): ٧٩.

(٣) **المصدر السابق:** ٧٩.

- مدخل يعتبر الدلالة العرفانية نظرية في الفهم.
- مدخل يعتبر الدلالة العرفانية نظرية في الخيال.
- مدخل يعتبر الدلالة العرفانية نظرية في المعنى المتجسد[١].

وسأخصص المحور الفرعي الأول للحديث عن المبادئ الأربعة الموجهة للمقاربات التي تنتمي إلى الدلالة العرفانية، هذا قبل أن أتحدث عن المنهجية في الدراسة الدلالية العرفانية.

٢-١- المبادئ الموجهة للبحث في الدلالة العرفانية:

حدد إيفانز وغرين أربعة مبادئ موجهة للعمل في الدلالة العرفانية. هذه المبادئ تعكس نظرة الدلاليين العرفانيين إلى اللغة في علاقتها بالبنية التصورية وبالعالم الموضوعي الذي نعيش فيه. كما تركز على عملية بناء المعنى. وأُورد هذه المبادئ **وفق الترتيب التالي:**

٢-١-١- البنية التصورية بنية مُتجسدةٌ:

يدرسُ الدلاليون العرفانيون طبيعة العلاقة بين البنية التصورية والعالم الخارجي. ويسعون إلى بناء نظرية للبنية التصورية تكون منسجمة مع الطرق التي نختبر بها العالم. ونشير إلى أنَّ البنية التصورية بنياتٌ معرفية ثابتة كالأطر والنماذج العرفانية المؤمثلة والمجالات[٢]، وتعد فرضية (العرفانية المتجسّدة) أحد المبادئ التي تبلورت أثناء دراسة طبيعة هذه العلاقة بين البنية التصورية والتفاعل البشري مع العالم. ومفاد هذه الفرضية أن طبيعة التنظيم التصوري تبرز من التجربة الجسدية[٣]. ويقدم إيفانز وغرين مثالا يوضح هذه الفرضية من خلال (تخيُّلِ رجلٍ في غرفة مغلقة)؛ فالغرفة تمتلك خصائص بنيوية من قبيل كونها ذات جدران أربعة وسقف وباب

(١) مُحَمَّد الصالح البوعمراني، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، (٢٠٠٩): ٨-٩، مكتبة علاء الدين، صفاقس.

(٢) **ينظر**: فيفيان إيفانز وملاني غرين، ما هو علم اللغة الإدراكي؟ (٢٠١٧): ٨٠.

(٣) **ينظر**: المصدر السابق.

مغلق. تعمل هذه الخصائص على إبراز خاصية وَظِيفِيَّةٍ جديدة هي 'الاحتواء'. والاحتواء ناتج عن أمرين؛ فهو أولاً ناتج عن خصائص الغرفة وثانيًا وجزئيا عن خصائص الجسد البشري؛ إذ البشر لا يستطيعون المرور عبر التجويفات الصغيرة مثلما يستطيع الغاز فعل ذلك أو الزحف من خلال الشقوق تحت الأبواب كما يستطيع النمل فعل ذلك(١).

كما ترتبط هذه الفرضية بمفهوم مركزي في الدلالة العرفانية هو مفهوم (خطاطة الصورة). وتعنى خطاطة الصورة "شبكة تصورية تنظم نشاطاتنا الجسدية ومعارفنا الذهنية، وتؤسس لضروب سلوكنا، وتحكم رؤيتنا المنسجمة للحياة والكون"(٢). ولتوضيح هذا المفهوم يمكن إيرادُ التعابير اللغوية التالية:

- ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ (النساء/١٢٦).
- ﴿سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣) (آل عمران/١٣٣-١٣٤).
- ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾(٤) (البقرة/٩٣).

إن الأمثلة أعلاه تُمَثِّلُ إسقاطا استعاريا لخطاطة صورة الحاوية(٥) على مجال تصوري مجرد هو الحالات الذي تنتمي إليها مفاهيم من قبيل: الاحتواء والانفجار والحب. وهذا يؤدي إلى استعارة تصورية هي: الحالات

(١) **ينظر**: المصدر السابق.

(٢) مُحَمَّد الصالح البوعمراني، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني: ٩١.

(٣) يشير الراغب إلى أن الكَظَمَ هو مخرج النَّفَسِ... ويعبَّرُ به عن السكوتِ... وكَظمُ الغيظْ حبسُهُ (ينظر: الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، (٢٠٠٩): ٧١٢، تحقيق. مصطفى العدوي، حقق نصوصه أحمد الدمياطي، فياض للتجارة والتوزيع، المنصورة، مصر، ط: الأولى). وهنا تعبير عن الغضب بأنه حاوية لها مخرج للنفس وقابلة للانفجار. (ينظر: المصدر السابق).

(٤) يشير الراغب إلى أن معنى 'اشربوا' هو من قول العرب: أشربت البعير أي: شددت حبلا في عنقه، ... فكأنما شدَّ في قلوبهم العجل لشغفهم به، وقال بعضهم: معناه: أُشْرِبَ في قلوبهم حب العجل، وذلك أن من عاداتهم إذا أرادوا العبارة عن مخامرة حب، أو بغض، استعاروا له اسم الشراب، إذ هو أبلغ إنجاعٍ في البدن. ... صارت صورة العجل في قلوبهم لا تنمحي (ينظر: الراغب، (٢٠٠٩): ٤٤٩).

(٥) يتجلى هذا الأمر في التعابير التي أبرزناها بخط بارز ومائل، وكلها مرتبطة بالحاوية، فهي تحتوينا ويمكننا أن نخرج منها ويمكن أن نسقط فيها.

حاويات[١]. إن الإسقاط الاستعاري يقوم على التسبب في ظهور مفاهيم ملموسة مِثْلَ خطاطة الصورة انطلاقًا من تجربة جسدية، وبهذا المعنى تعدُّ البنية التصورية متجسدة. فالقوة الإلهية تجعلنا نعي بأنه محيط بنا من كل جانب مادام هو خالق الكون، كما أن ضغط الأشياء يؤدي إلى انفجارها وهو ما نختبره يوميا ونسقطه على الغضب، وكذلك الحب يعبر عنه بالامتلاء فشرب السائل بأكمله يدل على حبه واستساغته. وقد عبر عن هذه الحالات من خلال خطاطة الاحتواء. وكما عبَّر عن ذلك مُحَمَّد الصالح البوعمراني "يعتبر الاحتواء الفيزيائي أهم ما يميز تجربتنا الجسدية، وجسدُنَا هو النموذج الطرازي للوعاء، فالعروق أوعية تنقل الدم، والمعدة وعاء للطعام، والأمعاء وعاء، والقلب وعاء يدخله الدم ويخرج منه، والمجاري البولية أوعية لها داخل وخارج، والمثانة وعاء، والجسد هو الوعاء الحاضن لهذه الأوعية. وإضافة إلى ذلك فنحن نتعامل جسدا مع الأشياء باعتبارها أوعية، وتفاعلنا مع محيطنا يكشف عن هذه الأوعية التي تحكم تجربتنا الحياتية"[٢].

٢-١-٢- البنية الدلالية بنية تصورية:

يدل هذا المبدأ على أن اللغة تحيل على مفاهيم في ذهن المتكلم بدلا من الإحالة على أشياء في العالم الخارجي. ويعني هذا أن بناء المعنى تصوريٌّ بالأساس ومن ثم هو غير لغوي بطبيعته. وهكذا فالأمثلة أعلاه التي تتحدث عن الاحتواء والغضب والحب هي تعابير لغوية تحيل على مفاهيم تصورية توجد في ذهن المتكلمين، وهي أن الحالات حاويات. ففي ذهن المتكلم توجد بنية تصورية منظمة تتحقق لغويا في العديد من التعابير اللغوية. وهكذا يمكن أن نجد عبارات من قبيل: انفجر ضاحكا وانفجر غاضبا وانفجر باكيا... إلخ، وكلها تعابير لغوية تعبر عن مفهوم تصوري هو كما قلتُ: الحالات حاويات. وفي الأمثلة السابقة المشاعر حاويات.

(١) أشير إلى أنني سأكتب الاستعارات التصورية بخط مائل وظاهر، تمييزا لها. وأيضا لكون اللسانيين العرفانيين يميزونها بكتابتها بأحرف كبيرة. علما أن الاستعارة التصورية ليست هي التعبير الاستعاري، هذا الأخير ما هو إلا انعكاس لغوي للاستعارة التصورية (انظر لمزيد من التفصيل محور الاستعارة التصورية).

(٢) مُحَمَّد الصالح البوعمراني، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، (٢٠٠٩): ١٠٧-١٠٨.

٢-١-٣- تمثيل المعنى موسوعي:

يعني هذا المبدأ أن البنية الدلالية موسوعية بطبيعتها، وهذا يعني أن المفهوم المعجمي لا يمثل وعاءً مليئًا بالمعنى كما في النظرة القاموسية بل هو نقطَةُ نَفَاذٍ إلى معارف كثيرة مرتبطة به يحال عليها في اللسانيات العرفانية بمصطلح الإطار أو النموذج العرفاني. وكلاهما بُنًى معرفية توجد في الذاكرة طويلة الأمد ويستخدمهما الناس في الفهم والتأويل. وهكذا فقولنا: 'فلانٌ لقمان زمانه' يثير بنى معرفية مخزَّنة في الذهن تربط كلمة 'لقمان' بالحكمة. أما الدلالة المعجمية فلا تتجاوز كون كلمة 'لقمان' تدل على اسم علم مذكر. إن هذا المثال يوضح أن المعاني المرتبطة بالكلمات غالبا ما تستند إلى مجموعات معقدة ومطورة من المعرفة.

٢-١-٤- بِنَاءُ المَعْنَى مفهمةٌ:

يعني هذا المبدأ أن اللغةَ ذَاتَهَا لا تحملُ المعنى الكامل. إن الكلمات ليست سوى (محفزات) لبناء المعنى الذي يُبْنَى في المستوى التصوري، وبناءُ المعنى يعادل (المفهمَةَ)، وهي عملية تعملُ فيها الوحدات اللغوية كَمُحَفِّزَاتٍ لِتَشْكِيلَةٍ من العمليات التصورية، ويتمُّ توظيف المعرفة الخلفية فيها[١]. ويتضح هذا بشكل واضح في الأحاسيس التي تنتابُ المرءَ فتلك الأحاسيس تعجز اللغة أحيانا عن وصفها. وفي هذا الصدد أيضًا اختلف العلماء حول المترادف من اللغة هل هو موجود أم أن الألفاظ تعبر عن مفاهيم مختلفة.

٢-٢- الظواهر المستكشفة في الدلالة العرفانية:

لقد وَجَّهَتِ المبادئُ أعلاه الأبحاث التي أُنجِزَتْ في إطار الدلالة العرفانية، فانكفأ فريق يدرس الأساس الجسدي للمعنى، بينما انصرف آخرون إلى دراسة كيفية حَمْلِ اللغةِ للبنية التصورية، كما اهتم الدلاليون العرفانيون بقضايا (المفهمةِ) و(المعرفة الموسوعي و(الإسقاطات) و(الاشتراك الدلالي). وسأعرضُ لهذه المواضيع باختصار وفق الترتيب التالي:

(١) **ينظر**: فيفيان إيفانز وملاني غرين، ما هو علم اللغة الإدراكي؟ (٢٠١٧): ٨٣-٨٤.

٢-٢-١- الأساس الجسدي للمعنى:

يرتبط هذا الموضوع بدراسة الاستعارات التصورية، ومردُّ ذلك إلى افتراض مفاده أن البنية التصورية مرتبطة بتجربة جسدية. ووفقا لهذا الافتراض يمكن تفسيرُ الاستعارة التصورية على أساس أنها تربط بنية غنيَّةً ومفصَّلَةً من المجالات الملموسة للتجربة بمجالات تصورية ومفاهيم مجردة. ولنأخذ مثال الاستعارة التصورية التالية: الكمية ارتفاع عمودي. تشير هذه الاستعارة التصورية في لغتنا اليومية إلى تعابير استعارية عديدة، **من قبيل:**

١- أ) حاز مُحَمَّد على نقطة عالية في الاختبار.

ب) حصلت ليلى على معدل منخفض مقارنة بالمعدل السابق.

ج) ارتفع التضخم في دولة السودان.

إن هذه التعابير اللغوية تعبر عن استعارة الكمية ارتفاع عمودي، التي تربط مجال الكمية بالارتفاع العمودي. وبعبارة أخرى، نفهم الكمية الكثيرة انطلاقًا من زيادة في العلو، وانخفاض الكمية انطلاقًا من علو منخفض. وبما أن الاستعارة التصورية مؤسسة على تجربة يومية، فإننا نجد مقابلا لها في ممارساتنا اليومية، نحو صَبِّنَا لسائل ما في كأس، فنحن نلاحظ زيادة في حجمه بشكل عمودي، أو حينما يُكَوِّمُ فلاحٌ فاكهة أو تبنا فتزداد كميته تبعًا لازدياد حجمه العمودي. إن هذه الأمثلة نماذج نمطيَّةٌ للعلاقة بين الارتفاع والكمية.

٢-٢-٢- البنية التصورية:

يهتم الدلاليون العرفانيون في هذا الشق من الدراسة العرفانية بكيفية تَشْفِيرِ اللغةِ للبنية التصورية. وهم بذلك مهتمون باستكشاف سيرورات البَنْيَنَةِ التصوريةِ الظاهرةِ في البنية اللغوية عن طريق كشف البنية التصورية

في اللغة، واستكشاف الوظائف المتميزة المرتبطة بالنظامين الدلاليين: (الطبقة المفتوحة) و(الطبقة المغلقة)، الذي يرى طالمي (٢٠٠٠) أنهما يشفران التمثيل العرفاني في اللغة[١].

يرتبط نظام دلالة الطبقة المفتوحة بالبناءات النحوية، بينما يرتبط نظام دلالة الطبقة المغلقة بمحتوى هذه البناءات. وبغية توضيح هذا الأمر، **لننظر إلى المثال التالي:**

٢- طاردَ الصيادُ النمورَ. The hunter tracked all the tigers

إن العناصر البارزة بخط بارز ومائل (باللغة الإنجليزية)، بالإضافة إلى نوع الجملة (جملة خبرية) تشكل جزءا من نظام دلالة الطبقة المغلقة؛ إذ تقدم عناصر (بنية مفهوم) المعنى الموصوف في هذا المشهد. وتقدم معلومات حول متى حدث هذا الحدث؟ وكيف انخرط المشاركون فيه؟ وهل المشاركون في ألفة مع المتكلم والسامع في الخطاب الحالي؟ وهل المتكلم يؤكد المعلومات؟ إلى غير ذلك.

إن هذه العناصر المرتبط بالطبقة المغلقة هي إطار يُشكِّلُ أسس المعنى في هذه الجملة، أما نظام دلالة الطبقة المفتوحة فيرتبط بكلمات من قبيل: "صياد"، و"تعقب"، و"نمر" التي تطرح معنى ذات محتوى غني لهذا الإطار: من المشاركون؟ وطبيعة الحدث الموصوف في المشهد[٢].

٢-٢-٣- الدلالة الموسوعية:

سبقت الإشارة إلى أن الكلمات في الدلالة العرفانية هي نقط نَفاذٍ إلى البنية التصورية الغنية والمفَصَّلَةِ. بناء على هذا الأمر يركز البحث في الطبيعة الموسوعية للمعنى على الطريقة التي تَنْتَظِمُ بها البنية الدلالية في ارتباطٍ ببنيات المعرفة التصورية. واقترح تشارلز فيلمور في هذا الصدد مفهوم الإطار، الذي يعدُّ بِنْيَةَ مَعْرِفَةٍ

(١) **ينظر**: فيفيان إيفانز وملاني غرين، ما هو علم اللغة الإدراكي؟ (٢٠١٧): ٨٦.

(٢) **ينظر**: المصدر السابق: ٨٧.

أو خطاطةَ معرفَةٍ مفصَّلة تَبْرُزُ من التجارب اليومية. من ثم فإن معرفة معنى الكلمة رهين جزئيا بمعرفة الأطر المختلفة التي ترتبط بالكلمة[١].

٢-٢-٤- الإسقاطات:

تعد الإسقاطات من المواضيع البارزة في الدلالة العرفانية، وهي مهمة لكونها تقوم على فكرة مفادها أن الإسقاطاتِ تَصَوُّرِيَّةٌ. وبصفة عامة، حدَّدَ فوكوني (١٩٩٧) ثلاثة أنواع من عمليات الإسقاط، **وهي**:

١) **إسقاطات الإسقاط**: تُسْقَطُ فيها البنية من مجال مصدر إلى مجال هدف، وذلك نحو إسقاط بنية عملية البناء على النقاش فنتحدث عن القاعدة والأسُسِ ونحو ذلك عند الحديث عن نقاش معينٍ.

٢) **إسقاطات قائمة على الوظيفة التداولية**: يحلُّ فيها كيان محل كيان آخر، وذلك نحو قولنا: صرَّح البيتُ الأبيضُ ففي هذا القول تحلُّ البناية محلَّ الناطق الرسمي باسمها.

٣) **إسقاطات الخطاطة**: يسقط فيها إطار معين على ملفوظٍ نحو إسقاط خطاطة صورة الطريق على إنجاز البحث الأكاديمي، فنتحدث عن الرحلة والمعيقات والاستراحات والتوجيهات وغير ذلك [٢].

٢-٢-٥- المَقْوَلَةُ:

تُعرَّفُ المقْوَلَةُ بأنها قدرة البشر على تحديد وحدات معينة ضمن مجموعة معينة كتحديد الكرسي والأريكة والسرير... إلخ بأنها تنتمي إلى صنفِ الأثاث، ونفعلُ ذلك عن طريق تحديد التشابهات (والاختلافات) بين وحدتين ومن ثم جمعهما معا وتعتمد عملية (المقْوَلَةِ) على المفاهيم وتتولد منها. من ثم فالمقْوَلَةُ مركزية في النظام التصوري بسبب كونها تفسر تنظيم المفاهيم ضمن شبكة من المعرفة الموسوعية.

---

(١) **ينظر**: فيفيان إيفانز وملاني غرين، ما هو علم اللغة الإدراكي؟ (٢٠١٧): ٨٧.

(٢) **ينظر**: المصدر السابق: ٨٨.

٢-٢-٦- معنى الكلمة والاشتراك الدلالي:

يندرج هذا الموضوع في إطار الدلالة المعجمية ولا يكتفي الدلاليون العرفانيون بإدراك أن الوحدات المعجمية لها أكثر من معنى مرتبط بها، وأنه حينما ترتبط المعاني نصل إلى اشتراك دلالي، بل يعتبرون أن الاشتراك الدلالي هو المعيار بدل كونه الاستثناء في اللغة. لذلك نجد لايكوف يعتبر الوحدات المعجمية مقولات تصورية، منظمة في ارتباط بالنماذج العرفانية المؤمثلة أو الطراز. وهكذا ترتبط الكلمات بشبكة من المفاهيم المعجمية بدلا من مفهوم واحد فقط ومع ذلك، فهناك معنى نمطي يرتبط بالمفاهيم الأخرى[١]. ويعني الاشتراك الدلالي ارتباط كلمة واحدة بمجموعة من المعاني التي ترتبط بدورها فيما بينها بشكل من الأشكال.

ويمكن التمثيل للاشتراك الدلالي بالأمثلة التالية:

أ-مدرسة الطيب المهيري قريبة.

ب-سقف المدرسة يحتاج إلى صيانة.

ج-ذهبت المدرسة في رحلة إلى جربة.

تدل المدرسة في (أ) على المؤسسة التعليمية، وتدل في (ب) على البناية، بينما تدل في (ج) على الدارسين فيها[٢].

٢-٣- المنهجية:

ذكرنا سابقا أنَّ اللغة عند الدلاليين العرفانيين أداةٌ لاستكشاف البنية التصورية وعمليات المقْوَلَة، وبما أن الأمر كذلك فإن دراسة المعنى اللغوي لا يكون محطَّ اهتمام الدلاليين العرفانيين في حد ذاته، بل فيما يكشفه

(١) **ينظر**: فيفيان إيفانز وملاني غرين، ما هو علم اللغة الإدراكي؟ (٢٠١٧): ٩٠.

(٢) **ينظر**: صابر الحباشة، مقدمات لدراسة الاشتراك الدلالي بين العرفان والتداول، (٢٠١٣): ١١٣-١١٤، مجلة الخطاب، العدد ١٤.

عن طبيعة النظام التصوري البشري. وفي سبيل تحقيق ذلك، يقوم الدلاليون العرفانيون باعتماد منهجية تنبني على مفهوم (السعي إلى الدليل الجامع) converging evidence، ومعنى ذلك أنه يجب البحث عن أدلة أخرى في ميادين معرفية أخرى كالفلسفة وعلم النفس العرفاني وعلوم الأعصاب ... إلخ، تؤكد تناسب نمط لغوي بنمط معيَّنٍ في البنية التصورية. ويشير إيفانز وغرين إلى مثال إشارة الماضي إلى الخلف والمستقبل إلى الأمام وكيفَ يُشِيرُ الناس عند حديثهم عن الماضي إلى الخلف وعن المستقبل إلى الأمام، وهنا نتحدث عن دليل جامع يتكون من الكلام والإشارة(١).

٣- النظريات والمقاربات الأساسية في الدلالة العرفانية:

جرد إيفانز وآخرون (٢٠٠٧) ثماني نظريات أساسية في علم الدلالة العرفانية، تشتغل وفقا للمبادئ الأربعة الموجهة للعمل في الدلالة العرفانية، وهذه النظريات هي: نظرية (خطاطة الصورة)، ونظرية (الدلالة الموسوعية)، ونظرية (المقْوَلَةُ والنماذج العرفانية المؤَمْثَلَةُ)، ونظرية (الدلالة المعجمية العرفانية)، ونظرية (الاستعارة التصورية)، ونظرية (الكناية التصورية)، ونظرية (الفضاءات الذهنية)، ونظرية (المزج التصوري)(٢)، ونظرًا للحيز الذي يمكن أن يأخذه عرض هذه النظريات سأقتصر على نظريتين فقط هما نظريتا: الاستعارة التصورية والمزج التصوري، بما أنهما يشكلان العدة النظرية والتحليلية التي سأحلل بها الاستعارات التصورية المرتبطة بأركان الإسلام. وتجدر الإشارة إلى أن هاتين النظريتين تتضمنان النظريات الأخرى بوجه من الوجوه. فسأعتمد في التحليل على نظرية خطاطة الصورة؛ بما أنها تشكِّلُ المادة الخام للاستعارات التصورية، كما أن نظرية الفضاءات الذهنية تشكل مكونا مركزيًا في نظرية المزج، بالإضافة إلى كون نظرية الدلالة الموسوعية حاضرة في تأويل

(١) **ينظر**: فيفيان إيفانز وملاني غرين، ما هو علم اللغة الإدراكي؟ (٢٠١٧): ٩١.

(٢) **ينظر**: المصدر السابق.

البنيات الدلالية في علاقتها بالبنيات التصورية، وهكذا فإن نظريتي الاستعارة التصورية والمزج يضمَّانِ النظريات الأخرى بشكل من الأشكال ويكمل بعضهما الآخر.

٣-١- نظرية الاستعارة التصورية:

من نافلة القول الإقرار بأن الاستعارة شكَّلت عند البلاغيين العرب موضوعا مهما تناولوه في كتبهم القديمة ودراساتهم الحديثة. فقد اعتُبرت صورة شعرية تحمل أبعادا إبداعية غنية. ويشير الباحث عبد الإله سليم في كتابه (بنيات المشابهة في اللغة العربية) إلى أن تناول الاستعارة في البلاغة العربية القديمة حَكَمَهُ مَنْطِقَانِ هما: النَّقْلُ والادِّعَاءُ[١]. ففيما يتعلق بالنقل يقول الباحث: "ويظهر من خلال حديث العارية أن الاستعارة عملية نقلٍ من طرف إلى طرف آخر تسوِّغُها علاقة ما بينهما. وقد قَصَرَ أكثر القدماء هذه العلاقة على المشابهة"[٢]. ويورد في هذا الصدد تعريف الرّمّاني للاستعارة ونصُّهُ: "والاستعارة تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل والإبانة"[٣]. ويشير الباحث إلى أن هذا التصور النقلي في الاستعارة يمكن إدراجه في المنظور الاستبدالي للاستعارة الذي يرتد إلى أرسطو، "ويقوم هذا التصور على ترسيخ فكرة وجود معنيين، أحدهما أصلي أو حرفي، والثاني فرعي أو مجازي، وأن الاستعارة تستبدل الأول بالثاني. أما وظيفة الاستبدال فتتباين بين التوضيح والتجميل والتأكيد"[٤].

أما فيما يخصُّ الادعاء فيرى الباحث أنه تصور عَرَفَ تطورا ملحوظا عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، فقد "انتقل من النظر إلى الاستعارة باعتبارها عملية نقليّة تفصح عن إمكان انتقال اللغة من الأصل إلى الفرع،

(١) **ينظر**: عبد الإله سليم بنيات المشابهة في اللغة العربية: مقاربة معرفية، (٢٠٠١): ٥٩، دار توبقال للنشر، المغرب.

(٢) **المصدر السابق**. والمقصود بالعارية "أن يستعير بعض الناس من بعض شيئا من الأشياء، ولا يقع ذلك إلا من شخصين بينهما سبب معرفة ما يقتضي استعارة أحدهما من الآخر شيئا" (المصدر السابق، نقلا عن ابن الأثير (٣٤٨/١).

(٣) الرماني، النكت في إعجاز القرآن: ٧٩، نقلا عن عبد الإله سليم بنيات المشابهة في اللغة العربية: مقاربة معرفية (٢٠٠١): ٦٠.

(٤) عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية: مقاربة معرفية (٢٠٠١): ٦٠.

إلى النظر إليها باعتبارها عملية ادعائيّة"[١]. ويسوق في هذا الصدد نظرته للاستعارة في قوله: "وإطلاقهم في الاستعارة أنها 'نقل العبارة عما وضعت له من ذلك" فلا يصح الأخذ به، وذلك أنّك إذا كنت لا تطلق اسم "الأسد" على "الرجل" إلا من بعد أن تدخله في جنس الأسود من الجهة التي بيَّنَّا، لم تكن نقلت الاسم عما وضع له بالحقيقة، لأنك إنما تكون ناقلا إذا أنت أخرجت معناه الأصلي من أن يكون مقصودَكَ، ونفضت به يدك. فأما أن تكون ناقلا له عن معناه مع إرادة معناه، فمحال متناقض"[٢]. وينبّهُ الباحث إلى أن تصور الادعاء الذي قال به الجرجاني يحمل الكثير من الإمكانات التي لم يستغلَّها المشتغلون بالاستعارة. ويلخص عبد الإله سليم اجتهادات القدماء في تعاملهم مع الاستعارة **في النقط التالية:**

- الاستعارة مسألة لغوية.
- الاستعارة عملية نقلية.
- حضور طرف من طرفي الاستعارة، وغياب الطرف الثاني أو بقاء أحد لوازمه المشيرة إليه.
- مسّوغ الاستعارة هو المشابهة.
- وظيفة الاستعارة إما اتساعية أو تأكيدية أو تجميلية أو توضيحية، أي أنها صيغة زائدة[٣].

وينتقد الباحث هذه الاجتهادات في ضوء النظرية العرفانية الحديثة للاستعارة، فينفي كون الاستعارة مقصورة على البعد الجمالي، معتبرا إياها ضرورة من ضرورات الحياة، كما ينتقد كون الاستعارة مسألة لغوية وعملية نقلٍ، مبيّنا أنها عملية تتجاوز اللغة إلى البنيات التصورية، وأنها تفاعلية وليست نقلية. وينتقد تصور

(١) **المصدر السابق**. ويرى عبد الله الحراصي أنَّ نظرية الادِّعَاءِ تعتبرُ الاستعارة ادعاء لمعنى الكلمة لا نقل لها من سياق لآخر. وأنَّ ما يميز هذه النظرية أنها لا تعتبر الاستعارة خاصة باللفظ بل بفهم الإنسان لمعنى اللفظ (ينظر: عبد الله الحراصي، دراسات في الاستعارة المفهومية، (٢٠٠٢): ١٥.

(٢) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز: ٤٣٥. نقلا عن عبد الإله سليم بنيات المشابهة في اللغة العربية: مقاربة معرفية، (٢٠٠١): ٦١.

(٣) **ينظر**: المرجع السابق.

غياب طرفي الاستعارة وقيامها على المشابهة فقط، فيقول إنها تقوم على المجاورة كذلك[١]. وقد تناول الأستاذ مُحَمَّد غاليم هذا النقص في تصور القدماء للاستعارة في كتابه (التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم)، لكن من منظور قدرة الاستعارة على توليد المعاني الجديدة، فقال: "يمكننا أن نستنبط مما سبق الخاصية الإبداعية للتصورات الاستعارية والكنائية. فهي تعمل باستمرار على إبداع مشابهات ومجاورات جديدة تعطي لفئات من تجاربنا بنيات متسقة. وواضح أن هذا التصور يتعارض مع وجهة النظر التقليدية التي لا ترى في الاستعارات والكنايات إبداع لمشابهات ومجاورات جديدة"[٢]. ويتبنى غاليم تصور لايكوف وجونسون في الاستعارة فهي قادرة -بحسب وجهة نظره- على تغيير طبيعة العالم الخارجي، مبدعة مشابهات لم تكن موجودة من قبل[٣].

فما الجديد الذي أتت به النظرية العرفانية الجديدة للاستعارة؟

إن الجديد الذي أتت به نظرية الاستعارة التصورية هو باختصار: أن الاستعارة ليست أداة لغوية فحسب، بل هي مرتبطة بالفكر؛ إذ يفكر البشر انطلاقًا منها. وقد انتبه جورج لايكوف عندما كان مدرسا في فصل إلى أن الناس يعبرون عن علاقاتهم انطلاقًا من مفردات الطريق من قبيل قول أحدهم: "لقد وصلت علاقتنا إلى طريق مسدود". وهكذا انتبه لايكوف وطلبتُهُ إلى أن التعبير عن العلاقة بمفردات الرحلة، ثم شرع هو وطلبته في استخراج مكونات هذه الاستعارة (الحياة رحلة)، فوجد أنها مبنيَنَةٌ بطريقة نسقية ومنظمة، فهناك مسافرون ومحطات وصول، ومحطات استراحة، ومسار للرحلة، وفي المقابل هناك أزواج ومشاكل زواج، وطلاق

(١) **ينظر**: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز: ٤٣٥. نقلا عن عبد الإله سليم بنيات المشابهة في اللغة العربية: مقاربة معرفية، (٢٠٠١): ٦١-٦٢.

(٢) مُحَمَّد غاليم، التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم، (١٩٨٧): ٩٩-١٠٠، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.

(٣) **ينظر**: المصدر السابق: ١٠٠.

وحياة زوجية[١]. وهكذا توصَّل لايكوف إلى أن طبيعة تفكيرنا استعارية[٢]، وهي قائمة على إسقاطات عبر-مجالية أو تناسبات correspondences بين مجالين تصوريين، يدعى المجال الأول مصدرا والآخر هدفا، وحدَّد جوهر الاستعارة في كونها تتيح فهم شيء ما (وتجربته [أو معاناته]) انطلاقًا من شيء آخر[٣].

وقد لخص الباحث الهنغاري سلطان كوفيتش السمات الرئيسة التي أتت بها نظرية الاستعارة التصورية **فيما يأتي:**

- الاستعارة خاصَّةٌ بالمفاهيم لا بالكلمات
- وظيفة الاستعارة هي الفهم وليست مقصورة على الغايات الجمالية
- لا تتأسس الاستعارة في الغالب على المشابهة
- الاستعارة خاصية إنسانية غير مقصورة على الموهوبين من البشر
- الاستعارة عنصر مهم في الفكر والتفكير[٤].

وسأعمل على توضيح نظرية الاستعارة التصورية انطلاقًا من مستويين: المستوى الأول، وأحدد فيه أنواع الاستعارات التصورية، والمستوى الثاني، وأبرز فيه خصائص الاستعارات التصورية. قبل أن أختم ببعض الانتقادات التي وجهت إلى هذه النظرية، والتي أفضت إلى ابتكار نموذج نظري جديد هو نظرية المزج.

(١) **ينظر**: رابط فيديو يوضح فيه جورج لايكوف ذلك: http://bit.ly/2CT7cW8 تاريخ الدخول: ٢٠١٨/٠٩/٢٥، على الساعة ١٦. ٣٩.

(٢) **ينظر**: جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، (٢٠٠٩): ٢١.

(٣) **ينظر**: المصدر السابق: ٢٣.

(٤) **ينظر**: سعيد بكار، التحليل النقدي الجديد للاستعارة، (٢٠١٦): ٧١، مجلة الخطاب، العدد:٢٣.

٣-١-١- أنواع الاستعارات التصورية:

صنَّفَ لايكوف وجونسون الاستعارات التصورية بناء على وظيفتها إلى ثلاثة أصناف. أعرض لها بشكل مقتضب وفق الترتيب التالي:

٣-١-١-١- الاستعارة البنيوية:

يعرف لايكوف وجونسون هذه الاستعارة بأنها تُبَنْيِنُ تصور استعاريا ما بوساطة تصور آخر [١]. وبعبارة أخرى تمكِّنُ هذه الاستعارات المتكلمين من فهم الهدف (أ) عبر فهم المصدر (ب). فعلى سبيل المثال مفهوم الزمن يُبَنْيَنُ انطلاقًا من الحركة والمكان. وهو ما يتضح في الأمثلة التالية:

- ﴿قَالُوا مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ﴾ (الجاثية/٢٤).
- مرَّ زمن طويل لم أرك فيه.
- في السنة الماضية، حققنا نجاحا باهرا، ونترقب أن نصل إلى مزيد من الناجح هذه السنة.

فالأمثلة أعلاه توضح أننا نفهم الزمن انطلاقًا من مجموعة من الإسقاطات، وهي: الأزمنة أشياء (الدهر فاعلٌ)، ومرور الزمن حركة (الزمن يمرُّ)، وأن الأزمنة المستقبلية تقع أمامنا بينما الأزمة الماضية تقع خلفنا (الزمن الماضي يقع خلفنا، والزمن المستقبلي يقع أمامنا).

٣-١-١-٢- الاستعارة الأنطولوجية:

تمكِّنُ هذه الاستعارةُ المتكلمين من تصور تجاربهم من خلال الأشياء والمواد والأوعية بصفة عامة، بدون تخصيص نوع الشيء أو المادة أو الوعاء[٢]. ويشير كوفيتش إلى أنها تقدم بنية عرفانية للمفاهيم الهدف أقل مما تقدمه الاستعارات البنيوية. غير أن المهمة الأساسية من الناحية العرفانية لهذه الاستعارة هي تحديد المكانة

(١) جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، (٢٠٠٩): ٣٣.

(٢) **ينظر:** لحسن بوتكلاي ، الاستعارة في الخطاب السياسي، (٢٠١٦): ٥٠٧، ضمن قراءات في الخطاب السياسي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير.

الأساسية للعديد من تجاربنا انطلاقًا من المواد وما شابه ذلك. وأنواع التجارب التي يتطلبها هذا الأمر هي تلك التي لا تكون موصوفة على نحو واضح أو ملتبسة أو مجردة. **ولننظر في الأمثلة التالية:**

- يجب الخروج من الأزمة.
- لديه عقل كبير.
- إنها لعبة تتطلب الكثير من الركض.

فالأزمة متصوَّرة هنا بأنها حاوية. والعقل متصور على أنه شيء، والنشاط الرياضي متصوَّرٌ بأنه مادة (الركض). ونلاحظ أننا قمنا، من خلال هذه الاستعارة، بالإشارة إلى مظهر من تجربة الأزمة (الخروج) وبإضفاء بُعْدٍ كمي على العقل (كبير)، وتحديد مظهرا من مظاهر رياضة معينة (الركض). وتجدر الإشارة إلى أن لايكوف وجونسون يعتبران التشخيص شكلا من أشكال الاستعارة الأنطولوجية. وفي التشخيص تعزى سمات بشرية إلى كيانات غير بشرية. والتشخيص شائع الاستعمال في الأدب، **ومثاله قول المتنبي:**

ومَـــا الـــمَوْتُ إِلَّا سَـــارِقٌ دَقَّ شَخْصُـــهُ يَصُـــولُ بِـــلَا كَـــفٍّ وَيَسْـــعَى بِـــلَا رِجْـــلِ

فقد صوّر الشاعرُ الموتَ على أنه سارق يصول ويسعى، والصولة والسعي صفات إنسانية عُزِيَتْ إلى الموت، وهو كيان مجرد غير بشري.

٣-١-١-٣- الاستعارة الاتجاهية:

يرى لايكوف وجونسون أن الاستعارات الاتجاهية لا تُبَنْيِنُ تصورا عن طريق تصور آخر، بل تعمل خلاف ذلك، على تنظيم نسقٍ كامل من التصورات المتعالقة، ويرى الباحثان أن هذه الاستعارة ترتبط بالاتجاه الفضائي: عال-مستَفِل، داخل-خارج، أمام-وراء، فوق-تحت، عميق-سطحي، مركزي-هامشي[١]. وهدفها جعل مجموعة من المفاهيمِ الهدفِ منسجمة في نظامنا التصوري، والمقصود بالانسجام هنا أن بعض مفاهيم

(١) **ينظر**: جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، (٢٠٠٩): ٣٣.

الهدف تتصور بطريقة موحدة؛ كأن تتصور باتجاه الأعلى أو الأسفل. **ويمكن التمثيل لهذه الاستعارة بالأمثلة التالية:**

- إنني في قمة السعادة.
- لقد رفع من معنوياتي.
- سقطت معنوياتي.
- التفكير فيها يرميني في هاوية[١].

إن هذه التعابير الاستعارية تتصور السعادة فوق والشقاء تحت.

٣-١-٢- خصائص الاستعارات التصورية:

تعرَّفُ الاستعارة في (نظرية الاستعارة التصورية) بأنها إسقاط بين مجالين تصوريين يدعى المجال الأول (المجال المصدر) والمجال الثاني (المجال الهدف). ونفهم (المجال الهدف) انطلاقًا من (المجال المصدر). كأن نفهم مثلا الدنيا مثلا بأنها رحلة عبور إلى الآخرة، فالدنيا هي مجال هدف للفهم والرحلة مجال مصدر تسقط عناصره على الدنيا من أجل فهم بعض جوانبها غير المدركة. ولو قلبنا الأمر لقلنا: 'الرحلة دنيا'. والمتأمل في هذا القول يجد أن لا معنى له. وهذا يشير إلى خاصية أساسية من خاصيات الاستعارة التصورية وهي (أحادية الاتجاه)؛ أي أن المجال المصدر (الرحلة) هو الذي تسقط عناصره من أجل فهم المجال الهدف (الدنيا) وليس العكس. والسبب في ذلك أن المجال المصدر يكون ملموسا بينما المجال الهدف يكون مجردا.

علاوة على ذلك عادة ما يرتبط المجال الهدف بالمشاعر والأفكار والزمن ...إلخ، وبصفة عامة بكل المفردات المجردة التي يعجز الإنسان عن تحديد كُنْهِهَا. ففي ثقافتنا العربية مثلا نعبِّرُ عن الشجاعة والإقدام التي

(١) **ينظر**: المرجع السابق:٣٤.

هي أخلاق من خلال إطار الحيوانات كالأسد مثلا، بينما نعبّرُ عن الجبن بالنعامة. **وانظر إلى قول عمران بن حطان:**

أســـــدٌ عَلَـــيَّ وفي الحـــروبِ نعامـــةٌ ربـــداءُ تَجْفِـــلُ مـــن صَـــفِيرِ الصَّـــافِرِ

فالشاعر عنا عبَّر عن الشجاعة بالأسد لما يُعْرَفُ عنه ثقافيا بأنه شجاع لا يخافُ من أعدائه، بينما نُظر إلى النعامة بأنها جبانة تدفن رأسها في التراب خوفا من أعدائها.

وعلى العموم نجد أن البيئة التي نعيش فيها تزودنا بالمجالات التي نتخذها مصدرا في فهم المجالات الهدف، سواء كانت تلك البيئة تضمُّ النبات أو الحيوان أو المياه أو النار أو غير ذلك.

ويترتب من فهم المجال الهدف انطلاقًا من المجال المصدر إسقاط إمكانية حدوث ما يقع في المجال الهدف في المجال المصدر، وذلك نحو اعتبارنا للمشاكل التي تواجهنا عقبات في الطريق أو الأصدقاء رفقاء في رحلة أو أن الموت نقطة وصول. وتحكُمُ هذه الاستعارة ما دعاه مارك جونسون بخطاطة الصورة التي تتضمَّنُ في حالة استعارات الرحلة خطاطة صورة (المصدر-المسار-الهدف).

وتبرزُ خطاطات الصورة مباشرة من تجربة متجسّدة قبل-تصورية، ويمكن أن نوضح ذلك انطلاقًا من خطاطة المسار التي تبني"جزءا كبيرا من حياتنا المعيشة، وتحكم تجربتنا الفيزيائية، وتنظم نشاطاتنا اليومية"[(١)]، فهي تمثل المادة الخام للاستعارات التصورية، ولذلك اعتبرها لايكوف قبل-تصورية. ولنأخذ المثال التالي:

- البحث رحلة متعبة، فيها عوائق كثيرة وبالكاد ينجح الطالب في التغلب عليها.

فالمثال أعلاه يتصور البحثَ رحلةً، وهو يستند في ذلك إلى خطاطة المسار، التي تتكون من بنية داخلية موحدة، **تشتمل على:**

- المصدر أو نقطة الانطلاق

(١) محمد الصالح البوعمراني، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، (٢٠٠٩): ١٠١.

- الهدف أو نقطة النهاية
- الأماكن المتتالية الرابطة بين المصدر والهدف، كالمحطات والعقبات[١]

والنتيجة المهمة التي تبرز من هذا التطبيق لنظرية الصورة في نظرية الاستعارة التصورية هي أن التفكير يَسْهُلُ عبر الاستعارة.

كما تتميز الإسقاطات في الاستعارة من المجال المصدر إلى المجال الهدف بكونها ثابتة؛ ومعنى ذلك أن هناك أمورا تسقط بشكل دائم وأمور أخرى لا تسقط؛ فمثلا قد نجد الدهر يقوم بمجموعة من الأفعال كالإفناء والمشي والرمي...إلخ، كما له بناتٌ وأهل وصروف ونكبات ...إلخ. لكن من النادر أن نجد الدهر يوصف بالكرم أو الشجاعة أو أنه يَسْبَحُ أو يغَنِّي ...إلخ، والسبب في ذلك أن الدهر عادة ما يرتبط بالبلى والموت والتغيُّر وذهاب الشباب، بل هو أكثر فتكا من الموت نفسه. ولننظر إلى قول جرير ردا على الفرزدق:

أَنَا الـــدَّهْرُ يُفْـــنِي المـــوْتَ والـــدَّهْرُ خَالِـــدٌ فَجِئْـــنِي بِمِثْـــلِ الـــدَّهْرِ شَـــيْئًا تُطَاوِلُـــهْ

والأمر الأخير الذي يمكن الإشارة إليه بخصوص خصائص الاستعارة هو أن الإسقاطات بين المجال المصدر إلى المجال الهدف تتميز بتسليط الضوء على بعض الأمور وإخفاء أخرى. يقول لايكوف وجونسون: "إن النسقية نفسها التي تسمح لنا بالقبض على مظهر من مظاهر تصور ما عن طريق تصور آخر (أي القبض على مظهر الجدال بواسطة المعركة) ستخفي، لا محالة، مظاهر أخرى في هذا التصور"[٢].

(١) **ينظر**: مُحَمَّد الصالح البوعمراني، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، (٢٠٠٩): ١٠٢.

(٢) جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها (٢٠٠٩): ٣٠.

وقد انتقدت نظرية الاستعارة التصورية لكونها لا "تتناول إلا الاستعارات في الحياة اليومية (أي الاستعارات العرفية) وتعجز عن تحليل الاستعارات الإبداعية وكيفية انبثاق معان جديدة لم تكن بين مجالي الاستعارة، مثل نشوء معنى عدم الدراية من تسمية الجراح جزارا"(١).

يفهم المستمع لجملة (هذا الجراح جزار) أن الجراح لا يتقن عمله، لكن من الناحية النظرية لا نجد عدم الكفاءة لا في مجال المصدر (الجزار) ولا الهدف (الجراح)، وإنما يستدل على ذلك عبر عملية مزج تصورية. ويؤكد الزناد هذا الأمر قائلا: "ويتجلى من خلال هذا أنه لا وجود لمعنى الفشل وغياب المهارة عند الجراح في هذه المناسبة بين الفضاءين. وهذا ما يمثل مظهر النقص في نظرية الاستعارة المفهومية القائمة على ثنائية الفضاء والإسقاط المباشر بينهما عند لايكوف. فالفشل أو غياب المهارة معنى ناتج عن عملية استدلالية يمكن إظهارها بوسائل التحليل في نظرية المزج القائمة على الإسقاط متعدد الأفضية"(٢). وقد أدى هذا الأمر إلى ابتكار نظرية المزج التصورية التي أعرض لها في المحور التالي.

٣-٢-نظرية المزج التصوري:

تهتم نظرية المزج التصوري بعملية بناء المعنى في الذهن، وتحاول تفسير التقييمات الناتجة عن مزج فضاءين ذهنيين ببعضهما بعضا، مقترحة أن بناء المعنى من خلال هذا المزج يُنْتِجُ معنى يتجاوزُ الأجزاء المشكلة لبنائه. وبعبارة أخرى، إن المزج يُنْتِجُ معنى هو نتيجة تفاعل فضاءين ذهنيين، وهو تفاعل يؤدي إلى خلق فضاء جديد. وقد بلور كل من جيل فوكونيي صاحب نظرية الفضاءات الذهنية ومارك تورنر المشتغل بالاستعارة التصورية الإبداعية، نظرية المزج لتفسير مجموعة من الظواهر التي عجزت النظريتان المتولدة عنهما عن تفسيره.

(١) لحسن بوتكلاي، الاستعارة في الخطاب السياسي، (٢٠١٦): ٥١٧.

(٢) الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية (٢٠١٠): ٢٢٨.

تقوم نظرية المزج على ادعاء أساسي مفاده أن الخيال البشري يؤدي دورًا حاسما في العمليات العرفانية، والاهتمام بالخيال البشري فيها ناتج عن انشغالها بتفسير البنية اللغوية ودور اللغة في بناء المعنى، وبصفة خاصة المظاهر الإبداعية لبناء المعنى، مثل الاستعارات الجديدة، والوقائع المضادة للواقع counterfactuals، وغير ذلك.

٣-٢-١- أصول نظرية المزج التصوري:

انتبه فوكونيي وتورنر في دراستهما لعملية بناء المعنى إلى أنه، في حالات عديدة، يُشْتَقُّ مَعْنَى بعضِ الظواهر البلاغية من بِنْيَةٍ غير متاحة في البنية اللغوية أو التصورية التي توظف بوصفها مدخلا لعملية بناء المعنى. وقد انبثقت نظرية المزج التصوري من محاولتهما تفسير هذه الملاحظة. والمثال الذي طرحاه لشرح هذا الأمر هو 'هذا الجراح جزار'. حيث يريان أن نظرية الاستعارة التصورية لا تستطيع تفسير التقييم السلبي الذي نستشفه من هذه الاستعارة. إذ يفسر هذا المثال فيها عبر عملية إسقاط بين مجالين، وهو ما يوضحهما الجدول أسفله[١]:

المصدر: جزار	إسقاطات	الهدف: جراح
جزار	←	جراح
سكين	←	مبضع
لحم حيوان	←	إنسان مريض
تقطيع	←	إجراء عملية

جدول (١): إسقاطات الجزار على الجراح

(١) مُحَمَّد غاليم، نظرية المزج التصوري عند فوكونييه وتورنر، مقال غير منشور (زودني به الأستاذ مُحَمَّد غاليم إجابةً عن بعض التساؤلات حول العرفانية).

إن هذه الاستعارة تطرح تقييما سلبيا غير موجود في المجالين، وهو ما يطرح فرضية كونه ناشئا من عملية المزج بين المجالين أو فضاءي الدخل بمصطلحات نظرية المزج التصوري. وبعبارة أخرى، لا يعتمد بناء المعنى على عمليات إسقاط تصوري بسيط كما في حالة نظرية الاستعارات التصورية. ولا على إضافة إسقاطات بين النظرَاء counterparts في الفضاءات الذهنية (جزار/جراح، سكين/مبضع ... إلخ). فالتقييم السلبي واضحٌ، ويبدو أنه غير ناتج عن مجالي الدخل المرتبطين بالاستعارة. "ومن أبرز إضافات نظرية المزج التصوري أنها ترصد انبثاق مثل هذه المعاني التي يستلزمها المثال السابق، من خلال افتراض مفاده أن بناء المعنى يستلزم بروز بنية دلالية جديدة؛ أي قدرا من المعنى أكثر مما ينتج عن مجرد ضم الأجزاء المكوِّنة إلى بعضها"[١].

٣-٢-٢- نحو نظرية للدمج التصوري:

يلخص الزناد ما تقوم عليه نظرية المزج قائلا: "تقوم نظرية المزج على تمثيل ما يجري من العمليات العرفنية آن القولِ والتفكيرِ، وتجتمع تلك العمليات فيما يسميه أصحابها شبكة المزج المفهومي. وقوام هذا المنوال عدد من العناصر والعمليات منها الأفضية الذهنية والإسقاط ما بين الأفضية والفضاء الجامع والمزج والإسقاط الانتقائي والتركيب والإكمال (الإتمام) والبلورة فالبنية الناشئة"[٢]. ونوضح مكونات هذه النظرية خطوة فخطوة.

بُغيةَ تفسير استعارة الجراح جزار اقترح فوكونيي وتورنر أن شبكة الدمج تتكون من فضاءي دَخْل، حيث تربط عناصر كل دَخْلٍ input عن طريق الإسقاطات. ويفسر الشكل التالي ذلك:

(١) مُحَمَّد غاليم، نظرية المزج التصوري عند فوكونييه وتورنر، مقال غير منشور (زودني به الأستاذ مُحَمَّد غاليم إجابةً عن بعض التساؤلات حول العرفانية).

(٢) الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية (٢٠١٠): ٢٢٩-٢٣٠.

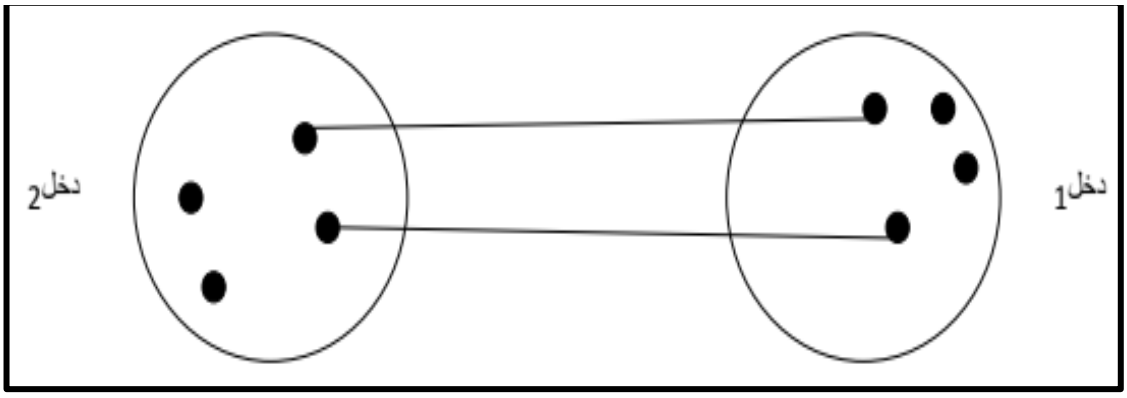

شكل (١): روابط العناصر عبر الدخلين

يتكون الشكل أعلاه من فضاءي دخل أشير إليهما بدائرتين، وعناصر أشير إليها بنقط سوداء، وإسقاطات بين الدخلين أشير إليهما بخطوط أفقية. وحتى هذا الحدود فإن نظرية المزج التصوري تشبهُ نظرية الاستعارة التصورية، إلا أن الفرق بين الفضاءات الذهنية والمجالات، هو أن المجالات بنياتُ معرفةٍ موجودة سلفا وثابتة نسبيا، بينما الفضاءات الذهنية بنياتٌ مؤقتة تُبتكرُ خلال العملية الآن قولية on-line لبناء المعنى.

غير أن شبكات الدمج في نظرية المزج ليست متكونة من فضاءي الدخل فحسب، بل هي مُكَوَّنَةٌ من وحدات متعددة الفضاءات، مثل شبكات الفضاء الذهني تمامًا. والفضاء الذي يعمل على بناء المعنى وعلى مزج فضاءي الدخل يدعى الفضاء العام، والذي يقدِّمُ معلوماتٍ مجردة على نحو كاف لتصبح مشتركة بين كلا الفضاءين (الأدوار الدلالية: منفذ، مستفيد، وسيلة، إلخ). وتُربطُ العناصر في الفضاء العام بالنظائر في فضاءي الدخل، مُحَفِّزَةً بذلك تحديد النظرَاء في فضاءي الدخل. ونوضح ذلك في الشكل التالي:

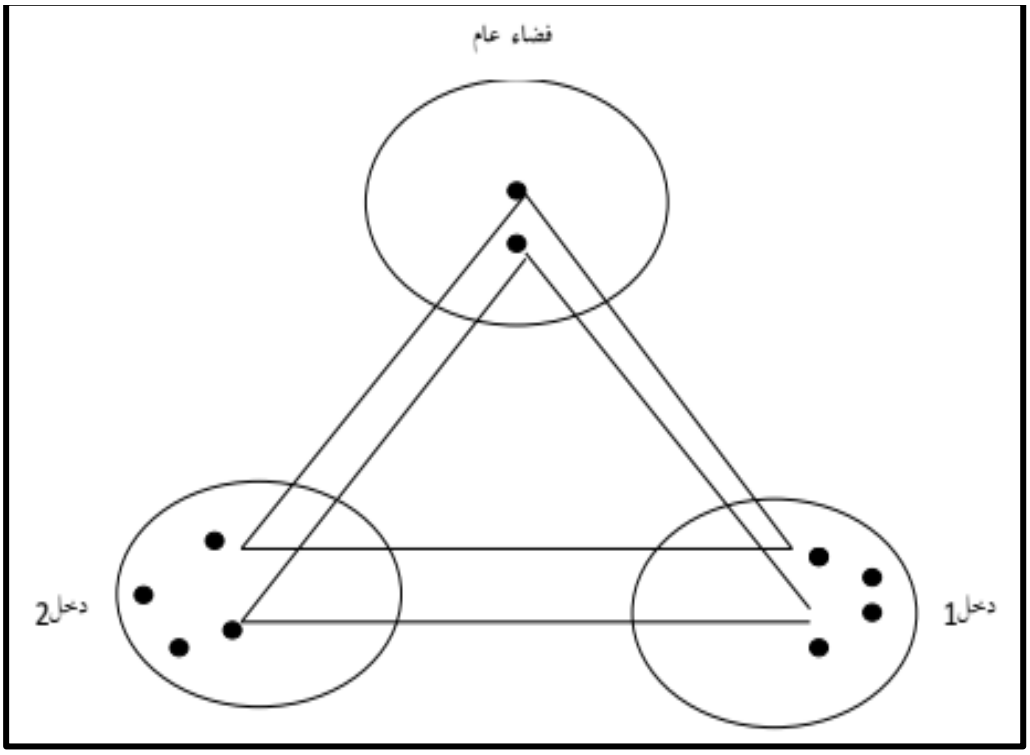

شكل (٢): إضافة الفضاء العام

يضيف الشكل أعلاه، الفضاء العام، وهو يضم كما قلنا معلومات مجردة مشتركة بين الفضاءين، ومعنى ذلك أنه يقدم أدوارا دلالية لعناصر الدخلين، من قبيل: المنفذ والهدف والوسيلة والعامل والمستفيد، إلخ. فلو رجعنا إلى استعارة الجراح جزار، لوجدنا في الفضاء العام أدوار العامل والخاضع والوسيلة والفضاء، إلخ.

والإضافة الحقيقية لنظرية المزج هي أنها تدَّعي أنه أثناء عملية المزج بين فضاءي الدخل تنتُجُ بنية منبثقة عن هذه العملية تدعى الفضاء الممزوج أو فضاء المزج، وهي تحتوي على معلومات جديدة غير موجودة في فضاءي الدخل. يأخذ المزج عناصر من الفضاءين (كما هو مشار إليهم بواسطة الخطوط المتقطعة)، مؤديا إلى تقديم بنية إضافية تميّزُ المزج من الدخلين المكونين له. وأوضح ذلك أيضًا في الشكل أسفله:

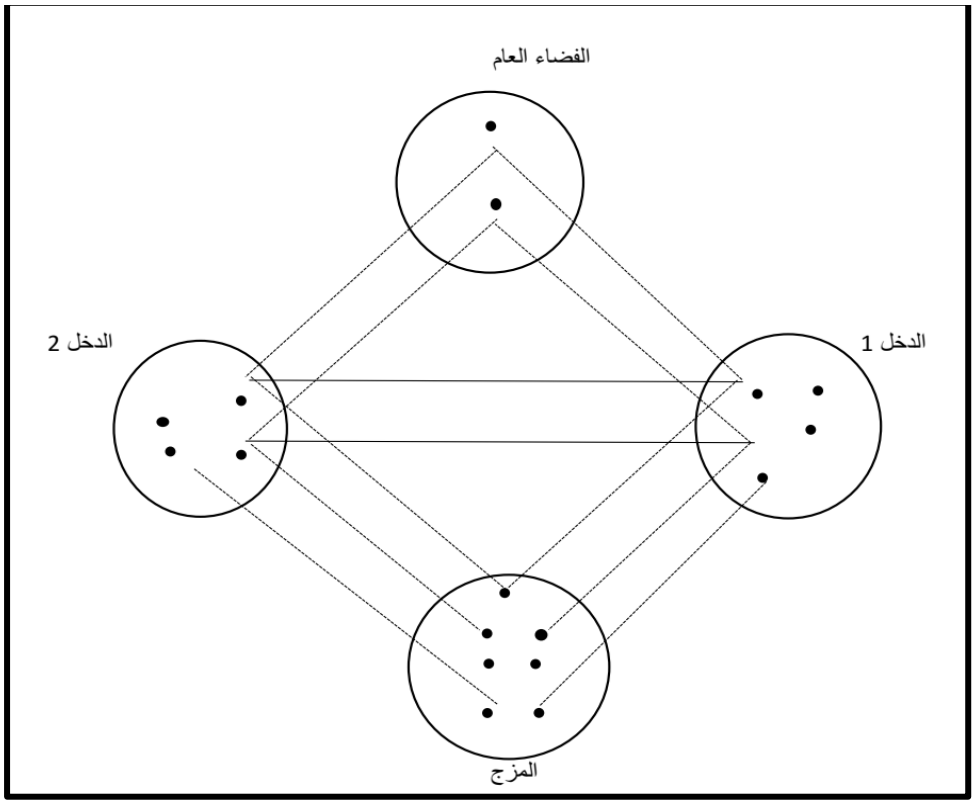

شكل (٣): شبكة الدمج الأساسية

إن هذه البنية البارزة قادرة على تفسير التقييم السلبي المرتبط باستعارة "الجراح جزار. إذ رغم أن الجزارة مهنة تتطلب مهارة عالية، إلا أن مهاراتها غير ملائمة لإنجاز عملية جراحية لمرضى بشريين؛ فبينما تحاول الجراحة إنقاذ أرواح الناس، تشتغل الجزارة بتقطيع أوصال الذبائح. من ثم يتضمن عمل الجراحة الإصلاح وإعادة البناء. بينما الجزارة تتضمن تقطيع الأوصال ... إلخ.

ويلخص الزناد مرة أخرى عناصر نظرية المزج في قوله: "أما الأفضية فأربعة: فضاءان دخلان وفضاء جامع وفضاء مزيج. يمثل الواحد من الفضاءين الدخلين (حدثين كانا أو واقعتين او مفهومين) مصدرين للإسقاط يمتزجان في الفضاء المزيج، ويربط بينهما إطار خطاطي يجمع العناصر المشتركة بينهما يمثله الفضاء الجامع، والمزج عملية يتطابق بمقتضاها الفضاءان الدخلان تطابقا جزئيا، وينعكس قسم من عناصر كل منهما عن طريق الانتقاء في فضاء رابع هو الفضاء المزيج (...) والفضاء المزيج فضاء تتوالف فيه مكونات مختلفة من

الفضاءين الدخلين لينشأ فيه عن طريق الاستدلال معان جديدة ما من أثر لها في الفضاءين الدخلين"[١].

ويُسَهِّلُ الفضاء العام تماهي النظرَاء في فضاءي الدخل عبر العمل كقالب لبنية مشتركة. إن هذه النظائر هي التي يمكن أن تسقط في المزج. وشبكة الدمج لهذا المزج موضحة في الشكل أدناه:

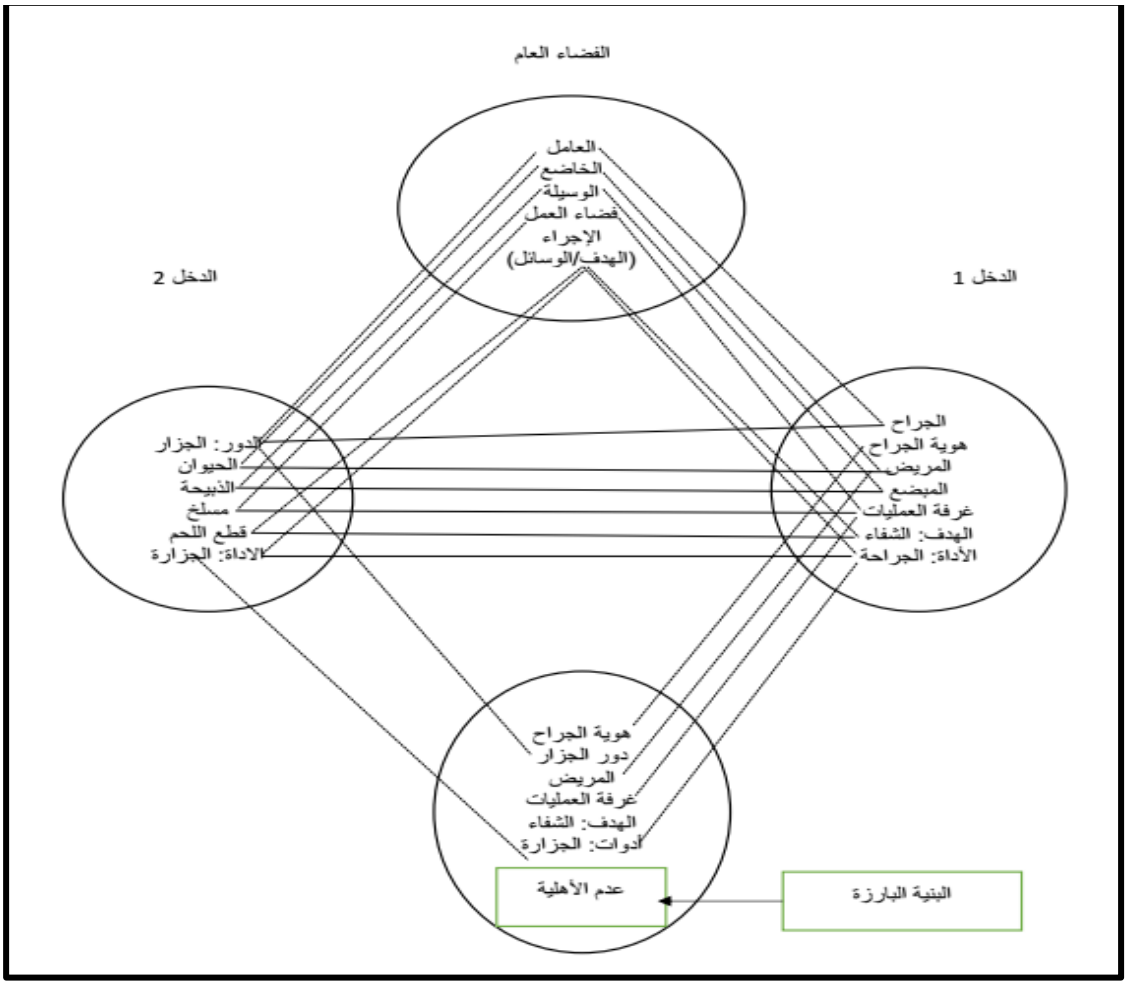

شكل (٤): شبكة مزج الجراح بوصفه جزارا

إن هذا النوع من الاستعارات هو الذي حفز على قيام فوكونيي وتورنر بتطوير نظرية المزج، غير أن نظرية المزج لا تقتصر على هذا النوع فقط بل تشمل أنواعا أخرى من التفكير البشري اللغوي منها وغير اللغوي.

(١) الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية (٢٠١٠): ٢٣٠.

٣-٢-٣- عناصر المزج التصوري:

حدد مارك وتورنر ثلاثة عمليات مُكَوِّنَةٍ تؤدي إلى البنية البارزة، في نظرية المزج، وهي: التأليف، والإتمام، والبلورة. تتضمن العملية المكوِّنَةُ الأولى تركيبا بين عناصر من دخلين منفصلين، ففي المثال أعلاه تُرَكَّبُ عناصر مسقطة من دَخْلِ الجراح بتلك العناصر المسقطة من دَخْلِ الجزار ويحدث تبعًا لذلك علاقات لم تكن موجودة في ذينك الفضاءين منفصلين. و"تنشئ عملية التركيب فضاءً مزيجًا قد يوافق الواقع وقد يخالفه، من ذلك أن اشتغال جزار في قاعة العمليات بأدواته وطريقته المعلومة أمر مستبعد، ولكن ذلك لا يمنع من تصور المشهد تصورا افتراضيا"[(١)]. أما عملية الإتمام فتتضمن التوظيف غير الواعي والسَّهْلَ للأطر الخلفية. وفيها يُكْسَى "النموذج التصوري الذي ينشأ في الفضاء المزيج بالتركيب، أبعادا ما بالعود إلى المعارف العامة المحفوظة في الذاكرة طويلة المدى"[(٢)]. وتكمل هذه المعارف التأليف؛ فمهارات الجزارة غير مطلوبة في الجراحة، واعتمادها يسبب أذى للمرضى، ومن ثم عدم كفاءة الجراح. وهكذا تنتج البنية البارزة عن طريق البلورة التي تعمل على تشغيل المزج.

٣-٢-٤- حدود نظرية المزج التصوري:

يشيرُ مُحَمَّد الصالح البوعمراني إلى أن فهم الاستعارة يقتضي إدراك ضمنياتها التداولية، مشيرا إلى أن الباحثين لين براندت Line Brandt وبير إيج براندت Per Aage Brandt "أدخلا تعديلات على نظرية المزج التّصورّي تساعد على فهم الاستعارة في سياقها التداولي، وأنشآ فضاءا جديدا وَسَمَاهُ بالفضاء

(١) الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية (٢٠١٠): ٢٣١

(٢) المصدر السابق.

السيميائي"[١]. يضم هذا الفضاء مختلف المعلومات التي تتعلق بالتواصل المنتج للمزج، فلو أخذنا مثلا مثال 'هذا الجراح جزار'، نجد الباحثين يفترضان امرأة أجرت عملية تجميلية، تكتشف أن أثر الجارحة بارز، وأن الجراح شوه جسدها، وفي سياق شكواها إل زوجها قالت إن 'هذا الجراح جزار'. ويقر الباحثان بأن "هذه المعاني السياقية لا يمكن الوصول إليها بمجرّد إسقاط الميدان المصدر على الميدان الهدف، أو المزج بين فضائيين دخلين"[٢]. تبعًا لذلك يحدد الباحثان منهجية تحليل الأمزجة، **في خمس خطوات نوردها كالتالي**:

١- فهم الجملة: فهم عملية الإسناد القائمة بين الجرّاح والجزّار.

٢- بناء الفضاء الاستعاري: إدراك المخاطب أن الملفوظ استعاري.

٣- بناء المزج: إدراك المعنى المقصود من التعبير الاستعاري.

٤- المعنى المنبثق: وهو المعنى التقييمي الناشئ عن هذا المزيج.

٥- معرفة الضمنيات التداولية التي تنشأ عن المعنى المزيج والظروف التي حكمت عمليّة التواصل"[٣].

كما يشير البوعمراني إلى إضافة كوفيتش الذي نبَّه إلى أن الإسقاط بين الفضاءين ليس انتقائيا وإنما تحكمه أهداف معينة. واعتبر الباحث الهنغاري أن الثقافة لها دور هام في تفسير هذه الإسقاطات. فالإسقاط "ليس إسقاطا آليا فيه نسقط جميع خاصيّات الميدان المصدر على الميدان الهدف، إنما هو إسقاط انتقائي (selective projection)، فيه يقع التبئير على خاصيات دون أخرى، وهو بذلك إسقاط تتحكم فيه الثقافة، التي تحدد فهمنا للاستعارة وفهمنا للعالم"[٤].

(١) مُحَمَّد الصالح البوعمراني، الاستعارات التصورية وتحليل الخطاب السياسي (٢٠١٥): ٢٠.

(٢) مُحَمَّد الصالح البوعمراني، الاستعارات التصورية وتحليل الخطاب السياسي (٢٠١٥): ٢٧.

(٣) **المصدر السابق**: ٢٧.

(٤) **المصدر السابق**: ١٦.

خاتمة الفصل:

حاولتُ في هذا الفصل أن أضعَ بحثي في إطاره النظري والتحليلي. وقد أشرتُ إلى أن الإطار العام للبحث هو اللسانيات العرفانية، التي تدرس هي الأخرى اللغةَ لكن من منظور عرفاني يعدُّ اللغة تعبيرا عما هو موجود في الذهن البشري. وخصصتُ بعد ذلك هذا الإطار في الدلالة العرفانية التي توجهها مجموعة من المبادئ في دراسة البنية الدلالية من أجل الوصول إلى البنية التصورية. وحددتُ من نظريات الدلالة العرفانية نظرية الاستعارة التصورية ونظرية المزج بالوصف والعرضِ، لكوني أتخذهما إطارا تحليليا، حيث إني أراهما إطارين يكمل بعضهما الآخر من حيث العدة الوصفية والتفسيرية، علاوة على كونهما يتضمنان النظريات والمقاربات الأخرى في الدلالة العرفانية. وقد سقتُ في إطار الحديث عن هاتين النظريتين بعض الانتقادات التي وجهت لهما وبعض الإضافات التي يعدُّ الأخذ بها في الاعتبار عاملًا مساهمًا في كشف نسق التصورات الذهنية في أركان الإسلام.

الفصل الثاني

دراسة وصفية لمعجم: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني

المبحث الأول: ترجمة الراغب الأصفهاني.

المبحث الثاني: التعريف بالمعجم.

المبحث الثالث: مميزات المعجم.

المبحث الرابع: موضوع المعجم.

المبحث الخامس: منهج تأليف المعجم.

الفصل الثاني
دراسة وصفية لمعجم: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني

تقديم:

أسهم التعدد القَبَلِيُّ للعرب في إنتاج قاموس لغوي غني. ويظهر هذا بجلاء في الشعر العربي القديم الذي يضم ألفاظا عديدة تصف دقائق الأمور في العالم ومكوناته، سواء كان بشرًا أو حيوانًا أو جمادًا، لكن هذه الثروة اللغوية لم يكن ليحفل بها أحد لولا نزول القرآن الكريم؛ إذ سرعان ما وجد العرب أنفسهم مدفوعين إلى البحث عن معاني بعض الكلمات التي لم يعرفوا معناها. وَمِنْ ذلك ما روي عن عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، أنه سئل عن معنى لفظة (حنانًا) في قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا﴾ (مريم/١٥)، فأشار إلى عدم معرفته معناها، وقد فسرها الراغب في المفردات بقوله: "ولما كان الحنين متضمنا الإشفاق، والإشفاق لا ينفك من الرحمة، عبَّر عن الرحمة به في نحو قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا﴾ [مريم/ ١٣] ومنه قيل الحنَّان والمنَّان"[(١)].

ويرى الدكتور حسين نصار أن تاريخ المعجم العربي من الصعب ربطه بتدرج معين؛ فـ"فكرة التسلسل معقولة صحيحة نظريا لا عمليا، أما المراحل التي قطعتها الدراسات اللغوية فعلا فتختلف عن ذلك في المرحلة الأولى، وتقر بوجود المرحلتين الثانية والثالثة"[(٢)]. لكنَّه يقرُّ بأن "تفسير غريب القرآن ومشكله أولى الحركات

(١) الراغب (٢٠٠٩): ٢٥٩.

(٢) يقصد الدكتور حسين نصار بهذه المراحل تقسيم أحمد أمين في كتابه ضحى الإسلام تاريخ المعاجم إلى مرحلة جمع الكلمات بدون ترتيب، ثم مرحلة جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد ككتاب المطر مثلا، ثم مرحلة وضع معجم يشمل كل الكلمات العربية على نمط خاص. وينتقد الباحث حسين نصار هذا التقسيم ويعتبره لا ينطبق على تاريخ المعجم العربي (ينظر: نصار، حسين، المعجم العربي: نشأته وتطوره (١٩٨٨): ٢٩، دار مصر للطباعة.

العلمية التي رآها العرب"[١]. ويميز نصار في الحركات العلمية التي عرفتها المعاجم العربية بين ثلاثة توجهات؛ يتعلق التوجه الأول بجمع مصطلحات في موضوعات معينة، بينما يرتبط التوجه الثاني بتأليف معاجم تختلف في المنهج والميول، في حين اهتم التوجه الثالث بنقد المعجمات استدراكا واختصارا وشرحا[٢].

نستنتج من هذا أن التأليف المعجمي اهتمَّ بأربعة أمور: غريب القرآن والنوادر والرسائل والمعاجم. وقد استفاد مؤلفو غريب القرآن من هذا التراكم في التأليف المعجمي. فقد طوروا آلياتهم التأليفيَّةَ، واعتمد معظمهم طريقة التأليف بحسب الحرف الأول من الكلمة، كما أشار إلى ذلك أحمد الباتلي في قوله: "وسار مؤلفو غريبي القرآن والحديث على هذه الطريقة في مؤلفاتهم"[٣]. ويرتب هذا الباحث أهم هذه المعاجم التي عنيت بغريب القرآن **في المعاجم التالية:**

- غريب القرآن المسمى 'نزهة القلوب في تفسير علام الغيوب' للإمام أبي بكر مُحَمَّد بن عزيز السجستاني (ت٣٣٠هـ). ويشرح فيه السجستاني المفردات القرآنية بإيجاز بحسب الحرف الأول سواء كان مفتوحا أو مضموما أو مكسورا.
- 'المفردات في غريب القرآن' للإمام أبي القاسم الحسين بن مُحَمَّد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ). وسنفصل فيه فيما بعدُ.
- 'تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب' للإمام أبي حيان الدين مُحَمَّد بن يوسف الأندلسي (ت٧٤٥هـ). وهو يفسر المفردات تفسيرًا موجزًا.

---

(١) **المصدر السابق**: ٢٧.

(٢) حسين نصار، المعجم العربي: نشأته وتطوره (١٩٨٨): ١.

(٣) حسين نصار، المعجم العربي: نشأته وتطوره (١٩٨٨): ٢٩.

- 'إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم' للإمام الحسين بن مُحَمَّد الدامغاني. وهو إصلاح وتعقيب على كتاب 'الوجوه والنظائر' لأبي الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي (ت١٥٠هـ).
- معجم غريب القرآن 'مستخرجا من صحيح البخاري' للشيخ مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي (ت١٣٨٨هـ).
- معجم الألفاظ والأعلام القرآنية تأليف الأستاذ مُحَمَّد إسماعيل إبراهيم (نُشِرَ سنة ١٩٩٨)[١].

ولا تشمل هذه اللائحة كل ما ألف في غريب القرآن، بل هي أهم المؤلفات فيه فقط. فقد أشار السيوطي إلى أن غريب القرآن علمٌ "أَفْرَدَهُ بالتصنيف خلائق لا يحصون"[٢]. والسبب وراء التأليف في هذا العلم هو خشية الوقوع في الخطأ في القرآن الكريم فهمًا ونطقًا، ورغبةً في التدبر والغوص في فهمه، وهو أمر لا يحصل دون معرفة دلالة المفردة، بالنظر إلى معناها اللغوي الدقيق الذي يميزها عن غيرها من المترادفات، مع إبراز الفروق بينها، ثم باتساقها مع كامل معنى الآية، وهذا المنحى هو أهم مجال عُنِيَ المفسرون ببيانه؛ ذلك أن المبتدئ في تعلم القرآن الكريم وعلومه يواجه صعوبة بشكل ما في فهم دلالة بعض مفرداته التي تحتمل وجوها متعددة من المعاني، أو تتداخل في دلالاتها مع غيرها من المفردات، ولا سبيل لتدبر المراد إلا من خلال معرفة الفروق الدلالية بين الكلمات. ولعل هذه الأمور هي ما عُنِيَ بها الراغب الأصفهاني في كتابه 'المفردات في ألفاظ القرآن'، مع زيادة تتبعه للمعاني المجازية للمفردات القرآنية، مما يجعله منفردا في منهجه عن المعجمات السابقة له. وقد عبر عن ذلك الزركشي أثناء حديثه عن المؤلفات التي ألفت في غريب القرآن بقوله: "النوع الثامن عشر: معرفة غريبه، وهو معرفة المدلول، وقد صنف فيه جماعة، (...) ومن أحسنها كتاب "المفردات للراغب"[٣].

(١) أحمد الباتلي، المعاجم اللغوية وطرق ترتيبها (١٩٩٢): ٢٩-٣١، دار الراية، الرياض.
(٢) جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (٢٠٠٦): (٣/٢)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الغد الجديد، القاهرة، ط: الأولى.
(٣) الراغب (٢٠٠٩): ١٩.

وسأحاول أن أقدم دراسة مفصَّلةً لهذا المعجم، مبتدئة بالتعريف بمؤلِّفِهِ، ثم وصف الكتاب، فبيان موضوعه ومنهج تأليفه. ثم أقدم توضيحا بخصوص موقع هذا المعجم من البحث وإشكاليته.

١- ترجمة الراغب الأصفهاني:

يمكن تناول ترجمة هذا الكتاب المعجمي انطلاقًا من مجموعة من النقط، أوردها كالتالي:

- **اسمه ونسبه:** اختلف المترجمون في اسم الراغب، فمنهم من قال اسمه هو الحسين بن المفضل أبو القاسم الأصفهاني المعروف بلقب الراغب[١]، ومنهم من قال إن اسمه هو المفضل بن مُحَمَّد[٢]. غير أن المشهور عند المترجمين له هو اسم الحسين. يقول الذهبي عنه: "العلامة الماهر، المحقق الباهر أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد بن المفضل، الملقَّبُ بالراغب صاحب التصانيف"[٣].
- **نشأته وحياته:** لا تفيدنا المراجع بتدقيق محل ولادة الراغب هل هي أصبهان أو أصفهان. ويقدم الباحثون أسبابا لذلك أهمها أنه لم يتبوأ مناصبَ تجعل الناس يعنون بحياته، بالإضافة إلى كونه كان من الحكماء؛ والحكماء مبغوضون من العامة[٤]. إلا أن هناك بعض الشذرات التاريخية التي تشير إلى أنه شارك أهل العلم مجالسهم في بغداد، لا سيما مجلس الصاحب بن عباد مع أبي القاسم بن أبي العلاء. ويشير الزركلي إلى أنه من أهل أصبهان، وأنه سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي[٥].

(١) **ينظر:** خير الدين الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب والمتعربين والمستشرقين، (١٩٩٩): ٢٥٥.

(٢) **ينظر:** جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، (٢٠٠٤): ٢٩٧/٢.

(٣) **ينظر:** الحافظ الذهبي، سير أعلام النبلاء (٢٠٠١): ١٢١/١٨-١٢٢.

(٤) **ينظر:** الراغب (٢٠٠٩): ٢٧.

(٥) **ينظر:** الزركلي، الأعلام (١٩٩٩): ٢٥٥/٢.

- **مؤلفاته:** كان الراغب من العلماء المكثرين في التأليف والتصنيف. وذلك راجع إلى ما عرفه القرن الرابع الهجري من ازدهار علمي في مختلف العلوم اللغوية والبلاغية والقرآنية. **ومن كتب الراغب نذكر المؤلفات التالية**[١]:

- محاضرات الأدباء ومحاورات البلغاء والشعراء.
- الذريعة إلى مكارم الشريعة.
- أخلاق الراغب أو كتاب الأخلاق.
- جامع التفسير.
- المفردات في غريب القرآن .
- حل متشابهات القرآن.
- تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين.
- تحقيق البيان في تأويل القرآن.
- رسالة في الاعتقاد.
- أفانين البلاغة.
- التفسير الكبير أشار إلى وجوده الفيروز آبادي.
- التفسير الصغير أشار إليه صاحب كتاب كشف الظنون.
- مختصر تفسير متشابهات القرآن.

(١) **ينظر**: الراغب (٢٠٠٩): ٩-١٠، وينظر أيضا: الزركلي، الأعلام (١٩٩٩): ٢/ ٢٥٥.

- **مكانته العلمية:** قال عنه الذهبي: "العلامة الماهر المحقق الباهر، صاحب التصانيف، وكان من أذكياء المتكلمين"(١)، كما قال الصفدي عنه:" أحد أعلام العلم، ومشاهير الفضل، متحقق بغير فضل من العلم، وله تصانيف تدل على تحقيقه وسعة دائرته في العلم وتمكنه منها"(٢). ونستنتج من هذه الأوصاف التي قدمها الذهبي والصفدي أن الراغب كان معروفا بالتصنيف، وهو ما وضحناه أعلاه، كما يدل على معرفته بمذاهب التكلم والاختلاف الفقهي بين المتكلمين. وهو أمر جعل المحققين يختلفون في الفرقة التي ينتمي إليها. فمنهم من قال إنه معتزلي، ومنهم من قال إنه شيعي، وآخرون قالوا إنه من أهل السنة والجماعة(٣)، وهو ما رجحه بعض العلماء، نظرًا لكونه كان يؤيد آراء أهل السنة. وهو ما يؤكده السيوطي في قوله: "وقد كان في ظني أن الراغب معتزلي، حتى رأيت بخط الشيخ بدر الدين الزركشي على ظهر نسخة من القواعد الصغرى لابن عبد السلام ما نصه: ذكر الإمام فخر الدين الرازي في تأسيس التقديس في الأصول أن أبا القاسم الراغب من أئمة السنة، وقرنه بالغزالي، قال: وهي فائدة حسنة، فإن كثيرا من الناس يظنون أنه معتزلي"(٤).
- **المصادر التي اعتمدها في كتابه:** لقد أشرتُ سابقا إلى أن التأليف المعجمي تطور تدريجيا وأخذ المتأخر عن السابق طرق التأليف ومعاني الكلمات، ويُلمس في كتاب الراغب حضور مجموعة من المعاجم التي استفاد منها، وهي معاجم حددها محققو الكتاب **فيما يأتي:**

١. كتاب المجمل في اللغة لابن فارس، ويتجلى أخذ الراغب منه في طريقة ترتيب الكتاب.

---

(١) شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء (١٩٩٦): ١٢١/١، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات (٢٠٠٠): ٢٩/١٣ تحقيق أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت.

(٣) **ينظر**: الراغب (٢٠٠٩): ٨.

(٤) جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (٢٠٠٤): ١٩٧/٢، تحقيق:عبد الرحمن الزاواوي، دار الغد الجديد، القاهرة، ط: الأولى.

٢. كتاب الشامل في اللغة لأبي منصور الجبان، وأخذ منه الراغب كثرة الألفاظ وقلة الشواهد والاهتمام بالدلالات المعجمية.

٣. تهذيب الألفاظ لابن سكيت، وقد نقل بعض معاني الكلمات، وأشار إليه بالاسم.

٤. المسائل الحلبيات لأبي علي الفارسي، وقد نقل عنه بعض معاني الكلمات أيضًا.

٥. معاني القرآن للفراء، أخذ عنه بعض معاني الكلمات.

- **وفاته:** اختلفت المصادر في سنة وفاته، فذكر السيوطي أنه توفي في أوائل المائة الخامسة[١]، ويرجح أبو زيد العجمي أن وفته كانت في سنة ٥٠٢هـ. غير أن صفوان عدنان داوودي يرى خلاف ذلك، إذ يقول: "بعد كل هذا نقول: إن الأرجح أن وفاته في حوالي سنة ٤٢٥هـ وهذا يتفق مع ما ذكره السيوطي، ويقارب ما ذكره الذهبي، ويقارب ما وجد على النسخة الخطية في دمشق والذي يؤكد لنا هذا، ويبعد ما وجد على النسخة الخطية الدمشقية ٤١٢هـ أنه نقل عن أبي منصور الجبان من كتابه 'الشامل في اللغة' وقد ذكر ياقوت والسيوطي أن الجبان أقرأ كتابه الشامل في أصفهان سنة ٤١٦هـ"[٢].

٢- التعريف بالمعجم:

اختار الراغبُ ألفاظ القرآن الكريم لتكون مصدرًا لدراسته الدلالية والمعجمية، وامتاز بتدقيقه ورصانته العلمية، فكان من أجلّ ما صنِّف في بابه، وقد أشار المؤلف نفسه إلى ذلك في مقدمة الكتاب بقوله:

(١) **ينظر**: المصدر السابق.

(٢) الراغب (٢٠٠٩): ٢٥.

"وذكرتُ أن أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، وتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن"(١).

وأقدم هنا عرضًا لبطاقة الكتاب:

- **عنوان الكتاب:** مفردات ألفاظ القرآن.
- **اسم المؤلف:** الراغب الأصفهاني.
- **حققه وعلق عليه:** أبو عبد الله مصطفى العدوي.
- **حقق نصوصه:** ناصر أحمد الدمياطي.
- **دار النشر:** مكتبة فياض للتجارة والتوزيع، المنصورة، مصر.
- **مجاله:** علوم القرآن.
- **حجم الكتاب:** يقع في مجلد واحد، وعدد صفحاته: ثلاث صفحات وسبعمائة صفحة.
- **محتويات الكتاب:** تضمن الكتاب ثلاث مقدمات: مقدمة للمحقق، وتحدث فيها عن هدفه من التحقيق، وهو النظر في الأحاديث التي أوردها الراغب، وكذلك الآثار، وتخريجها باختصار شديد، مع بيان الحكم عليها من ناحية الصحة والضعف، وأشار إلى عدد من الملاحظات التي بدت له في أثناء عمله في الكتاب. تَلِيَتْهَا مقدمة لمحقق النص، أشاد فيها بجهود الراغب في تأليفه للكتاب، وذكر جهوده في تدقيق النص وضبطه؛ حيث قارن النص بثلاث نسخ خطية، وبنسخة دار القلم المقارنة بخمس نسخ خطية غير الثلاث الأولى، وفيها أيضًا وصفٌ لطريقته في تحقيق النص، ثم تعريف بالمؤلف، ويليها وصف للنسخ الخطية للكتاب. ثم مقدمة المؤلف، وفيها حديث عن القرآن الكريم

(١) **المصدر السابق:** ٢٤.

وعظمته، وأنه نور وهداية، لا ينالها إلا من كان يملك من صفاء القلب، ونقاء النفس، كي يطّلع من كتاب الله على ملكوت السماوات والأرض، فيتحقق من كماله وإعجازه، ثم حديث عن أهمية معرفة العلوم اللفظية التي بها يُستعان في كل بناء علمي نافع، ويتحدث بإيجاز عن منهجه في الكتاب، فيقول: "وقد استخرت الله تعالى في إملاء كتاب مستوفٍ فيه مفردات ألفاظ القرآن على حروف التهجي، فنقدم ما أوله الألف، ثم الباء على ترتيب حروف المعجم، معتبرا فيه أوائل حروفه الأصلية دون زوائد، والإشارة فيه إلى المناسبات التي بين الألفاظ المستعارات منها والمشتقات حسبما يحتمل التوسع في هذا الكتاب"(١).

٣-موضوع المعجم:

اختار الكاتب ألفاظ القرآن الكريم لتكون مصدرًا لدراسته الدلالية والمعجمية، وامتاز بتدقيقه ورصانته العلمية، وقد يكون من أَجَلِّ ما صنِّف في بابه(٢). ويشير المؤلف نفسه إلى الهدف من تأليفه لهذا المعجم في مقدمة الكتاب بقوله: "وذكرت أن أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن: العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية: تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللَّبِنِ في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبنيه، وليس ذلك نافعا في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع. فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم"(٣).

---

(١) الراغب (٢٠٠٩): ٢٥.

(٢) الراغب (٢٠٠٩): ٥.

(٣) **المصدر السابق**: ٤٥-٥٥.

إذن موضوع المعجم 'ألفاظ القرآن'، أي الكلمات الموجودة بين دفتي القرآن، ومن ثم سيبحث المؤلف عن معاني تلك الكلمات مع تغير السياقات. وهو علم شريف وأساسي لأي راغب في فهم القرآن وفهم علومه وغير ذلك مما يمكن أن يستنبط منه. فما المنهج الذي انتهجه الراغب في تأليفه للمعجم؟

٤- منهج تأليف المعجم:

سأَتَّبِعُ في حديثي عن منهج الراغب في تأليف معجمه طريقة تتمثل في تقديم مثال من المعجم، لأستخلص منه طريقة عمل المؤلف في تأليف معجمه، ومواضيع تركيزه، وسبب الملاحظات التي وُجِّهت له.

جاء في المادة الأولى (أبا) من كتاب الألف في معجم مفردات ألفاظ القرآن ما يأتي: "الأب الوالد، [والأبو: الغذو، ولهذا قيل للأب: أب، لأنه يغذو ولده]، ويسمى كذلك كل من كان سببا في إيجاد شيء أو صلاحه أو ظهوره أبا، ولذلك سمي النبي ﷺ أبا المؤمنين، قال الله تعالى (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) (الأحزاب، ٦). وفي بعض القراءات: (وهو أب لهم). وروي أنه ﷺ قال لعلي: (أنا وأنت أبوا هذه الأمة). وإلى هذا أشار بقوله: "كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي".

ويسمى العم مع الأب أبوين، وكذلك الأم مع الأب، وكذلك الجد مع الأب، قال تعالى في قصة يعقوب: (ما تعبدون من بعدي؟ قالوا: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب إلها واحدا) (البقرة، ١٣). وإسماعيل لم يكن من آبائهم وإنما كان عمهم.

وسمي معلم الإنسان أبا لما تقدم ذكره، وقد حمل قوله تعالى (إنا وجدنا آباءنا على أمة) (الزخرف، ٢٢). على ذلك أي علماءنا الذين ربونا بالعلم. وقيل في قوله (أن اشكر لي ولوالديك) (لقمان، ١٤). إنه عنى الأب الذي ولده والمعلم الذي علمه.

وقوله تعالى (ما كان مُحَمَّد أبا أحد من رجالكم) (الأحزاب، ٤٠). إنما هو نفي الولادة، وتنبيه أن التبني لا يجري مجرى البنوة الحقيقية.

وجمع الأب آباء وأبوة، نحو: بعولة وخؤولة، وأصل (أب) فعلٌ، وقد أجري مجرى قفا وعصا في قول الشاعر: إن أباها وأبا أباها.

ويقال أبوت القوم: كنت لهم أبا. وزادوا في النداء فيه تاء، فقالوا يا أبت. وقولهم بأبأ الصبي، فهو حكاية صوت الصبي، إذا قال بابا"[١].

نلاحظ من خلال هذا المثال أن الراغب بدأ تعريف كلمة (أب) بإعطاء معناها الحقيقي أي الغَذْوُ، ثم انتقل مباشرة إلى الحديث عن معانيه المجازية، وهي:

المعنى الأول: الأب هو الذي يكون سببا في إيجاد شيء ما أو صلاحه أو ظهور. وهذا المعنى يشتقه الراغب أو يستدل عليه إن صح التعبير من قوله تعالى (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) (الأحزاب، ٦). ويضيف الراغب قراءة شاذة، يقول فيها: وفي بعض القراءات: (وهو أب لهم). ويعلق المحقق صفوان عدنان داوودي على هذا الاستشهاد بالقول: "وبها قرأ ابن عباس، وأبي بن كعب وهي في مصحفه، وهي قراءة شاذة منسوخة[٢]. بالإضافة إلى استشهاد الراغب بحديث نبوي، أو إن صح التعبير بحديث نسبه إلى النبي، ونصه: (أنا وأنت أبوا هذه الأمة). هذا الحديث يعلق عليه داوودي بالقول: "الحديث لم أجده ولعله من وضع الشيعة، والله أعلم"[٣].

(١) الراغب (٢٠٠٩): ٥٧-٥٨.

(٢) الراغب (٢٠٠٩): ٥٧. الهامش ١.

(٣) **المصدر السابق**: ٢٠. الهامش ٢.

المعنى الثاني: يطلق على العم أو الجد أو الأم مع الأب أبوين. وأخذ الراغب هذا المعنى من قوله تعالى (ما تعبدون من بعدي؟ قالوا: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب إلها واحدا) (البقرة، ١٣). ويعلق الراغب على هذه الآية قائلا: "إسماعيل لم يكن من آبائهم وإنما كان عمهم"، وهذا بالطبع يجيز إطلاق الأب على العم أيضًا.

المعنى الثالث: يعنى بالأب المعلم. ويشير الراغب إلى أن قوله تعالى (إنا وجدنا آباءنا على أمة) (الزخرف، ٢٢). تعني فيها كلمة آباءنا: علماءنا الذين ربونا بالعلم. ثم يضيف تفسيرًا آخر يقرن لفظ المعلم بالوالدين في قوله تعالى (أن اشكر لي ولوالديك) (لقمان، ١٤)، بالقول "إنه عنى الأب الذي ولده والمعلم الذي علمه".

المعنى الرابع: للأب دلالة عدم جواز التبني، ويدل على ذلك قوله تعالى (ما كان مُحَمَّد أبا أحد من رجالكم) (الأحزاب، ٤٠). يعلق الراغب على هذه الآية بالقول إنها جاءت لـ"نفي الولادة، والتنبيه أن التبني لا يجري مجرى البنوة الحقيقية".

بعد حديث الراغب عن المعاني المجازية توقف أيضًا عند القضايا الصرفية والنحوية والدلالية، عند الإشارة إلى أصل (أبٌ) أي فعلٌ، وأيضًا بالإشارة إلى أن قولنا: (أبوت القوم) أي: كنت لهم أبا. والإشارة إلى أصل التاء في قولنا: (يا أبت)، وأنها تاء زيادة، بالإضافة إلى مفهوم بأبأ أي قول الصبي بابا. وقد استشهد الراغب في هذه القضايا اللغوية بشعر العرب وأقوالهم.

نستنتج إذن، أن الراغب يعمد إلى إيراد المعنى الحقيقي للكلمة ثم بعد ذلك يبحث عن معانيها المجازية في القرآن الكريم ثم بعد ذلك ينظر في القضايا النحوية والصرفية والدلالية المرتبطة بها. وهو فعله ذلك يستشهد بالقرآن وبالأحاديث النبوية وبأشعار العرب وأقوالهم. وهذا يؤكد أن معجم مفردات الراغب يهتم بالمعاني المجازية لألفاظ القرآن. ومن هنا سماه معجم مفردات ألفاظ القرآن.

٥-مميزات المعجم:

يتميز كتاب مفردات ألفاظ القرآن بمجموعة من المميزات أوردها على النحو التالي:

- **إعطاء قواعد عامة:** وذلك من خلال محاولته إحصاء الألفاظ فيعطي من خلاله قواعد في الأكثرية والكلية، والمستعمل والمهمل من الألفاظ. ومثال ذلك قوله في مادة 'سعى': "السَّعْيُ: المشيُ السريع، وهو دون العدو، ويستعمل للجدِّ في الأمر، خيرا كان أو أوشرا، قال تعالى: ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ [البقرة/١١٤]، وقال ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [التحريم/٨]... وأكثرُ ما يُستعمَلُ السَّعْيُ في الأفعالِ المحمودةِ"(١). وترتبط هذه القاعدة العامة بما يسمى في اللسانيات المعاصر بالتَّضَامَّاتِ؛ أي تحديدُ ما إذا كان استعمال الكلمات في معظم السياقات له دلالة سلبية أو إيجابية. وهذا يدلُّ على ذكاء الراغب وملاحظاته الدقيقة لمفردات ألفاظ القرآن واستعمالاتها المختلفة. ومن ثمَّ صياغة قواعد بشأنها، نحو قوله أيضًا: "قد تقدَّمَ أن الكثرةَ والقِلَة يستعملان في الكِمِّيَّةِ المنفَصِلَةِ كالأعدادِ"(٢). ومنه أيضًا قوله: "الرَّشْدُ أخصُّ من الرُّشْدِ، فإن الرُّشْدَ يقال في الأمور الدنيوية والأخروية، والرَّشْدُ يقال في الأمور الأخروية لا غير"(٣).
- **النقل مع الرد والتمحيص:** عندما ينقل الراغب في الكتاب بعضا من أقوال سلفه، فإنه يعرض القول، ثم يحاول التعليل والجمع بين الآراء إن وَجَدَ خِلَافًا، وينتقد بعضها ويبين ضعفها. ومن ذلك قوله في مادة 'ختم': "الخَتْمُ والطَّبْعُ يقال على وجهين: مصدر ختمتُ وطبعتُ، وهو تأثير الشيء كنقش الخاتمِ والطَّابَعِ. والثاني: الأثرُ الحاصْلُ عن النَّقْشِ، ويُتَجَوَّزُ بذلك تارة في الاسْتِيثَاقِ من

(١) الراغب (٢٠٠٩): ٤١١.
(٢) الراغب (٢٠٠٩): ٧٠٣.
(٣) **المصدر السابق:** ٣٥٤.

الشيء، والمنعِ منه اعتبارا بما يحصلُ من المنع بالختم على الكتب والأبواب، نحو: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة/٧]، وتارةً في تحصيل شيء عن شيء اعتبارا بالنقش الحاصل، وتارة يعتبرُ منه بلوغ الآخِرِ، ومن قيل: ختمتُ القرآن، أي: انتهيتُ إلى آخرِه، فقوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة/٧]،، إشارة إلى ما أجرى الله به العادة أنَّ الإنسان إذا تناهي في اعتقاد باطل، او ارتكاب محظور-ولا يكون منه تلفت بوجه إلى الحق-يورقه ذلك هيئة تمرِّنُهُ على استحسان المعاصي، وكأنما يختمُ بذلك على قلبه، وعلى ذلك: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وأَبْصَارِهِمْ﴾ [النحل/١٠٨]، (...) قال الجبائيَّ: يجعل الله ختما على قلوب الكفار، ليكون دلالة للملائكة على كفرهم فلا يدعون لهم، وليس ذلك بشيء فإن هذه الكتابة إن كانت محسوسة فمن حقها أن يدركها أصحاب التشريح، وإن كانت معقولة غير محسوسة فالملائكة باطلاعهم على اعتقاداتهم مستغنية عن الاستدلال"[(١)]. ونلحظ في هذا المدخل المعجمي دقة الدلالات المرتبطة بألفاظ القرآن الكريم حقيقة ومجازا، ثم ردَّ الراغب على ما ذهب إليه الجبائيُّ ردا عقليا، مبنيا على الخبرة في الطب، والاستدلال العقلي. وهو ما يبرز إلمام الراغب بمذاهب التكلم والارتكاز على العقل في التمحيص.

- **اهتمامه بقضايا دلالية، ومنها:**

النقل: يجري نقل الدلالة أو تحويلها في الغالب بين الكلمات التي تربط بينها وبين معناها المعجمي علاقة دلالية معينة، كأسماء الألوان وأعضاء الجسم وأسماء الحواس، وغير ذلك. ويشمل النقل أمرين هما: انتقال مجال الدلالة عن طريق المجاز سواء أ كان الاستعارة أو مجازا مرسلا. وانتقال مجال الدلالة

(١) الراغب (٢٠٠٩): ٢٧٤-٢٧٥.

عن طريق الكناية[١]. وقد تطرق الراغب إلى بعض طرق انتقال المفردات من معنى لآخر في الكتاب في عدد من المواضع، نذكر منها قوله: "وظهر الشيء أصله: أن يحصل شيء على ظهر الأرض فلا يخفى، وبطن إذا حصل في بطنان الأرض فيخفى، ثم صار مستعملا في كل بارز مبصر بالبصر والبصيرة"[٢]. ويشير هذا الأمر إلى ما يسمى في علم المعجم بالأصل اللغوي للمفردات. فالأصل مثلا في النصِّ الظهور. **ومنه قول امرئ القيس:**

وجيـــد كجيـــد الـــريم لـــيس بفـــاحش إذا هـــي نصـــته ولا بمعطَّـــلِ

فالأصل في النصِّ البروز والظهور، لكنه انتقل إلى متوالية لغوية مكتوبة. وربما دلالة هذا الانتقال هو كون النصوص التي احتفظ بها برزت وظهرت مقارنة بنصوص أخرى.

التضييق الدلالي: المقصود بالتضييق الدلالي هو "تخصيص ألفاظ كان كل منها يستعمل للدلالة على طبقة عامة من الأشياء، فيدل كل منها على حالة أو حالات خاصة، وهكذا يضيق مجال الأفراد الذين كانت تصدق عليهم أولاً"[٣]. ومن ذلك بيان الراغب لمعنى المصدر في قوله: "والمصدر في الحقيقة: صدر عن الماء، ولموضع المصدر وزمانه، وقد يقال في تعارف النحويين للفظ الذي روعي فيه صدور الفعل الماضي والمستقبل عنه"[٤]. ويدل هذا الأمر على ما نطلق عليه اليوم بالمصطلحات. فالمصطلحات لها معان خاصة في عِلْمٍ معين. ومن ذلك مصطلح النقد؛ الذي يعني في اللغة معانيَ عديدة منها: الأخذ والعطاء، والنقر بالإصبع،

(١) فتيحة بنت السيد أحمد البديري ، الدلالة اللغوية لألفاظ القرآن الكريم في ضوء الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحليبي (ت٧٥٦هـ) (١٤٢٢هـ): ٢/ ٤٦٦، رسالة دكتوراه، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، قسم اللغة العربية وآدابها.

(٢) الراغب، (٢٠٠٩): ٤٥٠.

(٣) فتيحة بنت السيد أحمد البيدري، الدلالة اللغوية لألفاظ القرآن الكريم في ضوء الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحليبي (١٤٢٢هـ): ٢/٤٠٣.

(٤) الراغب (٢٠٠٩): ٤٧٧.

وتمييز الدراهم، إلى غير ذلك من المعاني اللغوية[١]. غير أن النقد في الاصطلاح يشيرُ إلى الحكم على الأعمال الأدبية من حيث الجودة. ومنه اللظى التي تعني اللهب الخالص، لكنها في القرآن الكريم تعني جهنَّمَ[٢]. ونحو قوله: "الرَّبُّ في الأصل: التربيةُ، وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حدِّ التمام، يقالُ ربَّهُ، وربَّاهُ وربَّبَهُ. (...) ولا يقالُ الربَّ مطلقا إلا لله تعالى المتكفِّلِ بمصلحة الموجودات"[٣].

التوسيع الدلالي: يعني التوسيع الدلالي "تحويل الدلالة من المعنى الجزئي إلى المعنى الكلي، وبه تصبح الكلمة تدل على عدد من المعاني أكثر مما كانت تدل عليه من قبل أو تدل على معنى أعم من معناه الأول"[٤]. ومن مظاهر ذلك في كتاب الراغب قوله: "اللبانة: أصلها الحاجة إلى اللبن، ثم استعمل في كل حاجة"[٥]. ومنها أيضًا قوله: "الشَّرْعُ: نهج الطريق الواضح. يقال: شرعتُ له طريقا، والشرعُ: مصدرٌ. (...) واستعير ذلك للطريقة الإلهية من الدين. قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة/٤٨]. (...) قال بعضهم: سُمِّيت الشريعة شريعةً تشبيها بشريعة الماء من حيثُ إن من شرع فيها على الحقيقة والمصدوقة رَوِيَ وتَطَهَّرَ. (...) وشارعةُ الطريق جمعها: شوارع، وأشرعتُ الرمح قِبَلَهُ، وقيل: شرعتُهُ فهو مشروع، وشرَّعتُ السفينة: جعلتُ لها شراعا يُنقِذُهَا، وهم في هذا الأمر شرعُ، أي سواءٌ[٦]. ونستنتج من هذا الأمر أن المعنى يوسَّعُ ليشمل دلالات عديدة. وهي ما سماهُ الدلاليون بالتوسيع الدلالي. وهو مشهور باب في علم الدلالة.

---

(١) **ينظر**: ابن منظور، مُحَمَّد بن مكرم، لسان العرب (١٤١٤هـ)، مادة 'نقد'، دار صادر، بيروت، لبنان، ط: الثالثة.

(٢) **ينظر**: الراغب (٢٠٠٩): ٧٤٠.

(٣) **المصدر السابق**: ٣٣٦.

(٤) حيدر، فريد عوض، علم الدلالة دراسة نظرية (٢٠٠٥): ٧٧، مكتبة الآداب، القاهرة، ط: الأولى.

(٥) الراغب (٢٠٠٩): ٧٣٥.

(٦) الراغب (٢٠٠٩): ٤٥٠-٤٥١.

الأسمائية: يقوم الكتاب بتعليل التسمية لبعض الأسماء الواردة في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله: "قال بعضهم: "يهود في الأصل من قولهم (هدنا إليك) ...كما أن النصارى في الأصل من قولهم: (من أنصاري إلى الله)"[١]. ويشير هذا الأمر إلى ما يدعى في الدراسات الجغرافية بالأعلام وعلم الأماكن[٢]، وهما تخصصان يسعيان إلى تحديد أسباب تسميات بعض المدن أو المجموعات البشرية باسم معيَّنٍ.

أنواع الدلالة في كتاب المفردات:

يقسم فقهاء اللغة الدلالة إلى ثلاثة أقسام، وهي: دلالة المطابقة، ودلالة التضمن، ودلالة الالتزام. وسنرى اشتغال هذه الدلالات في كتاب المفردات للراغب. وكيف استعملها في شرح مفردات القرآن الكريم. وأعرض لكل دلالة، مع مثال لها، وفق الترتيب التالي:

دلالة المطابقة: تعني دلالة المطابقة "دلالة اللفظ الكلي على مجموع المقومات التي تؤلف الذات أو الكُنْهَ"[٣]. وقد استخدم الراغب كلمة معروف للإشارة إلى دلالة المطابقة، وذلك نحو قوله: "الحمار: الحيوان المعروف، وجمعهُ حميرٌ وأحمرةٌ وحُمُرٌ، قال تعالى: ﴿والخيلَ والبِغَالَ والحَمِيرَ﴾ [النحل/٨]، ويعبّرُ عن الجاهل بذلك"[٤].

دلالة التضمُّنِ: ومعناها دلالة اللفظ على بعض المقومات التي تكون الذات أو الكُنْهَ[٥]؛ كدلالة القافية بطريق التضمن على القصيدة، **نحو قول الشاعر:**

وكـــــم علَّمتُـــــهُ نظـــــمَ القَـــــوَافِي فلَمَّـــــا قـــــالَ قَافِيَـــــةً هَجَـــــانِي

---

(١) **المصدر السابق:** ٨٤٧.

(٢) **انظر بتوسع:** زكية السائح الدحماني، الأسمائية في اللسانيات الحديثة بين النظرية والتطبيق،(٢٠١٤)، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة- تونس، ط: ١.

(٣) عادل فاخوري، علم الدلالة عند العرب: دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة (١٩٩٤): ٤٣، دار الطليعة، بيروت، ط: الأولى.

(٤) الراغب (٢٠٠٩): ٢٥٦.

(٥) **ينظر:** المرجع السابق: ٤٣.

ونجد استعمال الراغب لهذه الدلالة في قوله: "التبُّ والتَّبابُ: الاستمرار في الخسران، يقال: تبًّا له وتبَّ لهُ، وتببتُهُ: إذا قلتُ لهُ ذلك، ولتضمن الاستمرار قيل: استَتَبَّ لفلان كذا، أي استمرَّ، و﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبْ﴾ [المسد/١]، أي: استمرت في خسرانه(١).

دلالة الالتزام: يقصدُ بدلالة الالتزام: "دلالة لفظة ما على لازم مفهومها غير المقوم له، أعني اللازم الذي ينتج منطقيا استنادا إلى قواعد معينة أو إلى مبادئ علم ما"(٢). ومن ذلك قول الراغب: "والصلاة التي هي العبادة المخصوصة، أصلها: الدعاء، وسميت هذه العبادة بها كتسمية الشيء باسم بعض ما يتضمَّنُهُ، والصلاةُ من العبادات التي لم تنفكَّ شريعة منها، وإن اختلفت صورُهَا بحسب شرعٍ فشرعٍ"(٣). فالراغب اعتبر الصلاة عبادة مخصوصة، وهو ما يشير إلى دلالة لفظ الصلاة على المعنى الخارجي أي العبادة.

وبالإضافة إلى هذه الدلالات المعجمية، نجد أن الراغب انتبه إلى أن الدلالة تَتَغَيَّرُ بتغير مجموعة من السمات اللغوية، من قبيل الصوت أو الصرف أو النحو. وحتى نوضح إدراك الراغب لهذه المكونات الدلالية، واستخدامها في تأليف معجمه نسوق بعض الأمثلة عنها أيضًا.

الدلالة الصوتية: يدلُّ الصوت أحيانا على دلالات معينة تتجاوز المعنى المعجمي فقط. غير أن الدلالة الصوتية تتعلق بالتركيب، أي بالجملة التي تنتج في سياق معيَّنٍ. فجملة من قبيل: 'جَاءَ أَبُوكَ'. قد تحمل دلالات كثيرة بناء على السياق الذي نطقت فيه، لكن أيضًا بناء على الطريقة التي نطقت بها. ومن ثمَّ قد تدل على الإخبار أو الاستفهام أو التهديد. ويسمى هذا في علم الأصوات ب(النَّبْر) وهو: "الضغط على مقطع معين من الكلمة، بقصد إيضاح هذا المقطع وإظهاره، أو على كلمة معينة من الجملة بقصد

(١) **ينظر**: الراغب، ٢٠٠٩: ١٦٢.

(٢) عادل فاخوري، علم الدلالة عند العرب: دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة (١٩٩٤): ٤٣.

(٣) الراغب، المفردات (٢٠٠٩): ٤٩١.

توكيدها"[١]. ومن مظاهر الاهتمام بالدلالة الصوتية في كتاب الراغب قوله: "قال الله تعالى:﴿يُؤْمِنُونَ بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء/٥١]، الجِبْتُ والجبس: الفسل [النَّذْلُ] الذي لا خير فيه، وقيل: التاء بدل من السين، تنبيها على مبالغته في الفسولة، كقول الشاعر: عمرو بن يربوع 'شرارُ النَّات'، أي خساس الناس"[٢]. فإبدال الصوت هنا دليل على المبالغة في الشيء.

الدلالة الصرفية: تحملُ الصيغ الصرفية العديد من الدلالات في اللغة فلكل وزنٍ معنى معيَّن، و"صيغ الأفعال وأوزانها في اللغة العربية عامل من عوامل ثرائها وقدرتها على الدلالة على معانٍ تنضاف إلى المعنى المعجمي"[٣]، وخير مثال على ذلك قول الحطيئة العبسي في الزبرقان بن بدر التميمي:

دعِ المكَـــــــارِمَ لَا تَرْحَـــــــلْ لبُغْيَتِهَـــــــا واقْعُـدْ فَإنَّـك أنـتَ الطَّـاعِمُ الكَاسِـي

فوزن اسم الفاعل 'طاعمٌ' و'كَاسٍ' يشير إلى فعلين هما 'طَعِمَ' و'كَسَا'، ويدلان على أن الزبرقان يأكل ويلبس. ولو قال الحطيئة المطْعِمُ، لتغيرت الدلالة إلى المدح وليس الهجاء. فالطاعم الذي يأكل لوحده والمطعم الذي يتصدَّقُ ويُكرِمُ النَّاسَ.

ومن مظاهر اعتماد الراغب للدلالة الصرفية قوله: "والتَّزَلْزُلُ: الاضطرابُ، وتكرير حروف لفظه تنبيه على تكرير معنى الزَّلَلِ فيه"[٤]. وهذا الأمر يدل على انتباه الراغب إلى أثر تكرار الحروف في الدلالة على المبالغة والتوكيد.

(١) فريد عوض حيدر، علم الدلالة دراسة نظرية (٢٠٠٥): ٣٤.

(٢) الراغب، المفردات (٢٠٠٩): ١٨٢.

(٣) فتيحة بنت السيد أحمد البيدري، الدلالة اللغوية لألفاظ القرآن الكريم في ضوء الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي (١٤٢٢هـ): ١/١١٤.

(٤) الراغب (٢٠٠٩): ٣٨٢.

الدلالة النحوية: الدلالة النحوية هي: "المعاني الذهنية التي تتولد في فكر المتكلم عند نظم الجمل، تلك المعاني التي تنشأ من تحديد العلاقات بين الأشياء المعبَّر عنها بالكلم؛ فتربطها ببضعها لذلك يصبح الكلام نوعا من الهذيان في حالة فقدانها"[١]، ومعنى هذا الكلام أن الدلالة النحوية تعنى بدراسة المعنى الناتج من التراكيب النحوية. ومثال ذلك قصة وَضْعِ النحو في الثقافة العربية؛ إذ حكى المبرد أن السبب الذي وضعت له أبواب النحو أن بنت أبي الأسود قالت له: **'ما أجملُ السَّماءِ؟'** فقالَ: نُجُومُهَا، قالت: أنا لا أستفهمُ يا أبتاهُ بل أتعجَّبُ. فقال: إذا أردتِ أن تتعجَّبِي، فافتحي فاكِ وقولي: ما أجملَ السَّماءَ**!**[٢]

ومن مظاهر استحضار الراغب للدلالة النحوية قوله: "وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون/٩]، فيه تنبيه أنهم يحفظون الصلاة بمراعاة أوقاتها ومراعاة أركانها، والقيام بها في غاية ما يكون من الطوق"[٣]. والراغب هنا ينتبه إلى دلالة التقديم والتأخير.

الدلالة المعجمية: ويمكن تعريفها بأنها: "هي معاني الوحدات اللغوية داخل متن المعجم مرتبة على وفق سياقات المدارس المعجمية" [٤]. ويتضح من هذا التعريف أن المفردات اللغوي تحمل دلالات مختلفة تبعًا للسياق الذي استعملت فيه، وتبعًا أيضًا للتركيب اللغوي. **ومثال ذلك قولنا:**

ضربَ أحمدُ ابنَهُ.

ضربَ زيدٌ خيمةً

ضرب المصرفيُّ النقودَ

(١) سناء حميد البياتي، قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم (٢٠٠٣) :١٥، دار وائل للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الأولى.

(٢) بسام طقوس، المختصر في النحو والإملاء والترقيم (٢٠٠٠): ١١٥، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، إربد، الأردن.

(٣) الراغب، المفردات (٢٠٠٩): ٢٤٥.

(٤) د. عبدالقادر عبدالجليل، المعجم الرصفي لمباحث علم الدلالة، (٢٠٠٦): ٢١٧ ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١

فكلمة ضرب في الجمل أعلاه تعني دلالات مختلفة هي الضرب الحقيقي والبناء والصناعة. وتغيُّر التركيبِ غيَّر معنى الكلمة في كل جملة. ومن مظاهر اعتناء الراغب بالدلالة المعجمية قوله: "الغيُّ: جهلٌ من اعتقادٍ فاسِدٍ (...) وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم/٥٩]، أي: عذابا، فسمَّاهُ الغيَّ لما كان الغيُّ هو سببه، وذلك كتسمية الشيء بما هو سببهُ، كقوله للنبات ندًى"(١).

ملاحظة:

أَوَدُّ أن أشير هنا إلى مسألة أساسية في هذا البحث، وهي مسألة تكررت مرارا في الفصل الأول منه. ومدارها أن الدلالة موسوعية أو أن تمثيل المعنى موسوعي. ومعنى هذا الكلام أن الألفاظ القرآنية التي توجد في هذا المعجم ما هي إلا نقط نفاذ إلى المعرفة الموسوعية لهذه الألفاظ في كلام العرب بصفة عامة وفي اللغة الدينية بصفة خاصة، والتي نجدها في القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وأقوال العلماء. وما دمتُ أدرس البنى التصورية لأركان الإسلام الخمسة، فإن المعجم يشكل نقطة انطلاق فحسب لدراسة هذه البنى التصورية. وبما أن إشكالية البحث ترتبط بدور الاستعارات التصورية في انتشار الدين الإسلامي، فقد كان التركيز بالأساس على الاستعارات التي أنتجها الرسول الكريم مُحَمَّد ﷺ من خلال أحاديثه الشريفة.

وبقولي هذا أَدْفَعُ أي اعتراضٍ عن كون المتن الذي أشتغل عليه، أي مفردات ألفاظ القرآن لم يراع مراعاة كاملة. ويمثل هذا المنهج الباحث المصري عطية سليمان أحمد في دراسته الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية(٢)؛ فقد انطلق من كتاب تلخيص البيان في مجازات القرآن لشريف الرضي كقاعدة للأمثلة التطبيقية على الاستعارة القرآنية، منفتحا في هذا الصدد على كتب التفسير والمعاجم وكتب المشترك اللفظي.

لذا اخترتُ معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني حيث أنه يشكل نقطة نفاذ صالحة لدراسة البنى التصورية لاهتمامه بشرح دلالات المعنى حقيقةً ومجازًا.

(١) الراغب (٢٠٠٩): ٦٢٠.

(٢) **ينظر**: عطية سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية (٢٠١٤): ٩١، دار النشر: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط: ١.

الدراسة التطبيقية

الفصل الثالث

استعارات أركان الإسلام في ضوء المقاربة العرفانية

المبحث الأول: البعدًان الاجتماعي والديني لعرب ما قبل الإسلام.

المبحث الثاني: المعنى الموسوعي لمفردات أركان الإسلام.

المبحث الثالث: استعارات أركان الإسلام التصورية.

المبحث الرابع: استعارات أركان الإسلام في ضوء التحليل العرفاني.

المبحث الخامس: منهج تأليف المعجم.

الـفـصـل الـثـالـث
اسـتـعـارات أركـان الإسـلام فـي ضـوء الـمـقـاربـة الـعـرفـانـيـة

تقديم:

أسعى في هذا الفصل التطبيقي إلى دراسة استعارات أركان الإسلام في ضوء نظريتي الاستعارة التصورية والمزج التصوري. وبما أن البحث منشغل بالبعد الإقناعي للاستعارة التصورية في هذه الأركان الخمسة والموجهة إلى العربيِّ الذي عاش إبان البعثة النبوية، فقد كان لزاما عليَّ أن أقدِّم تمهيدا لحياة العربي قبل ظهور الإسلام، ثم دلالة أركان الإسلام في المعاجم العربية؛ بما أن المفردات في الدلالة العرفانية نقط نفاذ إلى معرفَةٍ موسوعية فلا شك أن المعاجم العربية القديمة قد احتفظت بها.

بناء على هذا الأمر، سأخصص المحور الأول من هذا الفصل للحديث عن المجتمع العربي ما قبل الإسلام، مركزةً على البعدين الاجتماعي والديني الذي عمل الدين الإسلامي على تغييرهما. ثم أخصص محورا ثانيًا للحديث عن المعارف الموسوعية لمفردات أركان الإسلام في المعاجم العربية بعد الانطلاق مما ورد في معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني. ثم أنطلق في المحور الثالث إلى تحديد الاستعارات التصورية المرتبطة بهذه الأركان في الحديث النبوي الشريف. وبما أن هذه الاستعارات تؤطرها خطاطة صورة الحاوية، فسوف أخصص محورًا للحديث عنها ببيان بنْيَتِهَا ووظائفها. ثم أنتقل إلى دراسة تحليلية لاستعارات أركان الإسلام مميزةً فيها بين استعارات دالة على الحماية، واستعارات دالة على المغفرة.

١- البعدًان الاجتماعي والديني لعرب ما قبل الإسلام:

من المسلم به عند علماء التاريخ أن عصر ما قبل الإسلام كان عصرا مزدهرا من النواحي الثقافية المادية منها وغير المادية. ويرجع ذلك إلى تعدد الدول التي عاشت في منطقة الجزيرة العربية. يقول مُحَمَّد سهيل طقوش في هذا الصدد: "ونشأت في بلاد العرب في العصور التاريخية وفي أوقات مختلفة، دول كان أبرزها: السومرية والأكادية والبابلية والأشورية والكلدانية وتدمر والبتراء والحيرة وغسان وميسان والحضر والرها ومكة وغيرها، زخرت بالمنجزات الحضارية المتقدمة التي أثرت في تطور البشرية عبر العصور، مثل: الشرائع السماوية، والشرائع التي وضعها الحكام، والعلوم الهندسية من عمارة وسدود وأعمال ري، ومعارف عن الزراعة والصناعة والتجارة وعلومها، والفلك والأنواء مثل: الظواهر الجوية والمناخية، والطب، والكتابة العربية بالأحرف الأبجدية الهجائية"(١).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن مصطلح الجاهلية هو مصطلح أخلاقي، فالجاهلي هو الذي يتصرف وفقا لأخلاق الجاهليين. ويدل على هذا الحديث الصحيح الذي رواه الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري حينما عيَّر رجلا بأمه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلَّمَ: "إنك امرؤ فيه جاهلية"(٢). والمعنى هنا أن فيك خلقا من أخلاق الجاهليين، فقد كانوا يتفاخرون بالأحساب ويطعنون في الأنساب. وهو ما يدلُّ عليه حديث آخر ورد في صحيح مسلم ونصُّهُ: "أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في

(١) مُحَمَّد سهيل طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام (٢٠٠٩): ٥، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط: ١.

(٢) مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري(١٤٢٢): ١/١٥، تحقيق: مُحَمَّد زهير، الناشر: دار طوق النجاة، ط: ١.

الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة"[١]. وقد ميز الشيخ صالح الفوزان بين جاهلية عامَّة هي الجهلُ بالإسلام، وجاهلية خاصَّة هي آثار من أخلاق الجاهليين في بعض الأفراد والقبائل والبلدان[٢].

ونستنتج من هذا أن الدين الإسلامي أتى ليقوِّم أخلاق العرب الذين عاشوا ما قبل الإسلام. وهذا ما يؤكده قول الرسول ﷺ: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[٣]، وعلاوة على ذلك إتمام مكارم الأخلاق، قام الدين الإسلامي بغرس الوحدة بين القبائل العربية مؤسسا لدولة إسلامية قوية استطاعت أن تنشر تعاليم الدين الإسلامي في كل بقاع العالم.

وسأخصص هذا المحور للحديث عن بعدين من أبعاد حياة العربي ما قبل الإسلام. البعدُ الأول هو البعد الاجتماعي المتمثل في طبقات المجتمع وأخلاقه. والبعد الثاني هو البعد الديني.

١-١- طبقات المجتمع وأخلاق العرب:

يعدُّ مصطلح القبيلة مصطلحا أساسيا لفهم الطبيعة الاجتماعية لعرب ما قبل الإسلام، فالعرب عاشوا في قبائلَ ولم يُشَكِّلُوا دولةً تضمهم. وهذا الأمر وضَّحَهُ أحمد أمين في ذهابه إلى أن "القبيلة هي الوحدة التي انبنى عليها كل نظامهم الاجتماعي"[٤]. ويوضح سهيل طقوش دور القبيلة كوحدة اجتماعية، عادًّا إياها "مستقلة لا تعترف بسلطة خارجية عليها. إنها المجتمع الأكبر لأهل البادية"[٥]. ويشير شوقي ضيف إلى مكونات القبيلة في العصر الجاهلي، ذاهبا إلى أنها "تتألف من ثلاث طبقات: أبناؤها، وهم الذين يربط بينهم

(١) مسلم بن حجاج النيسابوري، صحيح مسلم (١٩٩١): ٦٤٤/٢، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ط:١.

(٢) ينظر جواب الشيخ صالح الفوزان، على مفهوم الجاهلية في الحديث الصحيح: "إنك امرؤ فيه جاهلية". على الموقع التالي: https://bit.ly/2qhGG4W تاريخ الدخول: ٢٠١٨/١٠/٢٩. بتوقيت ١٠،٤٦ صباحا.

(٣) محمد بن إسماعيل البخاري، الأدب المفرد(١٩٩٨)، رقم ٢٧٣، حققه: سمير الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط: ١.

(٤) أحمد أمين، فجر الإسلام : بحث في الحياة العقلية في صدر الإسلام إلى آخر الدولة الأموية، (١٩٦٩): ٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: ١٠.

(٥) محمد سهيل طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام (٢٠٠٩): ١٥٩.

الدم والنسب، وهُمْ عمادُها وقوامُها. والعبيد، وهم رقيقها المجلوب من البلاد الأجنبية المجاورة وخاصة الحبشة والموالي، وهم عتقاؤها ويدخل فيها الخلعاء الذين خلعتهم قبائلهم ونفتهم عنها لكثرة جرائرهم وجناياتهم"(١).

نستنتج من هذا الأمر، أن النظام القبلي لعرب ما قبل الإسلام كان نظاما طبقيا يُمَيِّزُ فِيهِ بين الأفراد بناءً على انتمائهم العرقي وحتى الاجتماعي والأخلاقي. وهو أمر يزيد من هشاشة القبيلة وقابلية تفرُّقها. وقد كانت هناك حاجة ماسَّة إلى رابط يجمع بين أفراد القبيلة باختلاف مراكز أفرادها فيها، فكانت (العصبية). وهي المفهوم الثاني المركزي في فهم الطبيعة الاجتماعية للمجتمع الجاهلي. ويشير أحمد أمين إلى أن أنساب العرب، سواء صحت أم لم تصح، 'قد اعتنقها العرب، ولا سيما متأخِّريهِمْ، وبنوا عليها عصبيتهم، وانقسموا في كل مملكة حَلُّوا بها إلى فرق وطوائف حسب ما اعتقدوا في نسبهم، وأصبحت هذه العصبية مفتاحا نصل به إلى معرفة كثير من أسباب الحوادث التاريخية، وفهم كثير من الشعر والأدب، ولا سيما الفخر والهجاء"(٢).

ويذهب سهيل طقوش إلى أن التمسُّك بالقبيلة كوحدة سياسية كان سببا في انعدام فكرة الترابط السياسي؛ حيث شكلت القبيلة "دُوَيْلَةً تنطبق عليها مقومات الدولة من شعب وحكام، باستثناء الأرض الثابتة التي تحدد منطقة نفوذها، ولم يفهم العربي الدولة إلا على أنها دولةُ القبيلة"(٣).

يُفهمُ من هذا الأمر، أن الحياة الاجتماعية لعرب ما قبل الإسلام كانت قائمة على مفهومين أساسيين هما (القبيلة) و(العصبية)، فالقبيلة كيان سياسي يحدد الحقوق والواجبات والعصبية شرط تماسك هذا الكيان. ولو أردنا التوضيح أكثر فذلك من خلال المقارنة بالحياة المعاصرة اليوم فهي قائمة على دولٍ هي كيانات سياسية وعلى الشَّرْعِيَّةِ بوصفها شرطُ التماسك بين مواطني هذه الدول وحُكَّامهم.

---

(١) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي (١٩٩٥): ٦٧، دار المعارف، مصر، ط: ١.

(٢) أحمد أمين، فجر الإسلام: بحث في الحياة العقلية في صدر الإسلام إلى آخر الدولة الأموية (١٩٦٩): ٨.

(٣) مُحَمَّد سهيل طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام (٢٠٠٩): ١٦١.

ويتجلى لي أنَّ الحياة العربية الاجتماعية والسياسية لم تكن لتجعل العربيَّ قادرا على تأسيس دولة قوية تحمي ثغوره وتُقوّي تماسكه. ف(العصبية)، و(الثأر)، والمشاعية (الملكية الجماعية للماء والكلأ)، والتحالفات القبلية البسيطة (بعد حملة أبرهة الفاشلة، ومعركة ذي قار بين بني بكر بن وائل والفرس)، كانت عاجزة عن خلق لحمة بين مختلف القبائل العربية. وهو أمر يرجع في الغالب إلى غياب معيار موحَّدٍ للانتماء يتساوى فيه المنتمون إلى الكيان السياسي سواء كان دولة أو تحالفا قبليا. بالإضافة إلى التصورات السائدة حول الفخر بالانتماء إلى قبيلة دون أخرى، أو بما عبَر عنه الحديث الشريف بـ(الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب).

لنتأمل الأبيات التالية[1]:

أَلاَ لاَ يَعْلَمُ الأَقْوَامُ أَنَّا تَضَعْضَعْنَا وَأَنَّا قَدْ وَنِينَا
أَلاَ لاَ يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِينَا
بِأَيِّ مَشِيئَةٍ عَمْرَو بْنَ هِنْدٍ نَكُوْنُ لِقَيْلِكُمْ فِيهَا قَطِينَا
بِأَيِّ مَشِيئَةٍ عَمْرَو بْنَ هِنْدٍ تُطِيْعُ بِنَا الوُشَاةَ وَتَزْدَرِينَا
تَهَدَّدُنَا وَأَوْعِدْنَا رُوَيْداً مَتَى كُنَّا لأُمِّكَ مَقْتَوِينَا
وَرِثْنَا مَجْدَ عَلْقَمَةَ بْنِ سَيْفٍ أَبَاحَ لَنَا حُصُونَ المَجْدِ دِينَا
وَرِثْتُ مُهَلْهِلاً وَالخَيْرَ مِنْهُ زُهَيْراً نِعْمَ ذُخْرُ الذَّاخِرِينَا
وَعَتَّاباً وَكُلْثُوْماً جَمِيعاً بِهِمْ نِلْنَا تُرَاثَ الأَكْرَمِينَا
وَذَا البُرَةِ الَّذِي حُدِّثْتَ عَنْهُ بِهِ نُحْمَى وَنَحْمِي المُحْجَرِينَا
وَمِنَّا قَبْلَهُ السَّاعِي كُلَيْبٌ فَأَيُّ المَجْدِ إِلاَّ قَدْ وَلِينَا

(١) **ينظر**: أحمد أمين الشنقيطي، شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، (١٤٢٦): ١٣١-١٣٤، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان.

إن هذا النص الشعري الباذخ في معانيه القبليَّةِ، يبرزُ اللُّحمةَ الاجتماعية الأساسية للمجتمع العربي ما قبل الإسلام، والقائمة على العصبية القبلية الموروُثَةِ، وعلى مفهوم (الشرف) و(المجد). وهما مفهومان حَالَا في كثير من الأحيان دونَ تلاحم القبائل العربية، بل أسهما في تفكك هذه القبائل وحروبها التي امتدت عقودا، كما في (حرب داحس والغبراء، حرب البسوس، حرب الفِجار ... إلخ).

إن هذه الأمور مجتمعة أدت إلى شعور العربي بعدم الانتماء إلى كيان جامع يوحِّدُ بين مختلف طبقات المجتمع، وينظر إليهم نظرة متساوية قوامها الأخوَّة والعدلُ والمساواةُ والإنصافُ، إلى غير ذلك من الحقوق الأخرى، وهو أمر سعى الدين الإسلامي السمحُ إلى تجاوزه رافعا شعارا دينيا قويا كان له أثر كبير في زعزعة أركانِ الوثنيةِ والعصبيةِ القبليَّةِ، وهو شعار جسَّده حديث نبوي نصُّهُ: "لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر، إلا بالتقوى"[(١)]. فالرابط لم يعد رابطا عصبيا قبليا بل هو رابط ديني. كما قام الدين الإسلامي السمح بهدم قانون الدم الجاهلي، أي الأخذ بالثأر؛ حينما جعل حق أخذه خاصًّا بالدولة لا بالأفراد[(٢)].

١-٢- التفكير الديني عند عرب ما قبل الإسلام:

يلخص الباحث شوقي ضيف أديان العرب ما قبل الإسلام بإيجاز قائلا: "كانت كثرة العرب في الجاهلية وثنيةً تؤمن بقوى إلهية كثيرة تَنْبَثُّ في الكواكب ومظاهر الطبيعة، وفي أسماء قبائلهم ما يدل على أنهم كانوا قريبي عهد بالطوطمية (Totemism) إذ تلتف جماعة حول الطوطم تتخذه حاميها والمدافع عنها من مثل كلب وثور وثعلبة. وقد آمنوا بقوى خفية كثيرة في بعض النباتات والجمادات والطير والحيوان، وليس

(١) أبو الشيخ الأصبهاني، التوبيخ والتنبيه (١٤٠٨): ١/١٠٩، تحقيق: حسن بن أمين، مكتبة التوعية الإسلامية، ط: ١.
(٢) **ينظر**: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي، (١٩٩٥): ٧٢.

بصحيح ما يزعمه رينان من أنهم كانوا موحدين، فقد كانوا يشركون مع الله آلهة أخرى كما جاء في القرآن الكريم، وكانوا يتعبدون لأصنام وأوثان كثيرة اتخذوها رمزا لآلهتهم. (...) ويظهر أن عبادة النجوم والكواكب دخلت عندهم من قديم، وقد جاءتهم من الصابئة وبقايا الكلدانيين، كما جاءتهم من لدن عرب الجنوب الذين كانوا يرجعون بآلهتهم إلى ثالوث مقدس، كما مر بنا، هو القمر أو ودّ، والشمس أو اللات، والزهرة أو العزى. ونراهم يقدسون النار، ويظهر ذلك في إيقادهم لها عند أحلافهم، واستمطارهم السماء وتقديم القرابين إليها، ويقال إن المجوسية كانت متفشية في تميم وعمان والبحرين وبعض القبائل العربية، والمجوس كما نعرفُ ثَنْويَّة يؤمنون بإلهين يدبران العالم هما النور والظلمة أو الخير والشر"(١).

إن هذا التدرج يوحي بإيمان الباحث (شوقي ضيف) بأن الدين في علاقته بالإنسان العربي كان نتيجة تطور المجتمع؛ وهكذا كلما كان المجتمع بدائيا كان دينه ماديا ملموسا يرى في إلهه نفعا مباشرا، وكلما كان المجتمع متحضرا كان إلهه غير ملموس، وإنما يُسْتَدَلُّ عليه بأفعاله في الكون. وتقع مرحلة عبادة الأصنام في وسط هذه السيرورة، فهي آلهة ملموسة لكن للتوسط مع الإله الحقيقي. يقول الله عز وجل في هذا الأمر: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ (الزخرف/٨٧). ويفسر الشيخ مُحَمَّد بن صالح العثيمين هذه الآية بقوله إن المشركين يُقِرُّونَ بأنهم أذلاء أمام الله وأنهم على علم بأنه هو الله الواحد الذي لا شريك له. لكن الشيخ يميز في إقرارهم بين أمرين: إقرار بالربوبية (أن لا إله إلا الله) وإقرار بالعبودية (أن لا معبود سواه) ويضعهم في خانة الإقرار الأوَّلِ(٢).

(١) **المصدر السابق**: ٨٩، والثنوية:" (سف) المانوية، وهي فرقة ترى أن العالم يُحكم بواسطة قوتين متضادتين هما الخير والشر مع اعتقاد بوجود إلهين للكون" أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصر، (٢٠٠٨):١/٣٣٣، عالم الكتب، ط:١.

(٢) **ينظر**: مُحَمَّد بن صالح العثيمين، تفسير سورة الزخرف. انظر تفسير الآية في الرابط التالي: https://bit.ly/2Sxzf6v تاريخ الدخول: ٢٠١٨/١٠/٣١، بتوقيت: ٠٤,٤٣ صباحا.

تمثل عبادة الكواكب إذن انتقالا من عبادة أشياء العالم الأرضي إلى عبادة أجرام السماء. فقد انتبه عرب ما قبل الإسلام إلى فائدة القمر والشمس والزهرة في حياتهم اليومية، وأسندوا إلى هذه الأجرام قدرات خارقة. وستأتي فكرة الوساطة بين الأرض والسماء عن طريق عبادة الأصنام؛ فالدلائل القرآنية كثيرة بأن عبادة الأصنام كانت غايتها التوسُّلَ بهذه الأصنام لقضاء حوائج الناس عند الله، كما لا تزال بعض المجتمعات العربية تفعل اليوم بخصوص توسلها بالأضرحة والقبور. يفقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (الزمر/٣). ويقدّم الباحثون تفسيرين لظهور عبادة الأصنام في الجزيرة العربية، وهما:

التفسير الأول: ويذهَبُ إلى أنها نشأت نشأة محلية نتيجة تطور العلاقات القبلية في المجتمع الجاهلي التعددي، وارتبطت مع حركة هذا التطور داخليا في المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية، وخارجيا من خلال واقع العلاقات مع الدول المجاورة.

التفسير الثاني: ويذهَبُ إلى أنها وافدة على يد عمرو بن لحي الخزاعي، وكان كاهنا قد غلب على مكة وأخرج منها جرهما وتولى سدانتها. وتجمع المصادر الإسلامية على أن عمرًا بن لحي جلب الأصنام من الشام وكان على رأسها هبل، فقدم به إلى مكة وأمر الناس بعبادته وتعظيمه، فضلوا، لكن بقيت فيهم بقايا من عهد إبراهيم، يعظِّمُونَ البيت ويطوفون به ويحجون[١].

(١) **ينظر**: مُحَمَّد سهيل طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام (٢٠٠٩): ٢٤٦-٢٤٧.

لكن ما يهمني من عبادة الأصنام[١]، هو الإجابة عن سؤال رئيسي يتعلق بالبحث، وهو: لِمَاذا لَمْ تستطع الديانات السماوية (الحنفية، اليهودية، النصرانية) أن تقضي على ظاهرة عبادة الأصنام، وغيرها من المظاهر الدينية الأخرى كالدهرية والمجوسية؟

يفترض جوابي على هذا السؤال الخوض في هذه الديانات وأثرها في المجتمع العربي الجاهلي. وهو أمر **أوضحه في النقط التالية:**

أولاً: اليهودية: يرى أحمد أمين أن اليهودية انتشرت "في جزيرة العرب قبل الإسلام بِقُرُونٍ، وتكونت فيها مستعمرات يهودية أشهرها يثرب، (...) ولكن من هم هؤلاء اليهود في جزيرة العرب؟ هل هم من عنصر يهودي أم هم عرب تهودا؟ (...) ويظهر أن الصنفين كانا موجودين في الجزيرة، يهود نزحوا وعرب تهودوا"[٢]. ويعزو شوقي ضيف سبب استيطانهم للجزيرة العربية إلى "اصطدامهم بالقيصر طيطوس (Titus) وهدمه للهيكل سنة ٧٠ للميلاد، وكذلك اصطدام القيصر هدريان بهم سنة ١٣٢ ففي هذه الأثناء فر كثير منهم إلى الحجاز، وسقط غير قليل منهم في اليمن"[٣]. ويرى شوقي ضيف أن اليهود لم يخلفوا "آثارا واضحة في الجاهليين، فقد ظل العرب الشماليون بعيدين عنهم وعن دينهم، لا يتأثرون به في قليل ولا كثير"[٤]. ويعزو سهيل طقوش عدم تأثير اليهود في وثنية عرب ما قبل الإسلام **إلى الأسباب التالية:**

- عدمُ اهتمامهم الجدَّيُّ بالتبشير بدينهم اعتقادا منهم بأنهم شعب الله المختار وأن الشعوب الأخرى غير جديرة بذلك.

(١) يميز شوقي ضيف بين الصنم والوثن قائل: "فالصنم يكون غالبا تمثالا، أما الوثن فيكون غالبا حجرا، وقد يسمى الصنم بالوثن". (ينظر شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي، (١٩٩٥): ٩٢.

(٢) أحمد أمين، فجر الإسلام: بحث في الحياة العقلية في صدر الإسلام إلى آخر الدولة الأموية، ١٩٦٩: ٢٣.

(٣) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي، (١٩٩٥): ٩٧.

(٤) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي (١٩٩٥): ٩٨-٩٩.

- احتقار العربِ لهم بوصفهم عملاء الفرس.
- لما عرف عنهم من صفات ذميمة كالتهافت على جمع المال ونقض العهود والغدر.
- تنفير العربِ من شعائرهم المعقدة[١].

ثانيًا: النصرانية: يرى شوقي ضيف أن النصرانية انتشرت في اليمن وشمالي الجزيرة الغربي والشرقي، ويظنُّ أن انتشارها بدأ منذ القرن الرابع الميلادي، بسبب البعثات الدينية، التي كان يشجعها القياصرة[٢]. ويشير الباحث إلى أن تأثر الجاهليين بالنصرانية لم يكن تأثرا كبيرا إذ لم يتعمقوا في المسيحية، وظلوا يخلطون بينها وبين وثنيتهم[٣]. ويرجع سهيل طقوش أسباب عدم قضاء المسيحية على الوثنية العربية **إلى الأسباب التالية:**

- عدم وصول النصرانية بما أثارته من قضايا لاهوتية إلى أعماق الحياة العربية، وبقاء الإنجيل في هامش تفكير العربي.
- بعدُ الآراء الدينية التي حملتها النصرانيةُ إلى العرب عن تصوراتهم الدينية.
- ربط العرب بين النصرانية والدولة البيزنطية، واعتبارهم قبول النصرانية دليلا على الولاء للدولة البيزنطية.
- اختلاف مبادئ الديانة النصرانية عما ألفه العرب الوثنيون[٤].

ثالثًا: الحنيفية: يؤكد شوقي ضيف أن الحنيفية هي تمهيد للدين الإسلامي، بما أنها تعبير عن استعداد لفكرة الإله الواحد، ومَرَدُّ هذا الاستعداد هو شك الحنفيين في حياتهم الدينية، وهو أمر "يؤكد أن الوثنية

(١) **ينظر:** مُحَمَّد سهيل طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام (٢٠٠٩): ٢٦٤.
(٢) **ينظر:** شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي، (١٩٩٥): ٩٩.
(٣) **ينظر:** المصدر السابق: ١٠٠-١٠١.
(٤) **ينظر:** مُحَمَّد سهيل طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام (٢٠٠٩): ٢٧٢-٢٧٣.

الجاهلية كانت على وشك الانحلال، فما انبلجت أضواء الإسلام حتى اعتنقه العرب ودخلوا فيه أفواجا"[١].

ويوردُ سهيل طقوش مجموعة من الأمور التي حالت دون انتشار الحنيفية في بلاد العرب في العصر الجاهلي، **ولعل أهمها:**

- تقديس العرب لمكة ولما تحويه من أصنام.
- احتلال الوثنية مكانة مهمة في النظام الاقتصادي-الاجتماعي بمكة.
- تأصُّلُ الشِّرْكِ في نفوس المكِّيِّينَ.
- غياب التشريع في الحنيفية لذلك لم تساهم في وضع حلول للمشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي كان يعاني منها عامة الناس في مكة كي تستطيع أن تستقطب إليها المظلومين والمعدمين.
- إرجاء الحنيفية حل مشاكل الناس إلى الحياة الأخرى، وتصويرها للحياة الدنيا بأنها حياة فانية[٢].

يلاحظ، من خلال هذه اللائحة، أنَّ الأسباب التي حالت دون قضاء اليهودية والنصرانية والحنيفية على الوثنية في الجزيرة العربية، وبخاصة في مكة، هيَ أسباب تعود إلى أمور شتى، منها ما هو اقتصادي ومنها ما هو أخلاقي ومنها ما هو نفسي. وأنا لا أختلف في كون هذه الأسباب أدت دورًا مهما في ذلك، إنما أدافع في هذا البحث على كون التصورات الذهنية التي أتى بها الإسلام خلافا للديانات السابقة، كانت سببا قويا في دخول الناس فيه، ولا سيما تصور الحاوية الذي شَمِلَ تصوُّرَ أركان الإسلام كما سأوضح ذلك في المحور التحليلي.

(١) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي (١٩٩٥): ٩٧.

(٢) **ينظر:** مُحَمَّد سهيل طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام (٢٠٠٩): ٢٧٩-٢٨٠.

وأشير إلى أن الأسباب التي قمنا بكتابها بخط مضغوط كانت أسبابا قوية في رفض الديانات السابقة؛ فإقصاء اليهود للشعوب الأخرى بوصفها دونية، وعدم مطابقة مبادئ النصرانية لأخلاق العرب، وتجنب معالجة المشاكل الحقيقية للإنسان العربي في الحنيفية، جعلت هذه الديانات السماوية عاجزة عن الوصول العمليّ إلى الذهن العربي وإقناعه باعتناق هذه الديانات.

وقد جاء النبي ﷺ بدين يُزَكّي كثيرا من أخلاق العرب، ويسوي بين القبائل في الحقوق والواجبات ويحل مشاكلها الواقعية. يقول سهيل طقوش في هذا الصدد: "في هذا الوسط الذي ذكرنا، ولد النبي مُحَمَّد ﷺ في مكة، وشبَّ في جو تجاري شارك ببعض نشاطه في شبابه قبل أن يتفرغ للدعوة الإسلامية، فأخذ يبشر بدين جديد قائم على الوحدانية المطلقة ويحمل في ثناياه عوامل التغيير والإصلاح، (...) إن هذا الموقف، وهذه القناعة الداخلية، لا تلزم صاحبها إلا بالدعاء لله والشكر له، والسير على تعاليمه ووصاياه والجهاد في سبيله، والاعتصام بمكارم الأخلاق، والتزام الفضيلة، والتصدق للغير من دون التفرقة في الجنس واللون، والرفق بالمرأة"(١).

بهذه التعاليم السمحة، استطاع النبي ﷺ أن يؤسس نظاما اجتماعيا يسمو فوق النظام القبلي، ويَصْهَرَ العربَ في وحدة قوية ومتماسكة، قوامُهَا الانتماء الديني إلى الدين الإسلام،. علاوة على تأسيس نظام ديني قوي وَحَّدَ التفكيرَ الديني المختلف، وقدَّم أجوبة على التساؤلات الدينية العربية.

٢- المعنى الموسوعي لمفردات أركان الإسلام:

تعدُّ الدلالة العرفانية امتدادا للنظرية البنيوية في الدلالة، لكنها أضافت افتراضا أساسيا مفادهُ أن الأشكال اللغوية هي جزء داخلي من العرفانية البشرية، وأنَّ أَيَّ تحليل متبصر للظواهر اللغوية يحتاج أن يكون

(١) مُحَمَّد سهيل طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام (٢٠٠٩): ٤٦٧.

مترسخا فيما يعرف عن القدرات العرفانية البشرية، ومعنى ذلك أن الدلاليين العرفانيين يرفضون التصور الشائع لعلاقات المعنى بوصفها علاقات مباشرة بين التعابير. لقد رفضوا ذلك بحجة قوية، هي أن الكلمات لا ترتبط بشكل مباشر ببعضها بعضا، وإنما ترتبط بالبُنَى التصورية في الذهن والإسهام الواعد والقَيِّمِ لِلّسَانيات العرفانية في الدرس الدلالي هو اعتبارها المعنى موجودًا في الذهن، وبعبارة أخرى المعاني تصوراتٌ.

ويشير هذا القول إلى أن المعنى تمثيلاتٌ ذهنية تُعَبِّرُ عن فهمنا للعالم الذي نعيش فيه. وهكذا يتضح أنَّ المعنى يُبْنَى انطلاقًا من مروره بالذهن البشري. وبعبارة أخرى المعنى يتكوَّنُ من دلالة الكلمات وتأويلِ المتكلمِ لتلك الكلمات بناء على استناده إلى أطرٍ أو مجالات تصورية. ويتَّسِمُ هذا التأويل بالدينامية؛ فهو يعتمد على متغيرات السياق، أي على ما أسماه فيلمور بالأطر الدلالية.

ويختلف الإطار عن الحقل الدلالي، فهو ليس تجمعا من الكلمات في علاقات متعددة (استبدالية ومركبية) فحسب، بل هو إطار تصوري غني ومَسْتَمَدٌّ من تجربة الحياة. فمثلا إطار المطعم يضم الزبون والنادل والطلب والأكل والفاتورة، وليست هناك علاقة دلالية بنيوية متضمنة (اندراج أو تضاد) بين هذه الكلمات التي تنتَمِي للإطار نفسه. فهذه المفاهيم مرتبطة بالتجربة البشرية العادية، وهي علاقات مكمِّلة لفهمنا للمطعم.

ويميز الدلاليون العرفانيون في الإطار بين مفهومين هما المعروض profile وأسَاسُهُ. أو الدال (المعروض) والمدلول (أساسه) بتعبير فرديناند دوسوسير؛ فلو قلنا مثلا 'شاعر'؛ فكلمة 'شاعر' هي المعروض، والأساسُ يضم الشعر والقصائد والأبيات والبحور الشعرية والصور الشعرية والإلقاء، إلخ. كما أن الأطر نوعان: أطر مرتبطة بالتجربة الجسدية للبشر وهي تجربة مباشرة، وأطر مرتبطة بمجالات مجردة. وقد أنبتت نظرية الاستعارة التصورية على هذا الأمر، فميزت بين المجال المصدر (الإطار المرتبط بالتجربة الجسدية للبشر) والمجال الهدف (الإطار المجرد). كأن نتحدث عن الحياة بأنها رحلة، كما في قولنا 'غيرتُ حياتي وسلكت طريقا جديدا'،

فالحياة هنا مجال مجرد، والرحلة تجربة جسدية للبشر. وعليه سأحلل معاني أركان الإسلام في اللغة انطلاقًا من التحليل الدلالي العرفاني، مستعملةً الدلالة العرفانية سندا نظرياً، ونظريتي الاستعارة التصورية والدمج التصوري سندًا تحليليًا في المحور الأخير من هذا الفصل.

معاني أركان الإسلام:

بناءً على كون الكلمات نقطَ نفاذٍ إلى المعرفة الموسوعية للمفهوم الذي تشير إليه الكلمات، وبناء على اقتناعي بأن المعاني الموسوعية للألفاظ لديها بقايا في المعاجم. سأحلل معاني أركان الإسلام في معجم الراغب ومعجم لسان العرب. وقد قارنتُ ما فيهما بما في معاجم أخرى كمقاييس اللغة والصحاح والقاموس المحيط، فلم أجد معانيَ جديدة يمكن إضافتها إلى الجدول، فاكتفيتُ بهما. وسأدرج المعاني المختلفة تحت اسم كل منهما. كما سأحدد إطار كل ركن من أركان الإسلام، بما سيسمح لي بتحديد علاقاته الدلالية التي يقيمها مع مكونات الإطار.

مفردات الأركان	المعجم	الدلالة الحقيقية	الدلالة المجازية	إطار مفردات الأركان
الشهادة	مفردات ألفاظ القرآن	الحضور والحكم بالشيء والإقرار به	العلم بالشيء.	المشاهِدُ (الفاعل) المشَاهَدُ (الهدفُ) البصرُ/البصيرَةُ (الوسيلة) الإقرارُ (المستفيدُ)
	لسان العرب	المعاينة والحضور	العلمُ بالشيء وتبيانهُ وإظهارهُ والبلوغُ والولادةُ والعبارة الحسنة.	
الصلاة	مفردات ألفاظ القرآن	الإيقاد بالنار. ومقاساة حر النار والاصطلاء بها.	الدعاء، والتبريك والتمجيد.	المصلي (الفاعل) المصلى له (الهدف) طقوس الصلاة (الوسيلة)

مفردات الأركان	المعجم	الدلالة الحقيقية	الدلالة المجازية	إطار مفردات الأركان
	لسان العرب	اللزوم: صلي إذا لزم، وصلي النار ألزم بها. عبادة مخصوصة (دلالاتها علاقتها الجزئية كالدعاء).	والدعاء والاستغفار، والرحمة، والثناء، والتعظيم.	المسجد (المكان) أوقات مخصوصة (الزمان) الوضوء (الشرط)
الزكاة	مفردات ألفاظ القرآن	النمو والبركة.	تزكية النفس (بعد روحي).	المزَكّي (الفاعل) المزكى له (المستفيد) المال/الأنعام/الحلي/الطعام (الوسيلة) التطهير (الهدف) النصاب (الشرط)
	لسان العرب	النماء والطيبة والسمن، والصلاح، والمدح، وصفوة الشيء، والتصدُّقُ.	التطهير.	
الصوم	مفردات ألفاظ القرآن	الإمساك عن الفعل موقفُ الفرسِ.	ترك الطعام والشراب والنكاح.	الصائم (الفاعل) المصام له (الهدف) الامتناع عن الطعام والنكاح (الوسيلة) من الفجر إلى المغرب (المدة) الإحساس بالجوعى (السبب) البلوغ والعقل، إلخ (الشروط)
	لسان العرب	الركود والاعتدال والاستواء، والاستظلال.	ترك الطعام والشراب والنكاح والكلام.	
الحج	مفردات ألفاظ القرآن	القصدُ.	قصد بيت الله الحرام.	الحاجُّ (الفاعل) المحجوج له (الهدف) شعائر الحج (الوسيلة) شهر ذي الحجة (الزمان) التطهير (السبب) الاستطاعة (الشرط)
	لسان العرب	القصد، والزيارة والتاليان.	التوجه إلى بيت الله بالأعمال المشروعة فرضا وسنة.	

يُستنتجُ من هذا الجدول أن دلالة مفردات أركان الإسلام تمزج بين الدلالة المعجمية والدلالة العرفانية. وأوضح ذلك من خلال النقط التالية:

- **الشهادة:** ترتبط بالمشاهدة وهو فعل بشري يومي، فحينما تشاهد الشيء ببصرك، فأنت تشهد عليه وتُزَكِّيهِ. وقد انتقل هذا الفعل الممارس من قبل حواس الإنسان إلى دلالة عرفانية لا يستدل عليها بالحواس وإنما بالبصيرة أي بالعلم الناتج عن تدبُّرٍ وتفكيرٍ. وهكذا، فإن المسلم حينَمَا ينطقُ بلفظ الشهادتين فهو لم يشاهد بعينيه، وإنما شاهد ببصيرته على وحدانية الله عز وجلَّ وصدق رسالة الرسول الأمين عليه أبهى الصلاة والتسليم.
- **الصلاة:** تتحدَّدُ دلالة الصلاة بمعناها اللغوي في النار ولزومها. فالإنسان الذي يصطلي النار أي يلزمها. وتجربة الإنسان اليومية تعلِّمُه أن النار مؤذية لجسده، لذلك يستغيث منها بالصراخ أو النداء على أحد يعرفه. وقد انتقلت هذه التجربة العرفانية إلى لفظ الصلاة، فكانت دعوات مستنجدَةً بخالق الكون الله الرحمن الرحيم، لينقذ المسلمين من شر النار وحرِّها. وترتبط دلالة الالتزام بالمداومة على الصلاة، حتى لو كان المرء مريضا أو يحتضر(١). فالتعوذ من النار من أكثر الأدعيةِ ورودًا عند المسلمين.
- **الزكاة:** تحمل الزكاة في المعجم دلالة الزيادة والنماء، لكنها في البعد العرفاني تحمل دلالات روحية تتعلق بتطهير النفس من المشاعر السلبية التي يمكن أن تنتاب المسلمين في تعلقهم بالمال. والتجربة

(١) في إجابة للشيخ العلامة صالح الفوزان على سؤال متصل مفاده ترك الصلاة في المرض، أجاب الشيخ: 'نعم، المسلم لا يترك الصلاة ما دام عقله باقيا، سواء كان في المستشفى أو في غيره، لكنه يصلي على حسب حاله. لا يكلف الله نفسا إلا وسعها. قال رسول الله ﷺ: 'يصلي المريض قائما، فإن لم يستطع فقاعدا، فإن لم يستطع فعلى جنب، وإن لم يستطع فمستلقيا وإجلاؤه على القبلة". ينظر الرابط التالي لكلمة الشيخ: https://bit.ly/2SPq15Z تاريخ الدخول: ٢٠١٨/١١/٠٥، على الساعة ١٠،٠٣ صباحا.

الإنسانية تعزز هذا الأمر، فالشخص الذي يُزَكِّى يزداد إعجابُهُ بنفسه ويزدادُ اطمئنانه النفسيُّ. وقد أكَّد النبي ﷺ على هذه الزيادة بقوله: "ما نقص مال من صدقة'، بل إن الزكاة تجعل المال يزكو وكذلك تفعل بالنفس. وهنا انتقال من ملموس هو (المال) إلى مجرد وهي (النفس).

- **الصوم**: تحمل دلالة الصوم المعجمية دلالات الإمساك، والوقوف، والركود، والاعتدال، والاستواء، والاستظلال. وقد أخذت الدلالة اللغوية العامة لمعنى الإمساك عن الفعل، وأضيفت إلى الإمساك عن اللذات الثلاث؛ أي الشراب والطعام والنكاح. وبهذا فالتجربة البشرية تقدم معطيات حول سعي الإنسان إلى تحقيق هذه الرغبات بشتى الطرق. وفي ذلك الأمر ترويضٌ للنفس وتربيةٌ لها، وسعي إلى جعلها نفسًا معتدلة ومستوية بكَسْرِ جُمُوحِهَا.
- **الحج**: تتراوح الدلالة المعجمية للحج بين القصد والزيارة. وتحكمها هي الأخرى مثل الصوم دلالة تخصيص لهذه الزيارة أي زيارة بيت الله الحرام بمكة المكرمة. وتتضمن الدلالة العرفانية للحج مفاهيم الرحلة، بما فيها من عناصر السفر وأهمها اعتبارُ مَكَّةَ منطقةَ وُصُولٍ. ولهذا ترتبط بالحج دلالات إعادة الولادة من جديد أو التطهير. إذ يشكل علامة فارقة في حياة الإنسان تبدأ بعده رحلة جديدة مغايرة، وغالبا ما تكون رحلة روحانية.

وسأفصل في محور التحليل في هذه الأركان وما يخلقه ارتباطها بمجالات تصورية أخرى من معانٍ جديدة تكسبُهَا قوة إقناعية وتجعل المسلمين يقتنعون بجدواها وتدفعهم إلى الحرص عليها، كما فعلت بالمسلمين إبان ظهور الإسلام. **وأكتفي هنا بإيراد ملاحظتين أساسيتين:**

أولاً: يُلاحظ أن التعدد الدلالي لمفردات أركان الإسلام ناتج بصفة خاصة عن طريق إعمال الخيال المتمثل في الكناية التصورية، حيث نجد مثلا تمثيل البصيرة للبصر في الشهادة، والدعاء للصلاة، والنفس للمال

في الزكاة، والكف عن الفعل للكف عن أفعال ثلاثة في الصوم، والقصد العام لقصد بيت الله الحرام في الحج. وكلها علاقات تجاورية تغلفها علاقة الجزء بالكل، إلا في الزكاة التي تحددها علاقة الكل بالجزء. وهذا ما يدل على تخلل المجاز لحياتنا في مختلف المجالات.

ثانيًا: ارتباط الأفعال المشتقة من أركان الإسلام بما يسمى في اللسانيات العرفانية بالأفعال المادية، وهي أفعال تعنى بما يقع وما يحدث في العالم الخارجي للإنسان. وتتكون الأفعال المادية من فاعل ومن هدف. كما تشمل مستفيدا من الفعل المنجَز. وتَدُلُّ الأفعال المادية على إحداث أَثَرٍ في المجتمع، ومن ثم تغييره سلوكه ومواقفه. لا سيما أن جل مفردات الإسلام دالة على معنى التحويل والانتقال من حالة إلى حالة أخرى: (من الخوف إلى الاطمئنان، ومن ارتكاب المعاصي إلى محو تلك المعاصي). وسأفصل في هذا الأمر في التحليل.

٣- استعارات أركان الإسلام التصورية:

تقومُ الاستعارات التصورية بربط مجال بمجال آخر؛ وهي منهج عقلي إقناعي يسهم في تغيير القيم والسلوك والأفكار، كما أنها من وسائل التوسيع الدلالي للكلمات، وأداة أساسية للإقناع، بحيث تقنعُ الناسَ بطريقة تفكير معينة، ومن ثم تجعلهم يتصرفون وفقا للسلوك المراد ترسيخه في نفوسهم. وقد انتبهتُ وأنا أبحث عن الاستعارات المرتبطة بهذه الأركان إلى أنها شائعة التوظيف في الحديث النبوي دون القرآن الكريم. وهذا يبرز الدور الكبير الذي أداه الرسول الكريم مُحَمَّد ﷺ في غرس تصورات الدين الإسلامي السمح في نفوس المسلمين. علاوة على كونه يظهر البلاغة المُبِينَةَ التي أتاه الله عز وجل إياها في إقناع مشركي قريش والقبائل الأخرى بالدخول إلى الإسلام. وقد قمتُ ببحث إلكتروني في المكتبة الشاملة في صحيحي الإمامين الجليلين أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري وأبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، نظرًا لصحة نقلها لأحاديث الرسول ﷺ. وانتهيتُ إلى مجموعة من الأحاديث التي تمثِّلُ استعارات تصورية. وهو ما أورده مفصَّلًا **في الجدول التالي:**

الأركان	الكتاب	الحديث
الشهادتان	صحيح البخاري	– "العبد إذا وضع في قبره وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه، فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل مُحَمَّد ﷺ، فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنَّة"(صحيح البخاري، ٢/٩٠).
	صحيح مسلم	– "أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله. لا يلقي الله بهما عبد، غير شاك فيهما، إلا دخل الجنة"(صحيح مسلم، ١/٥٥). – "أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله. لا يلقى الله بهما عبد، غير شاك، فيحجب عن الجنة"(صحيح مسلم، ج١/٥٦). "ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ (أو فيسبغ) الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدا عبد الله ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء" صحيح مسلم، ١/٢٠٩).
الصلاة	صحيح البخاري	– من توضأ وضوئي هذا، ثم يصلي ركعتين لا يحدث فيهما نفسه بشيء، إلا غفر له ما تقدم من ذنبه" (صحيح البخاري، ٣/٣١). – "صلاة أحدكم في جماعة تزيد على صلاته في سوقه وبيته بضعًا وعشرين درجة، وذلك بأنه إذا توضأ فأحسن الصلاة، ثم أتى إلى المسجد لا يريد إلا الصلاة، لا ينهزه إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفع بها درجة، أو حطت بها خطيئة"(صحيح البخاري، ٣/٦٦). – إن أحدكم إذا صلى يناجي ربه" (صحيح البخاري، ١/١١٢)
	صحيح مسلم	– مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم، يغتسل منه كل يوم خمس مرات" قال: قال الحسن: "وما يبقي من ذلك الدرن؟" (صحيح مسلم، ١/٤٦٣). – الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان كفارات لما بينهن مالم تغش الكبائر" (صحيح مسلم، ١/٢٠٩). – "الطهور شطر الإيمان. والحمد لله تملأ الميزان. وسبحان الله والحمد لله تملآن (أو تملأ) ما بين السماوات والأرض. والصلاة نور. والصدقة برهان. والصبر ضياء. والقرآن حجة لك أو عليك" صحيح مسلم، ١/٢٠٣). – "لا يتوضأ رجل فيحسن وضوءه. ثم يصلي الصلاة. إلا غفر له ما بينه وبين الصلاة التي تليها" صحيح مسلم، ١/٢٠٥). – "الصلاة الخمس. والجمعة إلى الجمعة. كفارة لما بينهن. ما لم تغش الكبائر"(صحيح مسلم، ١/٢٠٩).

الأركان	الكتاب	الحديث
الزكاة	صحيح البخاري	– "فتنة الرجل في أهله وولده وجاره تكفِّرُها الصلاة والصدقةُ والمعروف" (صحيح البخاري، ١١١/١).
	صحيح مسلم	– "ما تصدق أحد بصدقة من طيِّب، ولا يقبل الله إلا الطيِّب، إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرةً، فتربو في كفِّ الرَّحمن حتى تكون أعظم من الجبل، كما يربي أحدكم فلوَّه أو فصِيله" (صحيح مسلم، ٧٠٢/٢). "مثل البخيل والمتصدق. كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد. قد اضطرت أيديهما إلى ثديهما وتراقيهما. فجعل المتصدق كلما تصدق بصدقة انبسطت عنه. حتى تغشي أنامله وتعفو أثره"(صحيح مسلم، ٧٠٨/٢).
الصوم	صحيح البخاري	– يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وِجَاءٌ" (صحيح البخاري، ٣/٧). – "من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه" (صحيح البخاري، ج:١، ص:١٦)
	صحيح مسلم	– "الصيام جنة" (صحيح مسلم، ٨٠٦/٢). ثلاث من كل شهر. ورمضان إلى رمضان. فهذا صيام الدهر كله. صيام يوم عرفة، أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله. والسنة التي بعده. وصيام يوم عاشوراء، أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله"(صحيح مسلم، ٨١٨/٢).
الحج	صحيح البخاري	– "من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه" (صحيح البخاري، ١١/٣)
	صحيح مسلم	– " أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحج يهدم ما كان قبله؟"(صحيح مسلم، ١١٢/١). – "العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما. والحج المبرور، ليس جزاء إلا الجنة"صحيح مسلم، ٩٨٣/٢).

يمكن استنتاجُ ملاحظتين من هذا الجدول، أوردهما وفق الترتيب التالي:

- ارتبطت كل أحاديث أركان الإسلام بتصور هذه الأركان على أنها حاوية، وهو ما سأوضحه فيما المحور التالي.

- ارتبطت هذه الأحاديث أيضًا بتصور المغفرة وما يرتبط بها من ألفاظ، كالوجاء والولادة من جديد والجُنَّة ...إلخ.

بناء على هاتين الملاحظتين، سأقسم التعامل مع استعارات أركان الإسلام وفق محورين أساسيين هما: (الحماية) و(المغفرة). لكن قبل ذلك سأورد الاستعارات التصورية المرتبطة بأركان الإسلام الواردة في الجدول أعلاه:

أركان الإسلام	الاستعارات المرتبطة بها
الشهادتان	– الشهادة أداة دخول الجنة – الشهادتان مفتاح لدخول الجنة
الصلاة	– الصلاة محو للذنوب – الصلاة اتصال بالله – الصلاة نهر – الصلاة نور
الزكاة	– الزكاة محو للذنوب – الزكاة نمو
الصوم	– الصوم جُنَّة – الصوم محو للذنوب
الحج	– الحج ولادة – الحج أداة لدخول الجنة

يمكن ملاحظة أن هذه الاستعارات استعارات أنطولوجية. وقلتُ إن الاستعارات الأنطولوجية تمكِّنُ المتكلمين من إدراك تجاربهم من خلال الأشياء والمواد والحاويات، وقلتُ إن كل الاستعارات محكومة بخطاطة صورة الحاوية، نظرًا لتواتر دلالتي الحماية والمغفرة فيهما. وهذا يقودني إلى المحور الأخير من هذا الفصل، الذي

سأخصصه لدراسة هذه الاستعارات التصورية، من خلال نظرية الاستعارة التصورية كأداة وصفية وتحليلية ونظرية المزج كأداة تفسيرية لمعنيَيْ الحماية والمغفرة.

٤- استعارات أركان الإسلام: في ضوء التحليل العرفاني:

تعدُّ خطاطات الصورة المواد الخام للاستعارات التصورية، وهي "شبكة تصورية تنظِّمُ نشاطاتنا الجسدية ومعارفنا الذهنية، وتؤسس لضروب سلوكنا، وتحكم رؤيتنا المنسجمة للحياة والكون"[١]. ومعنى هذا الكلام أننا ندرك تجاربنا في تفاعلنا اليومي مع أشياء العالم الخارجي انطلاقًا من تصورات مجردة لهذه التجارب، وهي تصورات موجودة في أذهاننا. ولنوضح ذلك نأخذ خطاطة صورة 'المصدر-المسار-الهدف'، التي تبرُزُ من تجاربنا الحركية، والتي تحتوي على نقطة انطلاق ونقطة وصول ومسار بينهُمَا. وتحكم هذه الخطاطة طريقة تصورنا للحياة وللسياسة والدين، إلخ. ولهذه الخطاطة تجليات استعارية، من قبيل: الحياة رحلة، وحياة المؤمن رحلة، والصراع السياسي رحلة، والبحث رحلة، إلخ.

وبما أن الأمر كذلك، فالبدء بتوضيح خطاطات الصورة الحاكمة للاستعارات التصورية أمر مهم، نظرًا لأن الخطاطة المتحكمة في الاستعارات التي سأحللها هي خطاطة صورة الحاوية، فإنني سأخصص محورا فرعيا لها باسطةً معناها ووظائفها. ثم أنتقل بعد ذلك إلى تحليل تجلياتها الاستعارية في تصور الإسلام وأركانه.

٤-١- خطاطة صورة الحاوية:

يرى مارك جونسون في كتابه الجسد في الذهن أن الاحتواء يتخلَّلُ تجربتنا الجسدية. ويرى أننا على وعي بأن أجسادنا تمثِّلُ حاويات ثلاثية الأبعاد. فمثلا نحن نضع فيها الأكل والشرب والهواء، وفي الآن نفسه، نخرج منها الفضلات والماء والدم وغير ذلك. كما أننا نختبر الاحتواء المادي من خلال ما يحيط بنا سواء كان

(١) محمد الصالح البوعمراني، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني (٢٠٠٩): ٩١.

بنايات أو لباسا أو سيارات، إلخ[١]. ويرى جونسون أن هناك خمسة تضمينات لخطاطة الحاوية، **أوردها كالتالي**:

أ. تتضمن تجربة الاحتواء بشكل نمطي الحمايةَ من قِوًى خارجية أو مقاومة تلك القوى.

ب. يحدُّ الاحتواء القوى داخل الحاوية ويقيِّدُهَا.

ت. تصبح الأشياء بسبب التقييد ثابتة نسبيا في المكان.

ث. يجعل الثباتُ الناتج عن التقييدِ الأشياءَ إما متاحة للنظر أو غير متاحة للنظر من قبل المشاهدين.

ج. يتميَّزُ الاحتواء بخاصية التَّعْدِيَّةِ، فإذا كنت في السرير والسرير في الغرفة، فأنا ضِمْنِيًا في الغرفة[٢].

وقد حدد جونسون رسما توضيحيا لهذه الخطاطة بما بأنه يساعد على تحديد السمات البنيوية الأساسية للخطاطة ويوضح علاقاتها الداخلية. وأورد هذا الرسم في الشكل أسفله:

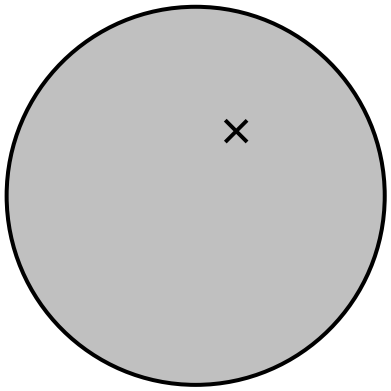

شكل (٥): رسم تخطيطي للاحتواء[٣].

ويشير الصالح البوعمراني إلى أن "استعارةَ القناةِ من أهم الاستعارات التي عَبَّرَ من خلالها العرفانيون عن خطاطة الاحتواء. فهم ينظرون إلى اللغة باعتبارها قناةً تحمل أفكار الفرد ومشاعره إلى آخرين، ويعتبرون بذلك

(١) **ينظر**: مُحَمَّد الصالح البوعمراني، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني (٢٠٠٩): ١٠٧.

(٢) **ينظر**: المصدر السابق: ١٠٨-١٠٩.

(٣) **ينظر**: المصدر السابق: ١٠٩.

الكلمات بمثابة الحاويات الحاملة للمفاهيم والأفكار"[١]. وسأنظر إلى التجليات الاستعارية لهذه الخطاطة في تصور الإسلام وأركانه.

٤-٢- تصور الدين الإسلامي كبناية:

يقوم تصور الإسلام وأركانه على حديث نبويٍّ صحيحٍ وردَ في صحيحي البخاري ومسلم. حيث جاء في صحيح البخاري قوله ﷺ: "بُنِيَ الإسلام على خمسٍ: شهادة أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدا رسول الله، وإقام الصلاةِ، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان"[٢]. كما جاء في صحيح مسلم قوله ﷺ: "بني الإسلام على خمس. شهادة أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدا عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان"[٣]. ويتضح لي من خلال هذا الحديث أن الإسلام متصوَّرٌ على أنه بِنَايَةٌ. وقبل أن أحلل هذه الاستعارة وأفسرها. سأسوق دلالاتها المعجمية والعرفانية.

٤-٢-١- البناء من الدلالة المعجمية إلى الدلالة العرفانية:

تعدُّ معرفةُ دلالةِ الكلمةِ رهينةً جزئيا بمعرفة الأطر المختلفة التي ترتبط بها. وسأورد في البداية البنية الدلالية المعجمية لكلمة 'بنى'، ثُمَّ أنظر بعد ذلك في دلالتها العرفانية. وقد انتهيتُ إلى المعاني المعجمية التالية لمفردة 'بنى'، أسوقها في الجدول أسفله:

(١) **ينظر**: مُحَمَّد الصالح البوعمراني، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني (٢٠٠٩): ١١٠.
(٢) صحيح البخاري (١٤٢٢): ١١/١.
(٣) صحيح مسلم (١٩٩١): ٤٥/١.

المعجم	دلالة كلمة 'بنى'
مفردات ألفاظ القرآن	البناء: اسم لما يبنى بناءً[].
لسان العرب	– تعني البنية الكعبة، وتعني المبناةُ القبة. – أبنية العرب تكون من طراف وأخبية والطراف تكون من آدم والأخبية من صوف ووبر والأخبية والطراف من أبنية العرب التي تبنيها إما من الصوف أو الجلد (الآدم)، وهي عند العرب تكون على ثلاثة أعمدة فقط وحينما تجاوز الأعمدة الثلاثة تصبح بيتا. – البناء يكون مما لا ينمى أي الحجر والطين. – البناء مجازا يعني المجد. – فالمبناة قبة تحمل دلالة الحماية من الحر والبلل، أي ما تبنيه المرأة في وسط دارها لحمايتها من المطر والحر (لسان العرب، مادة بنى).

أستنتج من هذا الجدول أن دلالة بنى في المعجم تمزج ما بين الدلالة المعجمية والدلالة العرفانية. فالبناء تجربة بشرية ترتبط بجسد الإنسان، من خلال غزل الصوف لتشكيل الطراف أو صناعة الجلد لاستعمالهما في بناء الخيمة، أو صناعة الآجر ونحت الحجارة واستعمالهما في البناء. كما أن هذه التجربة البشرية دمجت التصورات الشعورية الناتجة عن بناء بناية معينة أي الحماية والمجد.

وهنا يمكن ملاحظة آثار التصورات العرفانية في الدلالة المعجمية، وهو ما توصلتُ إليه من خلال بحث آثار هذه الدلالات العرفانية في المعاجم العربية، وهو بحثٌ يمكن أن يعدّ بذرة نظرية عرفانية في التراث العربي.

بناء على ما قلتُهُ سابقا؛ أي أن المعنى يكون نتاج ارتباطِ الدلالة المعجمية بالبنيات التصورية الذهنية البشرية، أخلص إلى أن كلمة 'بنى' في المعاجم تحمل تصورات ذهنية تعكس مفهوم البناء، أو بلغة دلالية إطار البناء. وهو ما سأوضحه فيما يأتي:

٤-٢-٢- إطار البناء:

سبق أن ميزتُ بين المعروض وأساسه[١]. وإذا حللنا إطار البناء وفق هذين المصطلحين، قلنا إن المعروض هو البناء وأساسه: البَنَّاءُ وأدوات البناء وتقنيات البناء والقاطنون ونوع البناء والغاية من بنائه أو وظيفته ثم رمزيتُهُ، إلخ. ولو انتبهنا إلى كون البناء تجربة جسدية ملموسة، وهي من ثمَّ إطارٌ يستخدمه البشر لفهم العالم المحيط بهم، لا سيما في فهم الأمور المجردة. ولو اعتمدنا مفهوم الأدوار الدلالية، وهو مفهوم يقول إن كل فعل له أسماء ترتبط به تعبر عن الفاعل والمفاعيل، مع استثناء الظروف، سنجد أن فعل 'بنى' له الأدوار الوظيفية التالية:

- **الفاعلُ**: وهو الذي ينجز فعلا معينا، وهنا ينجزُ فعل البناء.
- **الوسيلةُ**: وهو كل ما يستخدمه الفاعل من أجل إنجاز الفعل، وهو هنا أداوت البناء كالآجر والجص والطين والطراف والأخبية، إلخ.
- **المستفيدُ**: وهو الذي يستفيد من الفعل المنجز، وهو هنا القاطنُ بصفة خاصة، والمنتمي إلى البناء بصفة عامة.
- **المحورُ**: وهو العامل غير العاقل الذي يتأثر بواسطة حدث ما، وفي حديث بني الإسلام على خمس، الإسلام متأثر من عملية البناء.
- **الهدفُ**: الغاية التي يسعى إليها الفعل، وهي هنا السكن والحماية والمجد.

(١) **ينظر**: صفحة ٨٢ من الرسالة.

إن إطار البناء هو عبارة عن معرفة مخزونة في الذاكرة طويلة الأمد، وهي ذاكرة تستخدم في بناء معنى معينٍ. وحينما يستعمل في فهم إطار مجرد، فإن مكونات هذا الإطار تشتغل في عملية بناء المعنى. ومن ثم يجب استحضارها في التأويل.

٤-٢-٣- فهم إطار الإسلام بواسطة إطار البناء:

يعدُّ الإسلام إطار مجردا، فهو دين واعتقاد. وقد عبَّرَ عنه حديث النبي ﷺ بإطار البناء. وهو ما يخلق في الذهن البشري عملية إسقاطات بين الإطارين: إطار الإسلام وإطار البناء. واللسانيون العرفانيون يقولون إن الإطار المجرد غالبا ما يخضع لإسقاط من الإطار الملموس، الذي هو البناء في الحديث النبوي. وهكذا يدفع السامع إلى تصور الإسلام على أنه بناية، ويَفْهَمُهُ انطلاقًا من إطار البناء ومن مكونات هذا الإطار.

تعدُّ استعارة الإسلام بناية استعارة بنيوية، وهي من ثم تسمح لفهم الدين انطلاقًا من بنية البناية، وما تتضمنه من غرف وأبواب وسقف وحيطان ومفاتيح، إلخ. علاوة على الوظائف التي تؤديها من حماية وانتماء ومجدٍ، إلخ. ويمكن تحليل هذه الاستعارة **وفق نظرية الاستعارة التصورية في الجدول التالي:**

المصدر: البناية	الإسقاطات	الهدف: الإسلام
الفاعل: البَنَّاءُ	←	الفاعل: الله
الهدف: بناء بناية	←	الهدف: تأسيس الإسلام
الوسيلة: أدوات البناء	←	الوسيلة: أركان الإسلام
المستفيد: القاطن	←	المستفيد: المسلم
الغاية: الحماية من البلل والحر، إلخ	←	الغاية: حماية المسلم من النار

جدول (٢): إسقاطات استعارة الإسلام بناية

ويمكن أن أفسِّرَ العملية التي تحدث في ذهن المستمع، بتوسُّلِ نظرية المزج التصوري، التي بسطتها في المحور النظري؛ إذ ترى هذه النظرية —باختصار–أن المعنى يبنى في الذهن، وأن بناءه يكون بتحفيز من الوحدات المعجمية. ويُبْنَى المعنى وفق هذه النظرية في فضاءات ذهنية يحْدُثُ بينها إسقاط من فضاء إلى فضاء آخر، وينتج هذا الإسقاط عن بنية بارزة جديدة هي محَصَّلَةُ الجمع بين الإطارين، هذه البنية الجديدة أو البارزة بمفردات اللسانيين العرفانيين هي التي توصلنا إلى فهم المعنى الذي يتبلور لدى السامع. وأوضح ذلك وفق الشكل التالي:

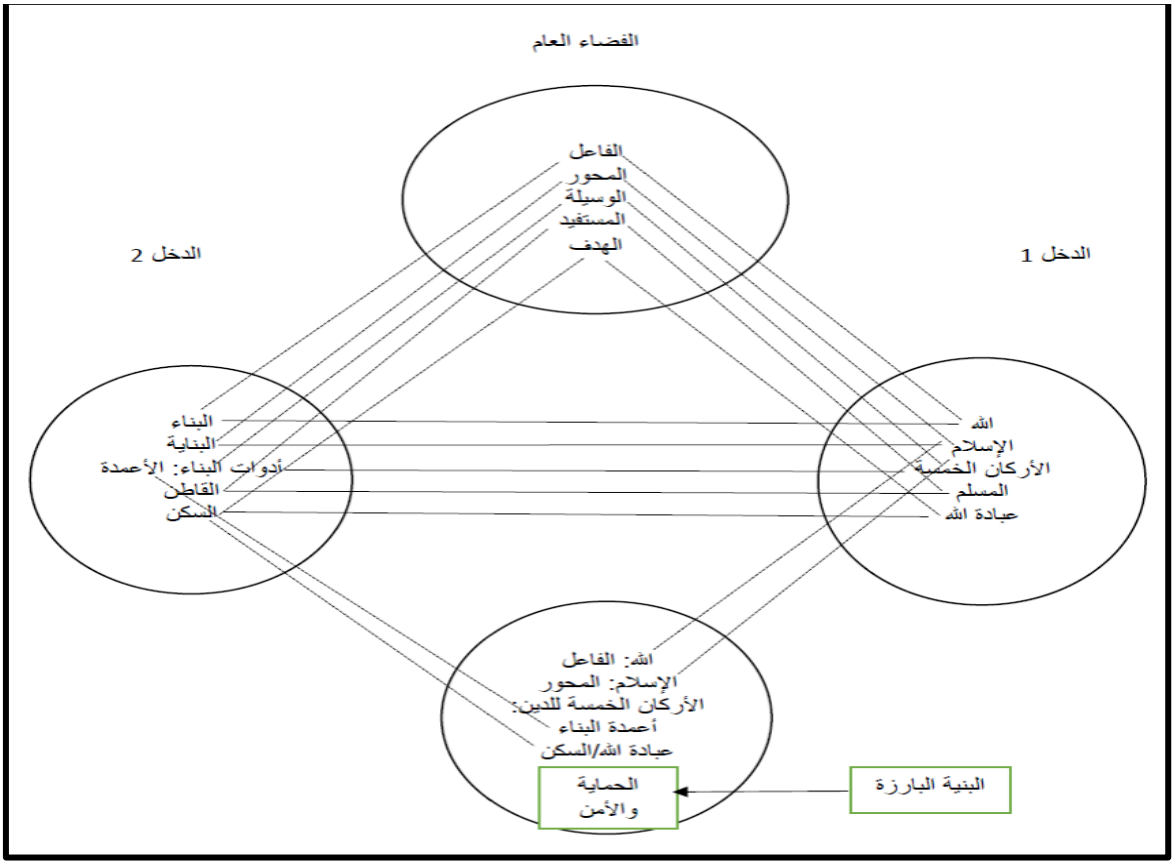

شكل (٦): شبكة دمج الإسلام بناية

يبدو للمتأمل في الشكل أعلاه أن هناك إسقاطات حدثت بين إطاري الإسلام والبناء، فقد بنى الله الإسلام بناه على خمسة أعمدة من أجل عبادته، وهنا يُفهم الدين انطلاقًا من إطار البناء، وتتدخل التجربة

البشرية في عملية بناء معنى هذا الحديث النبوي، فالبناء يحتاج أدوات كما يحتاج إلى أعمدة يقام عليها البناء، وأي إخلال بتقنيات البناء وأسسه ستؤدي لا محالة إلى سقوط البناء. ومن ثم ندرك أهمية الأركان الخمسة في الدين الإسلامي؛ فهي أعمدة إن زالت زال البناء. ويدل على ذلك حديث النبي ﷺ: "إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة"(١).

ويشتغل إطار البناء أيضًا، بناء على التجربة البشرية، ليقدم تأويلا لغاية البناء، وهي السكن والحماية، وفي بعض الحالات المجد والعزة. فقد يحدث أن يكون هناك بناء ذو رمزية لدى أمة معينة، كما هو الأمر بخصوص البيت الحرام وبيت المقدس لدى المسلمين، وما إلى ذلك. وأدافع في هذا البحث على دلالة الحماية والأمن والانتماء. ويمكن إيجادُ دعمٍ لهذه الدلالة في علم النفس الاجتماعي؛ فعادة ما يكون للناس انتماء قوي لمجموعة معينة بناء على ما يُوَحِّدُهم وليس على ما يميز بين الأفراد، فالدين الإسلامي السمح أسَّسَ بنايَةً تسمح لكل الإنسانية بالسكن فيها وإليها؛ فهي تضمن لهم الحقوق والمساواة. ولو تأملنا الدين الإسلامي لوجدناه يعزز قيم المساواة بدرجة كبيرة. فلا فرق بين عربي وعجمي إلا بالتقوى، وعليه فالبيت الذي يستطيع أن يقنع الناس أنهم متساوون فيه لا بد أنهم سيدخلون فيه أفواجا ويدافعون عنه بأرواحهم وأموالهم ... إلخ. وباستحضار تضمينات خطاطة الحاوية هنا، يمكن القول إن معظم تلك التضمينات تحضر هنا؛ فالدين الإسلامي يشكل حماية للمسلمين من تأثيرات الديانات الأخرى المحرَّفة أو الممارسات الوثنية وغيرها كالمجوسية، كما أنه يشكل مقاومة تجاه هذه الأفكار الدينية، بإعطائه تصورًا نسقيًا للحياة، وهو تصوُّرٌ أصبح شيئا فشيئا ثابتا ومنظورا مشتركا لدى العديد من الشعوب، لا سيما بعد الفتوحات الإسلامية التي أظهرت سماحة هذا

(١) الترمذي، مُحَمَّد بن عيسى، سنن الترمذي(١٩٧٥): ١٣/٥، تحقيق وتعليق: أحمد شاكر، مُحَمَّد عبد الباقي، إبراهيم عطوة، شركة ومطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ط: ٢.

الدين وانسجامه مع نواميس الكون. علاوة على كون تصور الدين الإسلامي بأنه بناية يتيح خاصية التعدية، التي تدلُّ على معنى الانتماء.

وأشير إلى أن تصور الدين بأنه بناية لهُ تداعياتٌ في فهم المحدثين والقدماء، حيث يقول خالد بن سعود البليهد معلقا على حديث أركان الإسلام:

"لا يقتصر دين الإسلام على هذه الأمور الخمسة بل يشمل أعمالا وشعبا كثيرة وإنما اقتصر النبي صلى الله عليه وسلم على ذكر هذه الأركان الخمسة لأنها بمنزلة الدعائم للبنيان، وفي رواية للمروزي بلفظ (بني الإسلام على خمس دعائم) والمقصود تمثيل الإسلام بالبنيان وهذه الخمس هي دعائمه التي يقوم عليها فلا يثبت البنيان بدونها وبقية خصال الإسلام تتمة للبنيان فإذا فقد منها شيء نقص البنيان وهو قائم لا ينتقض بنقص ذلك بخلاف نقص هذه الدعائم الخمس فإن الإسلام يزول بزوالها جميعا بغير إشكال، وكذلك يزول بفقد الشهادتين[١].

وتعليق البليهد فيه استيعاب لتصور الدين على أنه بناية وإشارة إلى مركزية هذه الأركان في الدين. وقد انتبه النووي قبلَهُ إلى هذا الأمر في ذهابه إلى أن "هذا الحديث [حديث أركان الإسلام] أصل عظيم في الدين، وعليه اعتماده، وقد جمع أركانه"[٢]. وذهب بعض الفقهاء إلى المقارنة بين هذه الأركان وبين الجهاد في سبيل الله، منتهيين إلى كون الجهاد ليس فرضَ عينٍ وإنما فرضُ كفاية لذلك كانت هذه الأركان أَوْلَى في الدين من

(١) **ينظر**: خالد بن سعود البليهد، على الرابط التالي: http://bit.ly/nWvZnw٢ تاريخ الدخول: ٢٠١٨/١١/٠٥، على الساعة ١١،٤٥ صباحا.

(٢) صحيح مسلم (١٩٩١): ١٧٩/١.

الجهاد رغم مرتبته العليا في الدين[١]. وفي حديث معاذ بن جبل قال رسول الله ﷺ: "رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله"[٢].

٤-٢-٤- تفسير لاستعارة الإسلام بناية:

إن تصور الإسلام على أنه بناية يحمل دلالات عديدة؛ فقد أصبح أخيرا للعرب بيت يؤويهم بعد أن كانوا متفرقين ومتعددي الآلهة. لقد أصبح الإله إلها واحدا، والبيت بيتا واحدا. وهذا يجعل المنضوين في البيت لديهم الحقوق نفسها وعليهم الواجبات نفسها كذلك. ويحمل المنزل دلالات الاستقرار والانتماء والملكية، وهي كلها دلالات إيجابية كانت غاية الإنسان العربي. وهو يدرك أن الحفاظ على سلامته رهين بأن يكون البناء سليما ومتقن الصنع، وكذلك يريد العقل الإسلامي أن يغرس في نفوس المسلمين بأن الإسلام يجب المحافظة على شعائره لأنه بالحفاظ عليها يحافظ على الدين، والتفريط في إحداها تهديد لسلامة الدين بالهدم والسقوط.

وأسوق نصا طريفا لمحمد نعمان الجارم في كتابه أديان العرب في الجاهلية يعكس هذا الاختلاف بين الدين الإسلامي والديانتين اليهودية والمسيحية، وجاء فيه: "فقال اليهودي: إنَّك لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله... فقال له النصراني: إنك لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله. فقال: ما أفر إلا من لعنة الله، ولا أحمل من لعنة الله، ولا من غضبه شيئا أبدا، وأنا أستطيع. فهل تدلني على غيره. قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفا"[٣].

---

(١) بن سعود البليهد، على الرابط التالي: http://bit.ly/nWvZnw٢.

(٢) رواه الألباني في صحيح الترمذي (١٩٧٥) عن معاذ بن جبل، الرقم: ٢٦١٦، وهو حديث صحيح.

(٣) محمد نعمان الجارم، أديان العرب في الجاهلية (١٩٢٣): ١٩٥.

يبرز هذا النص أن الديانتين اليهودية والمسيحية كانَ الدخولُ إليهما يفترضُ أمورا تثقل كاهل الإنسان العربي، بينما الدين الإسلامي دعاهم بطريقة مختلفة تخاطب وجدانهم؛ إنها دعوة إلى الانتماء إلى فضاء واحد الكُلُّ فيه متساوٍ، والكُلُّ يؤدي الشعائر الدينية نفسها، والكل فيه متآزر ومتضامن، لا سيما أن دلالة البناية كما أشرنا دلالة إيجابية للغاية لما تحمله من استقرار وانتماء وملكية. وهذا في نظري أسهم -إلى حد ما- في إنجاح الدعوة إلى الإسلام، من خلال غرس هذه التصورات في الذهن العربي ما قبل الإسلامي. وأشير هنا إلى مسألة أساسية في عدم تمكن الديانات السابقة للإسلام على القضاء على الوثنية، فلو تذكرنا الأسباب التي أشار إليها سهيل طقوس، ومن ذلك: عدم وضع حلول للمشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي كان يعاني منها عامة الناس في مكة كي تستطيع الحنيفية أن تستقطب إليها المظلومين والمعدمين. وكذلك فشل النصرانية بسبب اختلاف مبادئها عما ألفه العرب الوثنيون. وفشل اليهودية لعدم اهتمامها الجدي بالتبشير بالدين؛ اعتقادا من اليهود أنهم شعب الله المختار وأن الشعوب الأخرى غير جديرة بذلك. كلُّ هذه الأسباب تتلخَّصُ في قيمٍ دعا إليها الإسلام وحثَّ عليها وطبَّقها؛ أي: المساواة بين المسلمين، وفرض نظام الزكاة، وتعزيز بعض أخلاق العرب كالكرم والنجدة والشجاعة، إلخ. والسعي الدؤوب إلى نشر الإسلام والتحبيب فيه. وكل هذه القيم ترسخت في أذهان المسلمين من خلال أحاديث النبيّ ﷺ، كما سأوضِّح ذلك في تحليل بعض الاستعارات الدينية التصوُّرِيَّةِ، التي أميِّزُ فيها بين استعارات الحماية والمغفرة.

٤-٣- استعارات الحماية:

أقصد باستعارات الحماية الاستعاراتِ التصوريةَ التي تصوِّرُ أركان الإسلام تصويرا يعكس مفهوم الحماية للنفس وللمال من مصدر خارجي معيَّنٍ. وأحدد هذه الاستعارات **في الجدول أدناه:**

أركان الإسلام	الاستعارات المرتبطة بها
الشهادتان	- الشهادة أداة دخول الجنة - الشهادتان مفتاح لدخول الجنة
الصلاة	- الصلاة نور
الزكاة	- الزكاة نمو
الصوم	- الصوم جُنَّة
الحج	- الحج أداة لدخول الجنة

إن المتأمل في الاستعارات أعلاه يجد أنها تندرج في إطار دلالة الحماية، لا سيما عند استحضار مفهوم خطاطة صورة الحاوية وإطار البناء. فالدين الإسلام بناية يحتاج المسلمون إلى دخولها، للدخول في الإسلام، وهو ما يعني ضمنيا الدخول إلى الجنة (خاصية التعدية). وهكذا يعدُّ ركنا الشهادتين والحج وسيلة لدخول الجنة. بينما يُظهرُ الصوم بوضوح دلالة الحماية، فهو يقي من مصادر الخطر الخارجية. أما النور فعلاقته بمفهوم الحماية تُفهمُ انطلاقًا من استحضار نفق معيَّن يصبحُ فيه النور أمرا ضروريا للاهتداء في السير وتجنب التيه، الذي قد يؤدي بالمرء إلى ما لا يحمد عقباه. وتُفْهَمُ استعارة النمو المرتبطة بالزكاة، من الناحية الاقتصادية؛ فحماية المال تكون بإنمائه، وإلا فإن الأخذ منه يوميا يتسبَّبُ في نقصانه. وسأحلل هذه الاستعارات الأربع بتفصيل في المحاور الفرعية التالية.

٤-٣-١- استعارة: الشهادتان/الحج أداة لدخول الجنة

يرتبط مصطلح الدخول بإطار البناية وبخطاطة صورة الحاوية. حيث تصبح الجنة مكانا يدخل فيه المسلمون. وما دام الدخول يقتضي أداوت أو قطع مسافات، تأتي الشهادتان كأداة لدخول الجنة وكذلك

الحج. وسأفصل في هاتين الاستعارتين متبعةً تحديد مفهومها اللغوي ثم إطارهما الموسوعي الواسع، ثم أفسرهما في ضوء نظريتي الاستعارة التصورية والمزج التصوري.

٤-٣-١-١- استعارة الشهادتان أداة لدخول الجنة:

إن المتصفح لمعجم مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، يجد في مادة "شهد" معاني عديدة مرتبطة بهذه الكلمة. حيث يعرف الراغب الشهادة فيه بأنها: "قول صادر عن عِلْمٍ حَصَلَ بِمُشَاهَدة بَصِيرَةٍ أو بَصَرٍ"[١]. ويقسم فعل الشهادة؛ أي "شَهِدْتُ" إلى قسمين، أوضحهما كالتالي:

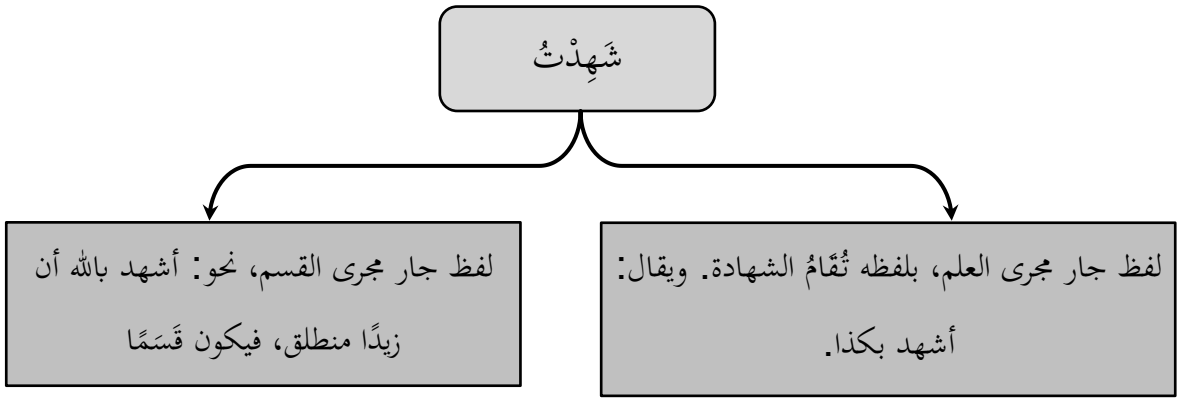

شكل (٧): دلالة لفظ الشهادة في معجم مفردات ألفاظ القرآن

يستنتج من تعريف الراغب أنَّ للشهادة معانيَ الحضور، والحكم بالشيء، والإقرار به[٢]. ويشير الراغب في نهاية المدخل المعجمي المخصص لمادة "شهد" إلى أن التشهد هو قول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن مُحَمَّدا رسول الله"، ويُنَبِّهُ إلى كون التشهد أصبح اسما للتحيات المقروءة في الصلاة، والذِّكْرِ الذي يقرأ ذلك فيه"[٣]. وأستنتج من هذا العرض المعجمي أن الشهادة تدل على العلم بالشيء، ثم إنها قَسَمٌ، ومن ثم فعل

(١) الراغب (٢٠٠٩): ٤٦٥.
(٢) **المصدر السابق**: ٤٦٦.
(٣) **المصدر السابق**: ٤٦٧.

كلامي تنتج عنه سلوكيات معينة. ولقد جاء الحديث النبوي ليحدد استعارة الشهادتين أداة لدخول الجنة، فقد قال رسول الله ﷺ: "ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ (أو فيسبغ) الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدا عبد الله ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء"[١]. حيث تتصور الشهادتان مقرونتين بالوضوء كمفتاح لدخول الجنة. وقبل أن أحلل هذه الاستعارة أشير إلى أنَّ الشهادتين أولاً وقبل كل شيء رُكْنٌ من أركان الدين الإسلامي. ويشير التركيز على فعل البناء، المذكور في الحديث، إلى مظاهر الإبداع في عملية البناء، والساعية إلى إظهار متانة البناية وقوتها. وهذا ما يمكن إيجاده في مصطلح الركن، الذي يدُلُّ على الجانب الذي يُسْكَنُ إليه، والذي يستعار للدلالة على القوة، "وأركان العبادات، جوانبها التي عليها مبناها، وبتركها بطلانها"[٢]. وهكذا يُتَصَوَّرُ الدين على أنه بناية، والشهادتان على أنهما دعامة لهذا البناء.

ورجوعا إلى استعارة الشهادتان أداة لدخول الجنة أشير إلى أنها استعارة فرعية لاستعارة الإسلام بناية، ويمكن أن أمثِّل لها في الجدول التالي:

المصدر: أداة دخول الجنة	الإسقاطات	الهدف: الشهادتان
الفاعل: الإنسان	←	الفاعل: المسلم
الهدف: فتح باب الدار	←	الهدف: وحدانية الله وصدق الرسالة
الوسيلة: المفتاح	←	الوسيلة: النطق بالشهادتين
المستفيد: الإنسان	←	المستفيد: المسلم
الغاية: الدخول إلى الدار	←	الغاية: الدخول إلى الجنة

جدول (٣): إسقاطات استعارة الشهادتان أداة لدخول الجنة

(١) صحيح مسلم (١٩٩١): ٢٠٩/١.

(٢) الراغب (٢٠٠٩): ٣٦٥.

يتَّضِحُ من خلال هذا الجدول أن الشهادتين يصوَّرَانِ بأنهما أداة (مفتاح) لدخول الجنة، وتصويرهما بذلك يجعل المرء يدرك أنه لا يمكن دخول منزل معين دون مفتاح. وهذا ما يعزِّزُ دلالة الحماية. وهو تصور يعيشه الإنسان كل يوم عند دخوله إلى منزله. فالدخول يقتضي مفتاحا يفتح باب المنزل، الذي يشعر فيه بالحماية والاطمئنان. والجنة ليست في هذه الاستعارة سوى مكان له أبوابٌ يدخل منها المسلمون، ومفتاح دخولهم إليها هو شهادتهم أنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله. وبالطبع فعدم امتلاك المفتاح يحول دون دخول المرء إلى المكان المغلق. وهنا أستحضر التضمين الثالث لخطاطة صورة الحاوية القاضي بأن الاحتواء يجعل القِوَى داخل الحاوية محدودةً؛ بمعنى أنها تحول دون دخول عناصر لا تنتمي إلى المجموعة الداخلية. وأستحضر هنا جواب العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز –رحمه الله– لما سُئِل عن سؤال نصه: "من قال لا إله إلا الله دخل الجنة" هل هذا حديث صحيح؟ وهل يكتفي الإنسان بقول "لا إله إلا الله" دون العمل بمقتضاها؟ وجواب الشيخ أكَّد ضرورة العمل بمقتضى شهادة أن لا إله إلا الله؛ أي بالإخلاص لله عز وجل وتأدية حقوقه وتجنُّب نواهيه. لكنه مع ذلك ساق أحاديثا كثيرة تبرز أنه حتى العصاة من أمة مُحَمَّد يدخلون الجنة برحمة من الله عزَّ وجلَّ، وبشفاعة نبيه ﷺ. وقال بخصوص الكفار: "ولا يبقى في النار إلا الكفار، فإنهم يخلدون فيها أبد الآباد"[(١)]. وبهذا فالشهادة مفتاح لدخول الجنة، والحماية من النار.

وتأتي دلالة الحماية من الخبرة البشرية؛ فبناء الإنسان للأبنية والمنازل والخيام وغيرها، كان هدفه الأساسي هو الحماية من الحر والقرِّ، ومن عواصف الماء والرمل، ومن هجوم الحيوانات المفترسة، إلى غير ذلك. علاوة على كون المنازل تمثِّلُ سترا وحاجزا يحول دون رؤية الآخرين لما يقع فيها. غير أن هذا المعنى الأخير غير مسقطٍ في عملية بناء استعارة الإسلام بناية، واستعارتها الفرعية الشهادتان أداة لدخول الجنة. لكون الإسلام

(١) **ينظر**: إجابة الشيخ في الموقع التالي: https://bit.ly/2SZ1Xxh تاريخ الدخول: ٢٠١٨/١١/٠٩، بتاريخ: ١٠،٤٨ صباحا.

من الأديان التي تحثُّ على دعوة الأمم غير المسلمة إلى الدخول إلى الإسلام وإظهار قوانين بيت الإسلام وحقوقه وشعائره.

٤-٣-١-٢-استعارة الحج أداة لدخول الجنة:

يعدُّ الحجُّ شعيرة عظيمة، فهي ركن من الأركان الخمسة التي أُمر بها المسلمون، فلا يقبل الدين إلا بها. ومن أقدم الشعائر التي مارستها الأمم القديمة، ومن بينها العرب. والمتصفح لمعجم مفردات ألفاظ القرآن يجد في مادة (حجج) أن الحج لغة: هو القصد، وشرعا: هو قصد بيت الله الحرام بالأعمال المشروعة فرضا وسنة[١]. ويوضح الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى مفهوم الحج اصطلاحا بقوله: "غلب في الاستعمال الشرعي والعرفي على حج بيت الله-سبحانه وتعالى-وإتيانه (...) ثم حجُّ البيت له صفة معلومة في الشرع من الوقوف بعرفة، والطواف بالبيت، وما يتبع ذلك، فإن ذلك كله من تمام قصد البيت، فإذا أطلق الاسم في الشرع انصرف إلى الأفعال المشروعة"[٢]. وتعريف الإمام ابن تيمية يخرج محترزات الأفعال غير المشروعة التي كان يمارسها العرب ما قبل الإسلام، والتي توضحها الآية القرآنية التي جاء فيها: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (الأنفال/٣٥).

يُستشف من هذا التحديد أن الحج يعني قصد بيت الله الحرام، والقيام فيه بشعائر معينة منصوص عليها في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية. ويُلاحظ أن هذا التعريف اللغوي والاصطلاحي تعريف علمي مجرد، فليس هناك تحبيب للقيام بهذه الشعيرة. فما الذي سيدفع عربيا إلى القدوم من أماكن بعيدة وتحمل وعثاء السفر وأخطاره للقدوم إلى البيت الحرام في وقت مخصوص؟ إن هذا السؤال ستجيب عنه استعارة الحج أداة

(١) الراغب (٢٠٠٩): ٣١٤.

(٢) تقي الدين ابن تيمية، شرح العمدة في تبيان مناسك الحج والعمرة (١٤٠٩هـ): ١/٧٥، تحقيق: صالح الحسن، مكتبة الحرمين، الرياض، ط: ١.

لدخول الجنة وغيرها من استعارات الحجِّ. نظرًا لما تخلقه في نفس المسلمين من إحساس بالاطمئنان والحماية من النار وعذابها. كما جاء الحديث النبوي الشريف ليوضح هذه الاستعارة في قوله ﷺ: "العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما. والحج المبرور، ليس جزاء إلا الجنة"(١). ومعنى الحج المبرور عند الإمام أبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد القرطبي "الحجُّ الذي وُفِّيَتْ أحكامه ووقع موقعا لما طلب من المكلف على الوجه الأكمل"(٢). وهذا الحديث يبرز مكانة الحج في الدين الإسلامي. ويتشابه التحليل في الاستعارة المبلورة في هذا الحديث مع الاستعارة السابقة بما أن المجال المصدر هو نفسه أي 'أداة لدخول الجنة'، غير أنني سأوضح هذه الاستعارة انطلاقًا من نظرية المزج التصوري في الشكل أدناه:

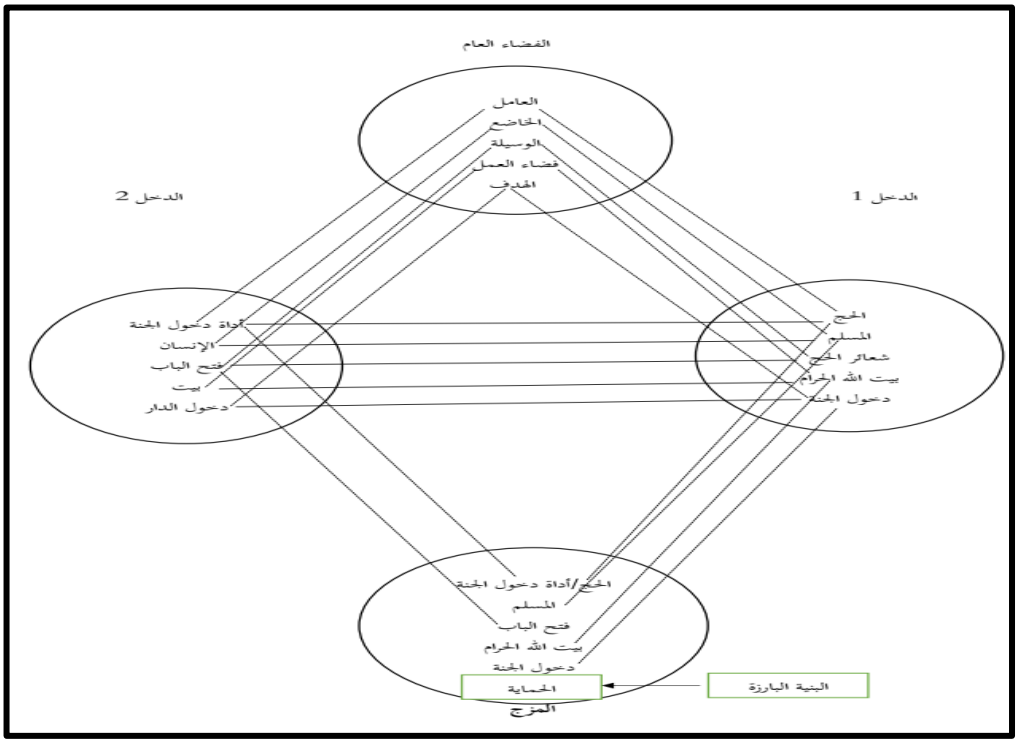

شكل (٨): شبكة مزج الحج أداة لدخول الجنة

(١) صحيح البخاري (١٤٢٢): ٣/ ١٧٧٣.

(٢) مُحَمَّد بن عبد الرحيم المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، (١٤٠٦): ٦٨٣، مراجع:عبد الوهاب عبد اللطيف، دارالفكر، بيروت – لبنان، ط: ٢.

يتضح من الشكل أعلاه أن هناك تأليفا حدثَ بين فضاءي الدخل من خلال التناسبات بين الأدوار الدلالية المتشابهة، وأسقطت عناصر في فضاء المزج، وبقيت عناصر أخرى. وهذا يشير إلى عملية بناء المعنى الذهنية التي يقوم بها الإنسان. وتأتي عملية الإكمال عبر استحضار المعرفة الخلفية، لا سيما عند استحضار إطاري الحج والأدوات. فالأول شعيرة دينية لها طقوس وزمن محدد وفاعلون وإلهٌ معبود، والثاني وسيلة أداتية تؤدي غاية معينة هي فتح شيء مغلق للدخول إليه. وتأتي عملية البلورة التي تشَغِّلُ المزج، فتنتج عنه بنية بارزة مفادها الحماية. والحماية نتاج تجربة بشرية مع الاحتواء ولا سيما البنايات. وهكذا يعدُّ دخول الدار دخولا إلى الجنة. ولا شك أن الدار حماية من الأخطار الخارجية، كما أن الجنة حماية من النار وأهوالها. كما يتضح ذلك من التضمين الأول لخطاطة صورة الحاوية؛ أي أن تجربة الاحتواء تتضمن بشكل نمطي الحمايةَ من قِوَى خارجية أو مقاومة تلك القوى. إذ يغدو الحج هنا وسيلة لدخول الجنة، ومن ثم تحقيق الحماية من المخاطر الخارجية. ويبقى لنا أن نجيب عن سؤال آخر ومفاده: إذا كان الحج ممارسة دينية قبل الإسلام، فما الجديد الذي أتى به الإسلام بخصوص الحج، حتى أقنع الناس بضرورة تلبية نداء الحج؟

لا غرو أن الحج بمفهومه العام، أي قصد الأماكن المقدسة، معروف في كل التجمعات البشرية، فقد "عرف البشر الحج بمفهومه العام منذ القدم، إذ لم توجد أمة من الأمم أو ديانة من الديانات عند الناس إلا وعندها أماكن مقدسة تشدُّ إليها الرحال، ويسعى الجميع إليها تبعًا لطرق وتقاليد وآداب كل سفر ديني، والإنسان غالبا ما يوجه أشواقه إلى ما يعتقد فيه القدسية، ووجوب الاحترام، ليشبع به رغبته في التعظيم لتلك الأماكن، مُنَمِّيًا حسه الديني، متغلبا على تأنيب الضمير"[(١)]. وهو ما يؤكده العلامة الشيخ ابن باز –رحمه الله–

(١) الموحى، عبد الرزاق رحيم صلال، العبادات في الأديان السماوية: اليهودية–المسيحية–الإسلام (٢٠٠١): ١١٦، الأوائل للنشر والتوزيع، ط:١.

في قوله: "الحج له أهداف عظيمة ومقاصد متنوعة... من صلاح القلوب واستقامة الأحوال والرزق الطيب، وراحة الضمير، إلى غير ذلك، والفوز الكبير بدار النعيم، مع النظر إلى وجه جل وعلا والفوز برضاه"(١). ويؤكد الله عز وجل ذلك في محكم كتابه بقوله: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ ۚ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الحج/٦٧). وهكذا "فرضت التوراة في سفر الخروج على كل يهودي أن يحج إلى المعبد المقدس ثلاث مرات في السنة"(٢). كما شَدَّ النصارى الرحالَ إلى "قبور أوليائهم فعمروها وجملوها. وأصبح مفهوم الحج لديهم يأخذ طابع الزيارة إلى مكان تقدس بظهور رباني حسب مصطلحاتهم، أو إلى مرقد قديس لأجل الحصول على الغفران وتقوية الروح المعنوية وشدها أكثر نحو ذلك المكان (...) وفي نهاية المطاف أوجدت كل فرقة مسيحية مزارات تَؤُمُّهَا خاصة بقدسيتها"(٣).

وينتقد صلال الموحى أنماط الحج في اليهودية والمسيحية، خالصا إلى أن "روح الحج في الإسلام تختلف كثيرا في شعائره عن بقية الأديان التي أولت اهتمامها في هذه الفريضة بقبور أنبيائهم ومشاهدهم الأخرى من كنائس وأديرة، وتعمدوا عدم الزيارة أو الحج إلى الكعبة المشرفة التي بناها إبراهيم الخليل عليه السلام"(٤)، لكن السؤال الذي لم يهتم به الباحثُ المقارنُ للعبادات في الأديان السماوية هو كيف أصبح الحجُّ من أكبر الشعائر الدينية لدى العربي وما يزال في هذا العصر الذي يشهد إقبالا منقطع النظير إليه. وتبدو استعارة الحج أداة لدخول الجنة، حاسمة جدا في الإجابة عن هذا السؤال، فلم لا يريد أن يدخل المسلمون إلى الجنة بعد زيارة

(١) **ينظر**: الإمام عبد العزيز ابن باز، أهداف الحج ومقاصده. انظر الرابط التالي: https://binbaz.org.sa/old/38753 تاريخ الدخول: ٢٠١٨/١٢/١٦، مع الساعة ٠٧,١٧ صباحا.

(٢) عبد الرزاق رحيم صلال الموحى، العبادات في الأديان السماوية (٢٠٠١): ١١٧.

(٣) **المصدر السابق**: ٢٠٠.

(٤) **المصدر السابق**: ٣٤٦.

ميمونة إلى بيت الله الحرام؟ فالحج وفق هذا التصور الإسلامي يقدم هذه الإمكانية التي حفزت ولا تزال تحفز المسلمين إلى قصد بيت الله الحرام.

٤-٣-٢- استعارة الصلاة نور:

تعد الصلاة ثاني أركان الإسلام وعموده. كما جاء في الحديث النبوي: "رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة"(١)، ثم إنها صلة بين المسلم وربه، ففي الحديث النبوي: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد"(٢)، والصلاة هي أول ما يحاسب عليه العبد المسلم يوم القيامة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله، كما جاء في الحديث النبوي(٣).

ويبرزُ هذان الحديثان أهمية الصلاة في الدين الإسلامي، ولكن مع ذلك يظلُّ سؤالٌ سأحاول الإجابة عنه هو: كيف استطاع الدين الإسلامي إقناع الإنسان العربي ما قبل الإسلام بتأدية الصلاة في أوقات معلومة وبحركات معلومة؟ ألم تكن هناك صلاة يهودية ومسيحية؟ ما الجديد الذي أتى به الإسلام بخصوص الصلاة؟ أجيب عن هذه الأسئلة من خلال تحليل استعارة الصلاة نور. وأشير بدءًا إلى أن معجم مفردات ألفاظ القرآن قد ورد فيه تعريف للفظ الصلاة وجاء فيه: "صلا: أصلُ الصِّلَى الإيقاد بالنار. ويقال صلي بالنار، أي بلي بها. (...) وصليَ الكافر النار: قاسى حرها (...) والصلاة: قال كثير من أهل اللغة: هي الدعاء، والتبريك، والتمجيد؛ يقال: صليت عليه، أي: دعوت له وزكيتُ"(٤).

(١) سنن الترمذي (١٩٧٥): ١٢/٥.
(٢) صحيح مسلم (١٩٩١): ٣٥٠/١.
(٣) **ينظر**: سنن الترمذي (١٩٧٥): ٢٦٩/٢.
(٤) الراغب (٢٠٠٩): ٤٩٠-٤٩١.

ويقول الراغب إن الصلاة سميت بذلك تسمية الشيء باسم بعض ما تَضَمَّنَهُ، ويقصد هنا الدعاء. ويربط الراغب أيضًا المعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي، في قوله: "وقال بعضهم: أصل الصلاة من الصَّلى. قال: ومعنى صلى الرجل، أي أنه ذاذ وأزال عن نفسه بهذه العبادة الصلى الذي هو نار الله الموقدة"[١].

ويشير الراغب إلى مسألتين متعلقتين بالصلاة؛ وهما: أن الصلاة تطلق أيضًا على موضع الصلاة، لذلك سميت الكنائس صلوات ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ﴾ (الحج/٤٠). ثانيًا أن الصلاة ربطت بلفظ الإقامة، والمقصود به توفية حقوقها وشرائطها لا التاليان بهيئتها فقط[٢].

وما يُستنتجُ من كلام الراغب أن الصلاة تعني الدعاءَ الذي يحول بين العبد ودخوله النار وهي من ثمَّ حماية؛ فالصلاة حصن من النار، ويتضح من كلام الراغب أنه يشير إشارة ذكية ومتميزة لعلاقة الصلاة بالدعاء، حينما اعتبر تلك العلاقة مجازية قوامها علاقة الجزئية، بإطلاق الجزء على الكل. وكلا الأمر يوحي بتبصر بالأبعاد العرفانية للدلالة المعجمية لمفردات القرآن؛ عبر استحضار البعد الموسوعي في تفسيرها. أما البعد الاصطلاحي للصلاة، فأسوق على سبيل المثال تعريف شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب للصلاة بقوله هي: "أقوال وأفعال مخصوصة مفتتحة بالتكبير، ومختتمة بالتسليم"[٣]. وفي هذا التعريف شمولية إذ ترتبط الصلاة بالكلام والأفعال كالسجود والركوع، وبالبدء (تكبيرة الإحرام)، والانتهاء (تحية السلام).

وسأنظر إلى هذا البعد اللغوي والمعرفي للصلاة وعلاقته بعنصر النور. وأشير بدءا إلى أن الحديث النبوي الذي يعكس استعارة الصلاة نور هو قوله ﷺ: "الطهور شطر الإيمان. والحمد لله تملأ الميزان. وسبحان الله والحمد لله تملآن (أو تملأ) ما بين السماوات والأرض. والصلاة نور. والصدقة برهان. والصبر ضياء. والقرآن

(١) المصدر السابق: ٤٩١.

(٢) **ينظر**: المصدر السابق: ٤٩١-٤٩٢.

(٣) مُحَمَّد بن عبد الوهاب، شرح شروط الصلاة وأركانها وواجباتها (١٤٢٥هـ): ٤٣/١، تحقيق: عبدالمحسن العباد، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط:١.

حجة لك أو عليك"[١]. ويشرح الشيخ خالد بن سعود البليهد هذا الحديث، وبالضبط عبارة 'الصلاة نور' بقوله إنها تدل "على أن صلاة المؤمن الفريضةَ والنافلةَ نورٌ لما فيها من إضاءة قلب المؤمن وانشراح صدره وكفه ومنعه عن المعاصي وحمايته من المنكرات والفواحش وهدايته في الدنيا لأطيب الأقوال وأزكى الأفعال (...) وفي مسند أحمد: من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة. وصلاة الليل نور للمؤمنين في قبورهم كما قال أبو الدرداء: صلوا ركعتين في ظلم الليل لظلمة القبر"[٢]. وأستشف من هذا الشرح أيضًا دلالة الحماية التي توفرها الصلاة. فأين تتجلى هذه الحماية من خلال النور؟

يشير الراغب في مفرداته[٣] إلى أن "النور: الضوءُ المنتشر الذي يعينُ على الإبصار، وذلك ضربان دنيوي وأخروي، فالدنيوي ضربان: ضرب معقول بعين البصيرة وهو ما انتشر من الأمور الإلهية كنور العقل ونور القرآن. ومحسوس بعين البصر، وهو ما انتشر من الأجسام النَّيِّرة كالقمرين والنجوم النيرات. (...)، ومن النور الأُخْرَوِيِّ قوله: ﴿وَيَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾ (الحديد/١٢). وبهذا يتَّضحُ أنَّ النور المقصود نور أخروي يرتبط بتصور الدين ليوم القيامة، فقد سبق أن أوردتُ أن أول ما يحاسب عليه المسلم يوم القيامة هو الصلاة. وهناك آية قرآنية أخرى تصوِّرُ مشاهد الذاهبين إلى الجنة بالنور، فقد جاء في القرآن الكريم قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التحريم/٨). إن النور المقصود هنا هو العمل الصالح الذي

(١) أحمد بن حسين البيهقي، شعب الإيمان (١٤٢٣هـ): ٢٣٦/٤، تحقيق: مختار الندوي، مكتبة الرشد، الرياض، الدار السلفية، الهند، ط:١.

(٢) خالد بن سعود البليهد، شرح حديث الطهور شطر الإيمان. انظر شرحه في الرابط التالي: https://bit.ly/2RJwUnO تاريخ الدخول: ٢٠١٨/١١/٠٩، بتوقيت: ٢٣,١٦ مساء.

(٣) الراغب (٢٠٠٩): ٨٢٧.

قام به المؤمنون في الحياة الدنيا، فتحول هذا العمل إلى نور يستنيرون به، وبما أن أول ما يحاسب عليه المرء هو الصلاة، فقد وصفها النبي ﷺ بالنُّورِ، تأكيدا لمكانتها الجوهرية في الإسلام.

وأرى أن استعارة الصلاة نور، امتداد لخطاطة الحاوية، حيث يوجد المرء في مكان مغلق مظلم يحتاج فيه إلى النور ليستضيء به وليرى ما حوله، ومن ثم يمكنه أن يتجنب المخاطر التي يمكن أن تحدق به. ويمكن أن أمثل لهذه الاستعارة **في الجدول التالي:**

المصدر: نور	الإسقاطات	الهدف: الصلاة
الفاعل: الإنسان	←	الفاعل: المسلم
الهدف: الرؤية	←	الهدف: طاعة الله
الوسيلة: أداة إضاءة	←	الوسيلة: أقوال وأفعال مخصوصة
المكان: مكان مظلم	←	المكان: المسجد، إلخ
المستفيد: الإنسان	←	المستفيد: المسلم

جدول (٤): إسقاطات استعارة الصلاة نور

لا يمكن أن نفهم دلالة هذه الاستعارة دون استحضار للمعرفة الخلفية الدينية، التي تضيء هذه الاستعارة، وهو ما لم تقدمه نظرية الاستعارة التصورية، وتتيح نظرية المزج ذلك في عملية الإتمام، حيث يتضح لنا المقصود من خلال أحاديث نبوية وآيات قرآنية تضيء هذا التصور. نحو قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ (الحديد/١٣). وقد ورد في تفسير الطبري أن عبد الله بن عباس ﷺ قال في تفسير هذه الآية: "بينما الناس في ظلمة، إذ بعث الله نورا، فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه، وكان النور دليلا من الله إلى الجنة، فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا، تبعوهم، فأظلم الله

على المنافقين، فقالوا حينئذ: انظرونا نقتبس من نوركم"[١]. ويوضح هذا التفسير أن النور هادٍ إلى الجنة يوم القيامة، وتتخذ الصلاة هذه الوظيفة، فهي التي تجعل المؤمنين يمتلكون الأهلية لاستحقاق اتباع النور. وهكذا يصوَّرُ يوم الحساب على أنه نفق مظلم، والصلاة نورٌ يدلُّ المؤمنين إلى الجنة. ومن ثمَّ فهي وسيلة دخول الجنَّة. وتشير استعارة النور في الثقافات الإنسانية في الغالب إلى السعادة، كما يشير كوفيتش إلى أن النور والظلام تجربتان بشريتان مهمتان في بناء التصورات الاستعارية، وأن النور يتجلى كظروف مناخية، نحو قولنا: يشع ذكاء؛ إذ تصورنا الذكاء نورا يشع كشعاع الشمس. وهناك استعارة بشرية هي السعادة نور، وتتجلى في تعبير من قبيل: خرج إلينا عبد الله متهللا وجهه، فالسعادة هنا عبر عنها بإشراق الوجه [٢]وهذا ما يتضح في مكانة الصلاة في الدين الإسلامي، فهي تجلب السعادة في الدارين الدنيا والآخرة؛ إذ تنير قلب المسلم، وتنفعه يوم الحشر في تلمُّسِ طريقه نحو الجنة. واستعارة الصلاة نور تؤدي هنا صورة تحبيبية للصلاة، منجزة فعل الوعد للمسلمين. يؤكد هذه الدلالة قوله عليه الصلاة والسلام: "يابلال أقم الصلاة أرحنا بها"[٣]، قاصدا الصلاة، فهي راحة للعبد المسلم، من خلال ما تجلبه له من سعادة. وكما أسلفتُ فإن استعارة النور تمثل الأمن وصحة المسار، ومن ثمَّ تصبح الصلاة دليلا أو بوصلة ترشد العبد في طريقه إلى الجنة.

وأشير أيضًا إلى أن دلالة الحماية واضحة في هذه الاستعارة فالدخول إلى الجنة يحمي من العذاب الذي ينتظر الكفار في جهنم. ويحمي قبل ذلك من ويلات الحساب عن طريق تلمس طريق الجنة من خلال النور.

---

(١) الطبري، ابن جرير، تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن (١٤٢٢هـ): ٤٠١/٢٢، تحقيق: عبدالله التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ط:١.

(٢) Kovecses, 2002:85، الأمثلة صياغة شخصية.

(٣) أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود (١٤٣٠): ٢٩٦/٤، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومُحَمَّد كامل، دار الرسالة العالمية في دمشق وبيروت، ط١.

٤-٣-٣- استعارة الزكاة نمو:

إذا كانت استعارة الزكاة أداة لدخول الجنة تستهدف البعد المقصدِيَّ للمسلمين بدخول الجنة وهو أمر يرتبط بالحياة الأخرى، فإن الدين الإسلامي أضاف بعدًا ماديًا يرتبط بالحياة الدنيا يتمثل في نمو الرزق الذي تُؤْتَى الزكاة منه، حيثُ يضاعف الرزق في الدنيا وتضاعف الحسنات في الآخرة. والحديث النبوي الشريف الذي يبني هذه الاستعارة قوله ﷺ: "ما تصدق أحد بصدقة من طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة، فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل، كما يربي أحدكم فَلُوَّهُ أو فَصِيلَهُ"(١). ويشرح الشيخ خالد بن عثمان السبت هذا الحديث قائلا: "الفلو هو الفطيم من الدابة، وجاء في رواية: مهره، وهو ولد الفرس، فإن العرب يعتنون به غاية الاعتناء بل ربما أولوه من الرعاية أعظم مما يولون أولادَهم، ومن المعلوم أنهم ما كانوا يكِلون ذلك لمماليكهم وخدمهم بل يقومون على تربية هذا الفرس الصغير بأنفسهم فيعتنون به، فهنا ذَكَرَ لهم أمرًا يعرفونه يقرِّبُ لهم هذا المعنى من اعتناء الله-عز وجل-بهذه الصدقة ولو كانت قليلة"(٢). وفي هذا النص إشارة لطيفة إلى التجربة الجسدية للبشر ودورها في بناء المعنى، فقد استثمر الحديثُ الشريفُ هذه التجربة الحية وما تدل عليه لإيضاح جزاء الزكاة عند الله عز وجل.

إن هذا الحديث يصور الزكاة على أنها نمو؛ حيث تغذِّي الزكاةُ الرزقَ وتجعله يكبر وينمو. وتُوَضَّحُ الفكرةُ عن طريق إقامة تشابه بين نمو مال الزكاة، ونمو المهر وفصيل الناقة، وهما حيوانان مشهوران عند العرب،

(١) صحيح مسلم (١٩٩١): ٢/٧٠٢.

(٢) **ينظر**: خالد بن عثمان السبت، شرح حديث أبي هريرة: "من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب'، من سلسلة شرح كتاب رياض الصالحين، باب الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير ثقة بالله تعالى. ينظر الرابط التالي لمزيد من التفصيل: https://bit.ly/2zIyfE8 تاريخ الدخول: ٢٠١٨/١١/١٠، بتوقيت: ١٤،٠٩ زوالا.

ويكبران بسرعةٍ إلى حجم يتجاوز مربّيهما. ويمكن توضيح هذه الاستعارة الفرعية للزكاة نمو، أي الزكاة نمو فلو/فصيل في الجدول التالي:

المصدر: النمو	الإسقاطات	الهدف: الزكاة
العامل: صاحب الأنعام	←	العامل: المسلم
الخاضع: الفلو / الفصيل	←	الخاضع: المال والأنعام والحلي، إلخ
الوسيلة: الأكل	←	الوسيلة: الزكاة
الهدف: كبر حجم الفصيل	←	الهدف: كثرة المال والأنعام والحلي، إلخ

جدول (٥): إسقاطات استعارة الزكاة نمو فلو / فصيل

تحاول هذه الاستعارة أن تؤسس لمقارنة إقناعية من خلال حجة المشابهة بين تربية فصيل أو فِلْوٍ وبين تنمية المال، وهي تؤسس لذلك من خلال تربية المواشي التقليدية السائدة في المجتمع العربي ما قبل الإسلامي، وخصوصا الناقة والفرس اللذين كان مهمين عند الإنسان العربي، وتتحقق الحجة الإقناعية في معايشة نمو المهر أو فصيل الناقة ليصبحا فرسا أو جملا. ويسند هذا الأمر تأكيد من الرسول بكون المال لا ينقص من الصدقة؛ أي الزكاة، بل ينمو ويكبر ويصبح أكثر مما كان. وفي هذا حماية للمال من النقص، بل استثمار وإنماء له. وهكذا تصبح الزكاة حمايةً للمال عن طريق إنمائِهِ.

٤-٣-٤- استعارة الصوم جُنَّةٌ:

يعدُّ الصومُ الركنَ الرابعَ من أركان الإسلام، وجاء الامر به في القرآن الكريم في قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة/١٨٣)، أما في

الحديث النبوي فنقرأ قوله ﷺ: "إذا رأيتموه فصوموا"[١]. والمقصود هنا رؤية هلال رمضان الذي فرض فيه الصيام. ويحدد أبو الليث السمرقندي في كتابه تنبيه الغافلين الأهداف التالية من تشريع الصيام:

- شرع الخالق تعالى الصوم تهذيبا للنفوس وصفاء لها.
- التذكر والعطف والرحمة والشفقة بالفقراء.
- التقوى والوقاية.
- زكاة النفس.
- الجزاء غير المحدود[٢].

وسأحاول أن أحلِّلَ بمنهج عرفاني كيفية تعبير الدين الإسلاميّ عن هذه الفضائل من خلال استعارة الصوم جُنَّةٌ، لكن قبل ذلك سأنظُرُ في تأصيل الصوم قرآنيا في معجم مفردات ألفاظ القرآن.

ورد في معجم الراغب أن "الصوم: الإمساك عن الفعل. ومَصَامُ الفرس موقفه"، ومن هذا المعنى اللغوي، سيشتق المعنى الاصطلاحي الذي يعني: "إمساك المكلف بالنية من الخيط الأبيض إلى الخيط الأسود عن تناول الأطيبين، والاستمناء والاسْتِقَاءِ"[٣]. أستنتجُ أن الدلالة اللغوية للصوم هي الكف عن الفعل، وتوضِّحُ الدلالة الاصطلاحية الأمور التي يجب الإمساك عنها لمدة زمنية محدودة، أي الأكل والشرب والجماع. وهنا دلالة تخصيص أو مجاز علاقته الكلية عبر إطلاق الكل وإرادة الجزء. وترتبط استعارة الصوم جُنَّةٌ بحديث نبوي شريف، قال فيه الرسول ﷺ: "الصِّيَامُ جُنَّةٌ"[٤]. ويشرح العلامة الشيخ صالح الفوزان هذا الحديث مظهرا بعد

(١) صحيح البخاري (١٤٢٢): ٢٥/٣.

(٢) **تنبيه الغافلين**: ١١٩، نقلا عن عبد الرزاق رحيم صلال الموحى، العبادات في الأديان السماوية (٢٠٠١): ٣٠٥.

(٣) الراغب (٢٠٠٩): ٥٠٠.

(٤) صحيح مسلم (١٩٩١): ٨٠٦/٢.

الحماية فيه قائلا: "الجُنَّةُ ما يتَّخِذُهُ الإنسان وقايةً دونَهُ ودون السِّلاح، ودون الإصابات؛ مثل التُّرْس الذي يَتَتَرَّسُ بِهِ دون القذائِفِ. فالصوم جُنَّة بمعنى أنه يَقِيكَ من المعاصي، التي هي أشد من وقائع السلاح ووقائع القذائف"(١). وورد في مفردات الراغب: "والمِجَنُّ والمِجَنَّةُ: الترسُ الذي يَجُنُّ صاحبهُ"(٢). ويمكن تمثيل استعارة الصوم جُنَّة في الشكل التالي:

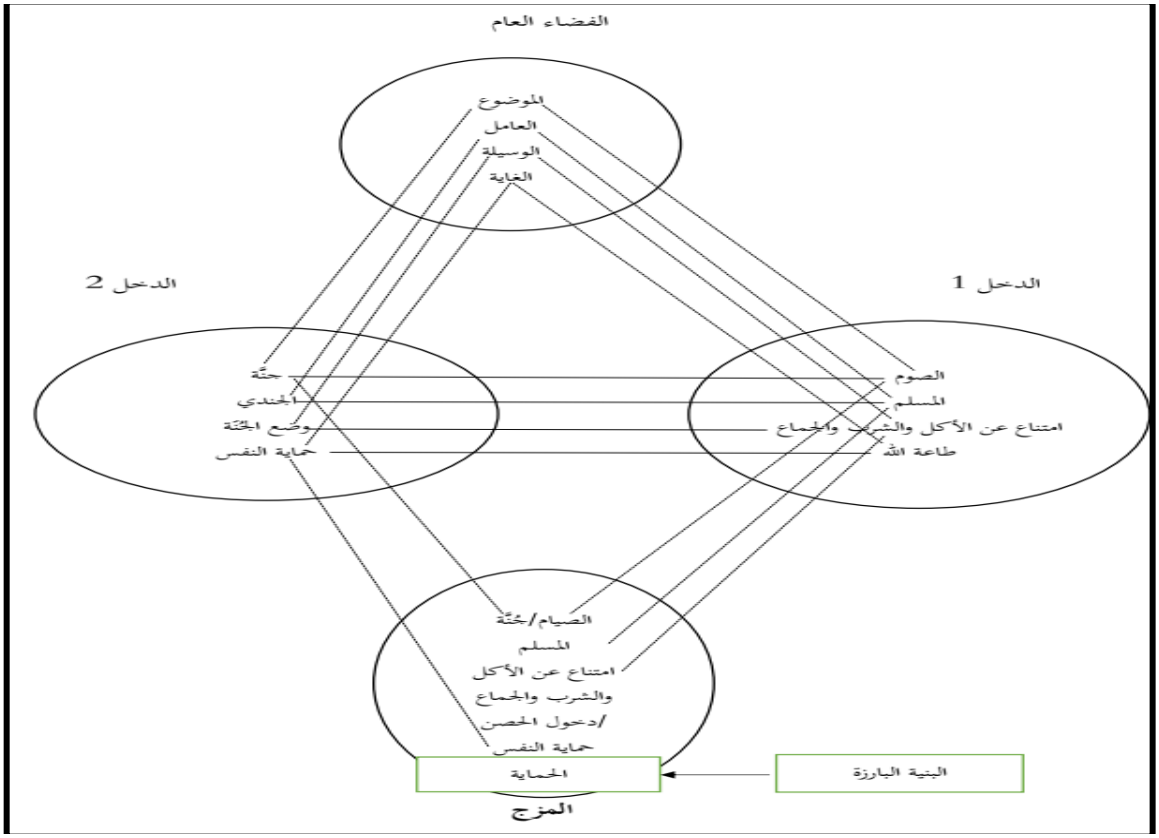

شكل (٩): شبكة مزج الصوم جُنَّة

يوضِّحُ الشكل أعلاه بناء فضاءَيْ دخلٍ واحد مرتبط بالصيام، والآخر مرتبط بالحصن، وكلا هذين الفضاءين يتضمَّنُ عناصر تضم معلومات تتعلق بالصيام والحصن. وتُسْقَطُ هذه المعلومات في فضاء مزج ثالث

(١) الشيخ صالح الفوزان، معنى قول "الصوم جُنَّة"، ينظر الرابط التالي للاستماع إلى شرح الشيخ للحديث: https://bit.ly/2qFj7U0 تاريخ الدخول: ٢٠١٨/١١/١٠، بتوقيت: ١٦,٥٦ مساء.

(٢) الراغب، ٢٠٠٩: ٢٠٣.

عن طريق عملية التأليف؛ حيث تتضمن المعلومات المسقطة عناصر متناظرة من كلا فضاءي الدخل، مؤدية إلى خلق بنية بارزة جديدة، حيثُ يصبح الصيام جُنَّة للنفس، وحيث يغدو الجنديُّ المتحصن بجُنَّة مسلما متحصنا بالصيام، ويناظر الاحتماء بالجُنَة، الامتناع عن الأكل والشرب والجماع، وحيث الغاية هي حفظ النفس باتخاذ الجُنَّة، وطاعة الله بالصيام. وتأتي عملية البلورة، التي تعد عملية هامة في المزج، لتؤدي إلى استدلالات معيَّنةٍ وتخلق تأثيرات في الإنسان العربي، من خلال عقد مقارنة سببية بين الصيام وحفظ النفس من المعاصي، لا سيما في سياق الحديث النبوي وسياق حديث آخر يوضحه، وهو قوله ﷺ: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وِجَاءٌ"(١). ويشرح العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز هذا الحديث مظهرا بعد الحماية فيه قائلا: "الصوم من أسباب العفة، لأنه يضعف قوة النكاح والشهوة ويسبِّبُ غضَّ البصر، فهو من أسباب السلامة"(٢). وَبَعْدَ إدارة المزج تنتُجُ بنية بارزة مفادها دلالة الحماية؛ وهي حمايةٌ من المعاصي التي يمكن أن تؤدي بالمسلم إلى التهلكة. وهي تهلكة وضَّحَهَا الرسول الكريم صلوات الله عليه وسلامه في قوله: "إذا خطب إليكم من ترضون دينَهُ وخُلُقَهُ، فزوِّجُوهُ. إلا تفعلوا تكن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ عريض"(٣).

وبعد هذا التحليل لاستعارات الحماية المرتبطة بأركان الإسلام، أسوق شكلا بيانيا يلخص هذه الاستعارات في شكلها الأساسي أي في شكل خطاطة صورة الحاوية التي يستعملها الإنسان في إنتاج المعنى وفهمه.

(١) صحيح البخاري (١٤٢٢): ٣/٧.

(٢) عبد العزيز بن باز، شرح كتاب بلوغ المرام، كتاب النكاح، حديث: 'يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج'، انظر الرابط التالي: https://bit.ly/2qFj7U0 تاريخ الدخول: ٢٠١٨/١١/١٠، بتوقيت: ١٦,٥٦ مساء.

(٣) سنن الترمذي (١٩٧٥): ٣٨٦/٣.

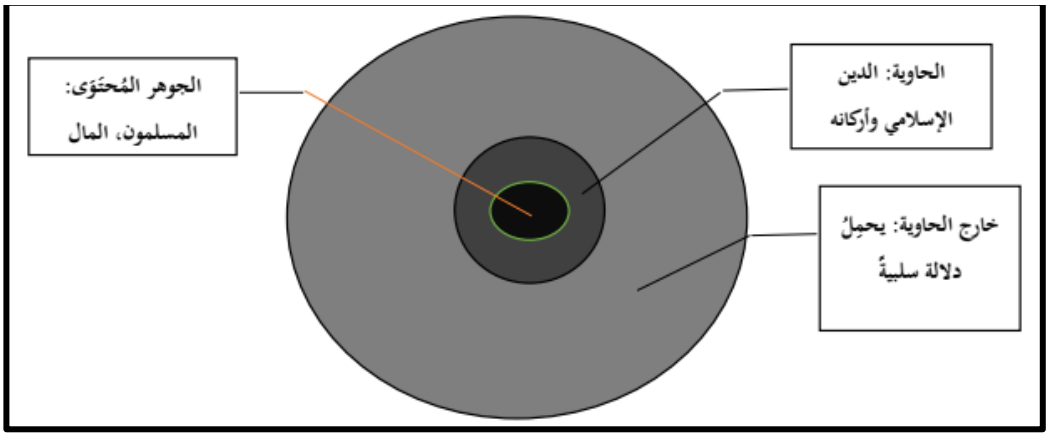

شكل (١٠): خطاطة استعارة الحاوية المطبقة على الإسلام وأركانه

٤-٤- استعارات المغفرة:

أقصد باستعارات المغفرة الاستعارات التصورية التي تصوِّرُ أركان الإسلام تصويرا يعكس مفهوم محو الذنوب التي ارتكبها المسلمون في الحياة الدنيا. وأحدد هذه الاستعارات في الجدول أدناه:

أركان الإسلام	الاستعارات المرتبطة بها
الصلاة	- الصلاة محو للذنوب - الصلاة نهر
الزكاة	- الزكاة محو للذنوب
الصوم	- الصوم محو للذنوب
الحج	- الحج ولادة

قد يتساءل القارئ الكريمُ ما علاقة هذه الاستعارات التصورية بخطاطة صورة الحاوية؟ لكن الالتباس يزول عندما أُذَكِّرُهُ بأن الحاوية ليست الدين أو البناية في هذه الحالة، بل هي الجسد الإنساني نفسه. وقد سبق أن قلتُ في معرض حديثي عن خطاطة صورة الحاوية 'إن أجسادنا تمثِّلُ حاويات ثلاثية الأبعاد. إذ نضع فيها الأكل والشرب والهواء، وفي الآن نفسه نخرج منها الفضلات والماء والدم وغير ذلك'. وهنا يحوي الجسدُ المعاصي فتأتي أركان الإسلام لتُخرِجها؛ أي تقوم بتطهير الجسد منها. ويتضمن التطهير تدفق مادةٍ (هي

المعاصي) من حاوية (هي الجسد البشري) إلى مكان خارجي. وتصوير المغفرة بهذه الطريقة فيه تيسير لفهم المسلمين لها. وسأحلل استعارات المغفرة في ضوء نظريتي الاستعارة التصورية والمزج التصوري دون تَكرارٍ للبعد اللغوي أو المعرفي المرتبط بها.

٤-٤-١- استعارة الصلاة / الزكاة / الصوم محو للذنوب:

أجمع في هذا العنوان ثلاثة استعارات تصورية تتصوَّرُ الصلاة والزكاة والصوم محو للذنوب، أي أنها تؤدي في نهاية المطاف وظيفة المغفرة. والأحاديث الدالة على هذه الاستعارات هي قول النبي ﷺ:

- "الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان كفارات لما بينهن مالم تغش الكبائر"(١).
- "لا يتوضأ رجل فيحسن وضوءه. ثم يصلي الصلاة. إلا غفر له ما بينه وبين الصلاة التي تليها"(٢).
- "فتنة الرجل في أهله وولده وجاره تكفِّرُها الصلاة والصدقةُ والمعروف"(٣).
- "من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه"(٤).
- "ثلاث من كل شهر. ورمضان إلى رمضان. فهذا صيام الدهر كله. صيام يوم عرفة، أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله. والسنة التي بعده. وصيام يوم عاشوراء، أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله"(٥).
- "أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحج يهدم ما كان قبله؟"(١).

(١) صحيح مسلم (١٩٩١): ٢٠٩/١.
(٢) صحيح البخاري (١٤٢٢): ٤٣/١.
(٣) **المرجع السابق**: ١١١/١.
(٤) **المرجع السابق**: ١٦/١.
(٥) صحيح مسلم (١٩٩١): ٨١٨/٢.

الملاحظُ في هذه الأحاديث النبوية الشريفة ارتباط أركان الإسلام بأفعال ثلاثة هي: كَفَّرَ، وغَفَرَ، وهَدَمَ. يعني الفعل الأول غطَّى الإثمَ، فقد ورد في معجم مفردات ألفاظ القرآن أن "الكفَّارة: ما يغطي الإثم، ومنه: كفارة اليمين نحو قوله ﴿ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ﴾ (المائدة/٨٩)، وكذلك كفارة غيره من الآثام ككفارة القتل والظِّهار. قال: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾ (المائدة/٨٩) والتكفير: سترُهُ وتغطيتُهُ حتى يصير بمنزلة ما لم يعمل"(٢).

أما فعل 'غفر'، فيعني صون النفس عما يدنِّسُها، يقول الراغب في مفرداته شارحا هذا الفعل: "الغَفْرُ: إلباس الشيء ما يصونه عن الدنس، ومنه قيل: اغفِرْ ثوبكَ في الوعاء، واصبُغْ ثوبكَ فإنه أغفر للوسَخِ، والغفران والمغفرة من الله هو أن يصونَ العبدَ من أن يمسَّهُ العذابُ. قال تعالى: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ (البقرة/٢٨٥) (...) وقيل: اغفروا هذا الأمر بغُفِرَتِهِ، أي: استروهُ بما يجبُ أن يستر به(٣).

أما فعل الهدم فيعني إسقاط الشيء، فقد جاء في المفردات للراغب: "الهَدْمُ: إسقاط البناءِ. يقال: هدمتُهُ هدما"(٤).

وتفيد هذه الأفعال حماية الإنسان لكن من خلال محو أثر المعاصي التي ارتكبها إما عن طريق تغطيتها أو هدمها أو صون النفس من تبعَاتها كما في المغفرة. ويمكن أن نوضح عمل هذه الاستعارة في الجدول التالي:

(١) **المرجع السابق**: ١/١١٣.
(٢) الراغب (٢٠٠٩): ٧١٧.
(٣) الراغب (٢٠٠٩): ٦٠٩.
(٤) **المصدر السابق**: ٨٣٥.

المصدر: أداة لمحو الذنوب	الإسقاطات	الهدف: الصلاة / الزكاة / الصوم
الفاعل: الله	←	الفاعل: المسلم
الهدف: محو الذنوب	←	الهدف: طاعة الله
الوسيلة: مشيئة الله	←	الوسيلة: الصلاة / الزكاة / الصوم
الفضاء: الدنيا / الآخرة	←	الفضاء: الدنيا
المستفيد: المسلم	←	المستفيد: المسلم

جدول (٦): إسقاطات استعارة الصلاة/الزكاة/الصوم محو للذنوب

يوضح هذا الجدول كيف تقوم أركان الإسلام بدور الماحي لذنوب العبد، فهي وسيلة لفعل ذلك. وإلا فالذي يمحي الذنوب هو الله عزَّ وجلَّ. وتؤطر هذه الاستعارة خطاطة الحاوية، حيث يتصوَّرُ جسدُ المسلم بأنَّهُ حاوية للمعاصي، يتم إخراجها عن طريق الصلاة والزكاة والصوم من داخل الجسد. وتبرز دلالة الحماية من الانصهار الذي يحدُثُ بين المجالين المصدر والهدف، فالإنسان العربي يفهمُ من هذه الجملة أن محو الذنوب يعني حمايته من العقاب يوم القيامة. فالحماية لا تكون عن طريق منع دخول الأشياء إلى الجسد، بل تكون أيضًا عن طريق إخراج الأشياء الضارة من الجسد. ويختبر الإنسان باستمرار هذا الأمر، لا سيما عند إصابته بالأمراض، التي تقتضي تناول الأدوية من أجل إخراج الأمراض أو قتلها كما هو رائج في الخطاب الطبي الحديث. وبعبارة أخرى، تتصور أركان الإسلام هنا كحماية بعد وقوع الأذى؛ أي بعد ارتكاب المعاصي، فهي تقوم مقام الدواء والمطهر للجسد.

٤-٤-٢- استعارة الصلاة نهر:

إذا كانت الاستعارة السابقة تبرزُ محو الذنوب عن طريق الصلاة والزكاة والصوم، فهي وسيلة تشفع للمسلمين يوم القيامة، فيغفر الله لهم ذنوبهم بفعل طاعتهم من تأديتهم للصلاة والزكاة وصومهم لرمضان، فإن استعارة الصلاة نهر تزيد من توضيح عملية محو الذنوب بطريقة ملموسة يختبرُها المسلمون والبشر بصفة عامة في حياتهم اليومية. ويتعلَّقُ الأمر ههنا بالماء ودوره في الطهارة، وفي هذه الاستعارة بالنَّهْرِ. والحديث النبوي الشريف الذي يمثِّلُ هذه الاستعارة هو قول الرسول ﷺ: "مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم، يغتسل منه كل يوم خمس مرات"[١]. ويمكن أن أوضح استعارة الصلاة نهر، مع الاستعارات الفرعية، في الشكل التالي:

(١) صحيح مسلم (١٩٩١): ٤٦٣/١.

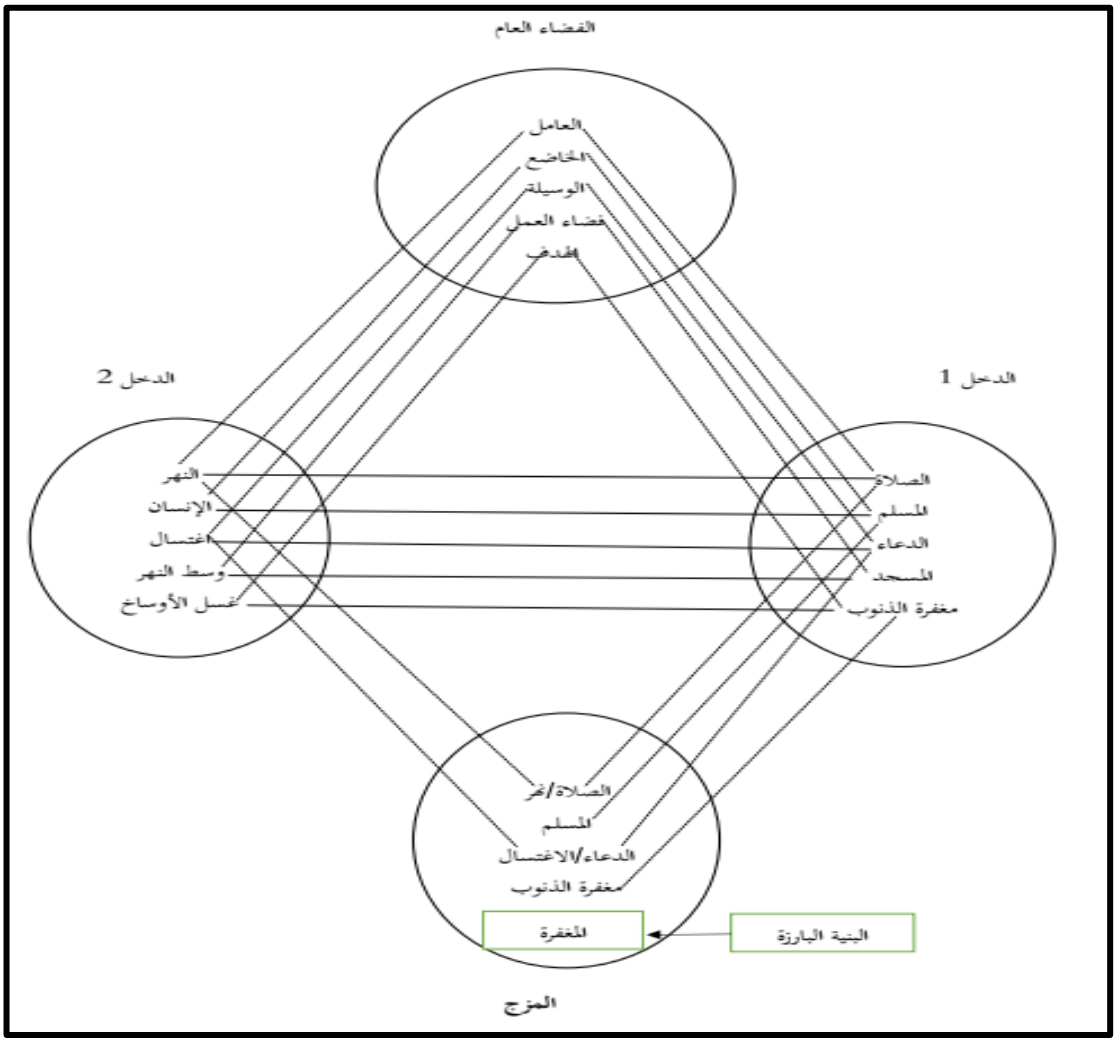

شكل (١١): شبكة مزج الصلاة نهر

تحفِّزُ كلمتا "صلاة" و"نهر"، بناءَ فضاءين ذهنيين يدخلان في شبكة مزج تصوري. وتظهرُ البنية البارزة في الفضاء الممزوج؛ حيث العناصر الخمسة المتناظرة في كل فضاء دَخْلٍ تنصهر عبر التأليف، منتجة عملية المزج، فالبنية البارزة تَتَصَوَّرُ الصلاة على أنها نهر، والمسلم على أنه إنسان، والدعاء اغتسالا، والمسجد وسط النهر، ومغفرة الذنوب على أنها غسل للأوساخ. وتأتي عملية الإكمال التي تنشط الأطر التصورية للنهر التي نجد فيها أهمية الماء في حياة الإنسان ودوره في نظافته وطهارته. وتسقطُ عناصر الصلاة والنهر والمسلم والمسجد والاغتسال ومغفرة الذنوب. وتنتج بنية بارزة دلالتها التطهُّرُ من المعاصي أو إخراجها من جسد الإنسان. وفي هذا حماية لجسد الإنسان، وللإنسان نفسه من عقاب الله عز وجلَّ.

٤-٤-٣- استعارة الحج ولادة:

تعدُّ استعارة الحج ولادة استعارة إبداعية، فهي تمزج فضاءين ذهنيين اثنين هما شعيرة لها طقوس معينة وحدثا مَعِيشًا تستمر من خلاله الحياة. فتغدو ممارسة هذه الشعيرة موازية لولادة جديدة أي بداية جديدة. ويعبر عن هذه الاستعارة قوله عليه الصلاة والسلام: "من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه"[(١)]. ويعلق الشيخ ابن عثيمين في فتاويه على هذا الحديث بالقول إن "الإنسان إذا خرج من بطن أمه فإنه لا ذنب عليه، فكذلك هذا الرجل إذا حج بهذا الشرط فإنه يكون نقيا من ذنوبه"[(٢)]. وعموما يمكن التعبير عن هذه الاستعارة انطلاقًا من الشكل التالي:

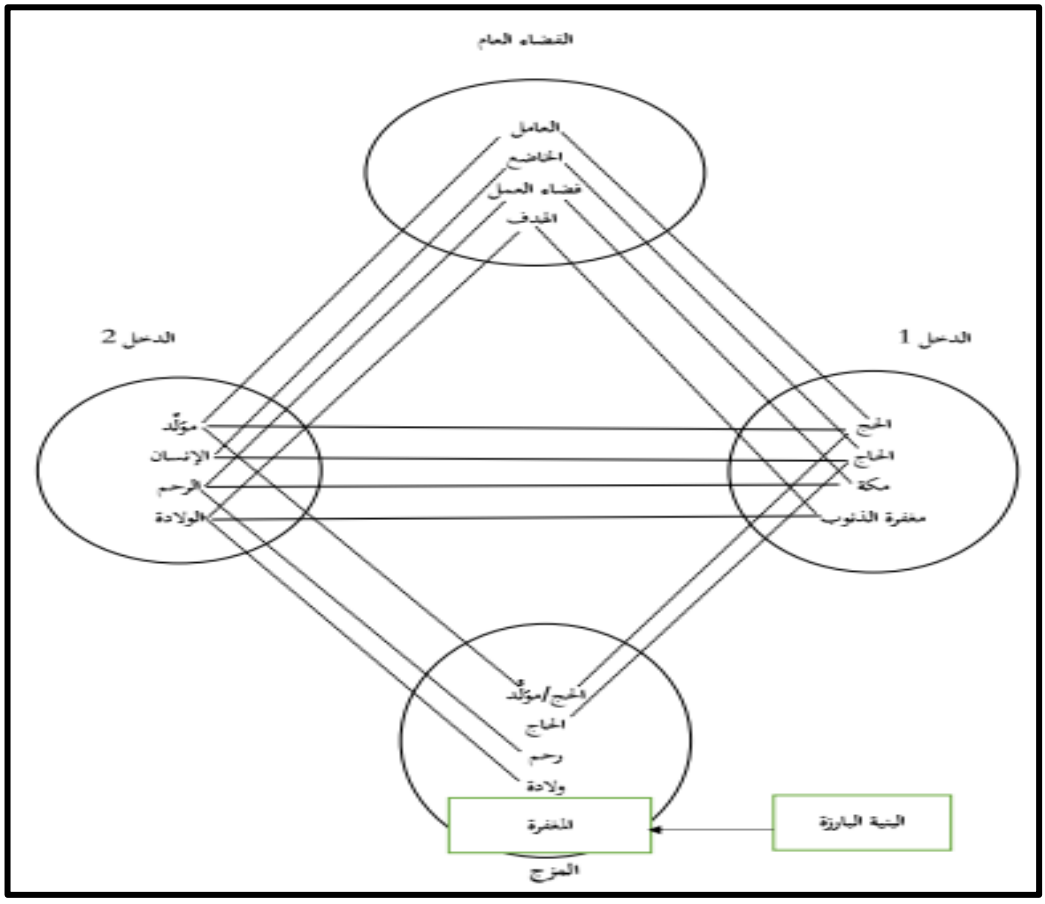

شكل (١٢): شبكة مزج الحج ولادة

(١) صحيح البخاري (١٤٢٢): ١١/٣.

(٢) مُحَمَّد بن صالح العثيمين، مجموع فتاوى ورسائل عثيمين (١٤١٣هـ): ٢٢/٢، جمع وترتيب: فهد السليمان، دار الوطن، ط: الأخيرة.

يحفز الشكل أعلاه بناء فضاءي دَخْلٍ أحدهما مرتبط بالحج، والآخر مرتبط بالولادة، وكلا هذين الفضاءين يتضمنُ عناصر تضم معلومات تتعلق بالحج والولادة. فتُسْقَطُ هذه المعلومات في فضاء مزج ثالث عن طريق عملية التأليف؛ حيث تتضمن المعلومات المسقطة عناصر متناظرة من كلا فضاءي الدخل، مؤدية إلى خلق بنية بارزة جديدة، حيث يصبح الحجُّ ولادَةً والمسلمُ إنسانا ومكة رحما ومغفرة الذنوب ولادة. وتأتي عملية البلورة، التي تعد عملية هامة في المزج، لتؤدي إلى استدلالات وتخلق تأثيرات في الإنسان العربي، من خلال عقد مقارنة سببية بين الحج والولادة. وهكذا يدفع المسلم إلى الرغبة العارمة في الحج علَّهُ يتطهَّرُ من الآثام التي ارتكبها طيلة حياته، ويرجع نظيفا ممحُوُّ الذنوب كما ولدته أمه.

وبعد هذا التحليل لاستعارات المغفرة المرتبطة بأركان الإسلام، نسوق شكلا بيانيا يلخص هذه الاستعارات في شكلها الأساسي أي في شكل خطاطة صورة الحاوية، التي يستعملها الإنسان في إنتاج المعنى وفهمه.

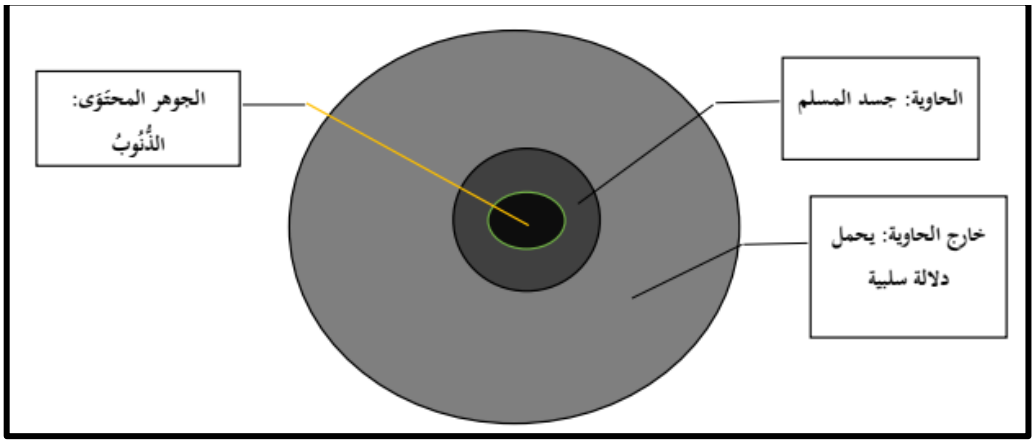

شكل (١٣): خطاطة استعارة الحاوية المطبقة على الجسد

خـاتـمـــة

خاتمة

إن الوصول إلى خاتمة البحث لا يعني بالضرورة أنني شعرت بالاكتفاء من دراسة قضايا البحث وما يثيره من إشكالات وأسئلة، بل على العكس من ذلك إنما أعمل على التخلي عنه قبل أن يتخلى عني. وبهذا فإنني أعترف أن البحث لا يزال مفتوحا، وما تزال فيه ثغرات وفراغات وبياضات لم تملأ بعد، وما يزال العمل فيه يتطلب الكثير والكثير. وغاية ما في الأمر أنني أغادر البحث وفي نفسي أشياء منه، فلا أملك إلا أن أقول مع الراغب الأصفهاني: "إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده، لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا كذلك لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من عظيم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر"(٢٣٣).

ومع ذلك، سأقدم مجموع الخلاصات والتوصيات التي توصلتُ إليها في رحلة هذا البحث، إن جاز لي استعمال استعارة الرحلة.

أولاً: الخلاصات:

١. أتاح لي البحث في اللسانيات العرفانية التعرف على نظريات عديدة في بناء المعنى، تجاوزت النظرة التقليدية فيه؛ أي نظرية السمات الدلالية أو الأولية التي تعتمد اعتمادا مباشرًا على الشروط الضرورية والكافية لتحديد مقولة تحديدا دلاليا. وقد توقفت عند عمل لايكوف وجونسون الذي طورا فيه مفهوم المجال التصوري وأسسا نظرية الاستعارة التصورية. وبما أن عملية بناء المعنى تتجاوز أحيانا تلك المجالات إلى مجموعة من التقييمات التي قد لا نجدها في المجالين التصوريين الهدف والمصدر، فقد اقترح

(٢٣٣) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الأدب والفنون (١٩٤١): ١٧/١، مكتبة المثنى، بغداد.

فوكونيي وتيرنر مفهوم المزج بين الفضاءات الذهنية الذي يمكِّنُ من تفسير تلك التقويمات، وكذلك إدخال الأبعاد التداولية والإيديولوجية في بناء المعنى.

٢. أثبت لي البحث في الاستعارة التصورية أن الاستعاراتِ ليست أداوت بلاغية بسيطة وسطحية هدفها إضفاء بعدٍ جمالي على الكلام، بل هي سُبُلُ تفكيرٍ في الأشياء، والتفكير هو الذي يحكم الأفعال في نهاية المطاف، وهي منهج عقلي إقناعي يسهم في تغيير القيم والسلوك والأفكار.

٣. اتضح لي من خلال دراسة نظرية المزج التصوري أنها نظرية قادرة على دراسة الخطابات دراسةً عملية أفضل من النظريات الأخرى، فهي تسمح بإضافة الأبعاد المعرفيةِ والتصورات الثقافية في بناء المعنى، الأمر الذي يجعلها قادرة على تفسير كثير من الاستعارات، خاصة في بعدها التأثيري والإقناعي.

٤. توصَّلتُ من خلال التنقيب في المعاجم العربية أنها تحمل بذور نظرية عرفانية، ولا سيما بذور نظرية في الدلالة العرفانية؛ إذ انتبهتُ إلى أن المعاجم فيها آثار المعرفة الموسوعية المرتبطة بالتجربة الجسدية المتعلقة ببعض المفردات، كما يتضح ذلك في مادة (بنى)، التي وجدتُ دلالتي الحماية والمجد فيها. وهو أمر يحتاج مزيدا من الدراسة والتعمُّقِ.

٥. شَكَّلَ معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني نقطة انطلاق مضيئة للبحث في الاستعارات التصورية لأركان الإسلام، فقد أمدَّني بالمعاني الدقيقة لمفردات ألفاظ القرآن، وبالمعرفة الخلفية التي مكنتني من تأويل الاستعارات وتفسيرها بشكل كافٍ.

٦. أثبت تتبعي لجذور استعارات أركان الإسلام إلى أنها جميعا مشتقَّة من خطاطة صورة الحاوية. وتبيَّن لي أن هذه الاستعارات التصورية يمكن تقسيمها إلى قسمين: قسم خاصٌّ بالحماية وقسم خاص بالمغفرة. وكلاهما يعبِّرُ عن الاحتواء. إلا أن الحاوية في قسم استعارات الحماية هي الدين الإسلامي وأركانه، وفي

قسم المغفرة هي جسد المسلم. وفي هذا قمة الرحمة بالعبد، فهو محمي من الخارج ومن الداخل. وهو ما يشعر المسلم بطمأنينة كبيرة ويجعله يتمسك بهذا الدين.

٧. توصلتُ إلى أن تصور الدين الإسلامي بأنَّه بناية يتخلل أركان الإسلام الخمسة، فهذا التصور قد أسهم بشكل حاسم في القبول الواسع للدين الإسلامي لدى الإنسان العربي، فهو كان في حاجة إلى 'بِنَايَةٍ' تؤويه وتحميه من مخاطر الحياة التي كان يعيشها، وتساوي بينه وبين باقي أقرانه، لذلك نجد تصور الحماية والاحتواء قد ورد في أركان الإسلام بأكملها.

٨. انتهى البحثُ إلى أن تصور الغسل أو الطهارة عنصر مؤسس لأركان الإسلام الخمسة، وهذا يشير إلى تصور الماء في العقل الإسلامي وارتباطه بالذهنية العربية ما قبل الإسلام. فالماء عنصر حيوي في الحياة، وهو وسيلة للتطهر والنظافة لذا وَظَّفَهُ الدينُ الإسلامي لجعل المسلمين يفكرون في أركان الإسلام بكونها غسلا للذنوب التي ارتكبوها في حياتهم.

٩. توصلتُ أيضًا إلى أن الخبرة الجسدية كانت عاملا حاسما في تصور أركان الإسلام، وهو ما يؤكد ارتباط تصوراتنا الذهنية بخبراتنا الجسدية، كما وضحتُ ذلك أثناء تحليل كُلِّ رُكْنٍ من أركان الإسلام الخمسة، فدلالات الحماية المأخوذة من الاحتواء خبرة بشرية يومية.

١٠. أثبتَ البحث أن أركان الإسلام الخمسة تعبر عن الجوانب الدينية الروحية من إله مقدس هو (الله) وزمان مقدس وهو (رمضان)، وفضاء مقدس وهو (البيت الحرام)، إضافة إلى الجانبين الاقتصادي في (الزكاة)، والاجتماعي في (دار الإسلام).

١١. أثبت التحليل العرفاني أيضًا إلى أن الأحاديث النبوية أدت دورًا حاسما في بناء التصورات الدينية بشأن أركان الإسلام. وأنها جاءت لتعضد ما ورد في القرآن الكريم وتوضحه من خلال الاستعارة التصورية،

وهو ما يدل على دورها المركزي في الدين الإسلامي، خاصة فيما يتعلق ببناء التصورات الدينية الجديدة.

١٢. إنَّ استعارات أركان الإسلام التي قمت بتحليلها تنتمي إلى نوع الاستعارة الأنطولوجية؛ نظرًا لكون الاستعارات الأنطولوجية قائمة على معرفة بشرية يعيشها الإنسان في حياته اليومية، كما أنَّ لها وظائف تفسيرية تُسَهِّلُ من استيعاب المجالات المجرَّدة.

ثانيًا: التوصيات:

١. الاهتمام باللسانيات عمومًا، وباللسانيات العرفانية على وجه الخصوص، فهي تتيح لنا أن نفهم ثقافتنا وأنفسنا انطلاقًا من اللغة، التي هي انعكاس لتصوراتنا حول العالم المحيط بنا.

٢. إدخال علوم المنطق والفكر والفلسفة لمناهج الجامعة، فهي منبع من منابع الإبداع خصوصًا للباحثين في مجال العلوم الإنسانية.

٣. الاهتمام بالاستعارات التصورية ودراستها في مختلف الخطابات الأدبية والعلمية والسياسية والرياضية، إلخ، فهذه الاستعارات تعمل على توجيه سلوكنا ورؤيتا للعالم المحيط بنا.

٤. تكريس الترجمة لخدمة اللسانيات عامة واللسانيات العرفانية على وجه الخصوص، بما فيها من مقدمات ودراسات وتطبيقات تغني الباحث وتجعل الجامعات السعودية عامة وجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن خاصة رائدة في هذا المجال.

٥. الاهتمام بالمعرفة الموسوعية المرتبطة بالكلمات العربية والمتناثرة في المعاجم العربية، ففي هذا تأصيل لجهود القدماء في الاهتمام بدور الجسد في المعرفة، ونواةٌ لتأسيس نظرية عرفانية في الدلالة العربية.

لائحة المصادر والمراجع

لائحة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

١. القرآن الكريم

٢. البخاري، مُحَمَّد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: مُحَمَّد زهير، الناشر: دار طوق النجاة، ط: ١، ١٤٢٢هـ.

٣. النيسابوري، مسلم بن حجاج، صحيح مسلم، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ط:١، ١٩٩١.

٤. الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: مصطفى العدوي، حقق نصوصه: أحمد الدمياطي، فياض للتجارة والتوزيع، المنصورة/ مصر. ط. الأولى، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

ثانيًا: المراجع العربية:

١. امرؤ القيس، ديوان امرؤ القيس، شرح عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفية، بيروت–لبنان، ط. ٢، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٢. الأصبهاني، أبو الشيخ، التوبيخ والتنبيه، تحقيق: حسن بن أمين، مكتبة التوعية الإسلامية، ط: ١، ١٤٠٨.

٣. أمين، أحمد، فجر الإسلام: بحث في الحياة العقلية في صدر الإسلام إلى آخر الدولة الأموية، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان، ط.١٠، ١٩٦٩م.

٤. إيفانز، فيفيان وملاني غرين، ترجمة أحمد الشيمي، ما هو علم اللغة الإدراكي؟ مجلة فصول، العدد ١٠٠، ٢٠١٧.

٥. إيفانز، فيفيان وملاني غرين، ترجمة عبده العزيزي، طبيعة اللسانيات الإدراكية، مجلة فصول، العدد ١٠٠، ٢٠١٧.

٦. الباتلي، أحمد بن عبد الله، المعاجم اللغوية وطرق ترتيبها، دار الراية، الرياض، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٧. بكار، سعيد، التحليل النقدي الجديد للاستعارة، مجلة الخطاب العدد ٢٣، ٢٠١٦.

٨. البخاري، مُحَمَّد بن إسماعيل، الأدب المفرد، حققه: سمير الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط: ١، ١٩٩٨.

٩. البهنسي، مُحَمَّد عبد العزيز، المنطق المفيد، المكتبة الأزهرية، مصر، ط.١، ١٩٩٨م.

١٠. بوتكلاي، لحسن، الاستعارة في الخطاب السياسي، ضمن قراءات في الخطاب السياسي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر/أكادير، ٢٠١٦.

١١. البوعمراني، مُحَمَّد الصالح، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، مكتبة علاء الدين، صفاقس، ٢٠٠٩م.

١٢. البياتي، سناء حميد، قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، دار وائل للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الأولى: ٢٠٠٣.

١٣. البيدري، فتيحة بنت السيد أحمد، الدلالة اللغوية لألفاظ القرآن الكريم في ضوء الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، إشراف الدكتور عبد مُحَمَّد الطيب والدكتورة نوال بنت إبراهيم الحلوة، ج. ٢، ١٤٢٢هـ.

١٤. البيهقي، أحمد بن حسين الخراساني، شعب الإيمان، تحقيق: مختار الندوي، مكتبة الرشد، الرياض، الدار السلفية، الهند، ط: الأولى: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

١٥. الترمذي، مُحَمَّد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد شاكر، مُحَمَّد عبد الباقي، إبراهيم عطوة، شركة ومطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ط: الثانية: ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

١٦. [ابن] تيمية، تقي الدين، شرح العمدة في بيان مناسك الحج والعمرة، كتاب الحج، تحقيق: صالح الحسن، مكتبة الحرمين–الرياض، ط. ١، ١٤٠٩هـ.

١٧. [أبو] داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومُحَمَّد كامل، دار الرسالة العالمية في دمشق وبيروت، ط١، ١٤٣٠.

١٨. دحماني، زكية السائح، الأسمائية في اللسانيات الحديثة بين النظرية والتطبيق، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة–تونس، ط: الأولى، ٢٠١٤.

١٩. الجارم، مُحَمَّد نعمان، أديان العرب في الجاهلية، مطبعة السعادة، مصر، ط. ١، ١٣٤١هـ، ١٩٢٣م.

٢٠. الحباشة، صابر، مقدمات لدراسة الاشتراك الدلالي بين العرفان والتداول، مجلة الخطاب، العدد ١٤، ٢٠١٣.

٢١. الحراصي، عبد الله، دراسات في الاستعارة المفهومية، منشورات مؤسسة عمان للصحافة والأنباء والنشر والإعلان ٢٠٠٢م.

٢٢. الحطيئة، ديوانه، برواية وشرح ابن السكيت، دراسة وتبويب مفيد مُحَمَّد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط.١، ١٤١٣هـ–١٩٩٣م.

٢٣. الحلوة، نوال بنت إبراهيم بن مُحَمَّد، في اللسانيات العرفانية: مقاربة في الاستعارة المفهومية: 'ظاهرة التجسد والتشخيص في حقل المكان نموذجا'، مجلة صحيفة الألسن بالقاهرة، العدد ٣٩، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٣م.

٢٤. حيدر، فريد عوض، علم الدلالة دراسة نظرية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط.١، ٢٠٠٥م.

٢٥. خليفة، حاجي، كشف الظنون عن أسامي الأدب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد، تاريخ النشر: ١٩٤١.

٢٦. الذهبي، شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٢٧. الزركلي، خير الدين، الأعلام: قاموس تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب والمتعربين والمستشرقين، تحقيق افتخار دنينير، دار العلم للملايين، بيروت–لبنان، ط.١٤، ١٩٩٩م.

٢٨. الزناد، الأزهر، نظريات لسانية عرفنية، الدار العربية للعلوم ناشرون ودار مُحَمَّد علي للنشر ومنشورات الاختلاف، ٢٠١٠.

٢٩. سليم، عبد الإله، بنيات المشابهة في اللغة العربية: مقاربة معرفية، دار توبقال للنشر، المغرب، ٢٠٠١م.

٣٠. السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق عبد الرحمن فهمي الزواوي، دار الغد الجديد، القاهرة، ط.١، ٢٠٠٦م.

٣١. السيوطي، جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط.١، ٢٠٠٤م.

٣٢. الشملان، نورة، أبو ذؤيب الهذلي: حياته وشعره، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠.

٣٣. الشنقيطي، أحمد أمين، شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، تحقيق مُحَمَّد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت–لبنان، ١٤٢٦.

٣٤. عبد الجليل، عبد القادر، المعجم الرصفي لمباحث علم الدلالة، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠٠٦.

٣٥. الصفدي، صلاح الدين، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، لبنان، بيروت، ٢٠٠٠م.

٣٦. ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط.١، ١٩٩٥.

٣٧. الطبري، أبو جعفر مُحَمَّد بن جرير، تفسير الطبري، المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ط: الأولى: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٣٨. طقوش، مُحَمَّد سهيل، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النفائس، بيروت-لبنان، ط. ١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٣٩. [ابن] ظافر الأزدي، بدائع البدائه، دار الكتب العملية، بيروت-بنان، ٢٠٠٧م، ١٤٢٨هـ.

٤٠. عبد الوهاب، مُحَمَّد، شرح شروط الصلاة وأركانها وواجباتها لشيخ الإسلام، تحقيق عبد المحسن العباد، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط، ١، ١٤٢٥ هـ.

٤١. العثيمين، مُحَمَّد بن صالح، مجموع فتاوى ورسائل عثيمين، جمع وترتيب: فهد السليمان، دار الوطن – دار الثريا، ط: الأخيرة، ١٤١٣هـ.

٤٢. عطية، سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية، دار النشر: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط: ١، ٢٠١٤.

٤٣. عكاشة، محمود، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، دار النشر للجامعات، مصر، ط. ١، ٢٠٠٥م.

٤٤. العكبري، أبو البقاء، التبيان في شرح الديوان(٢٠١٠): تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأنباري، والحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، الجزء الثالث.

٤٥. غاليم، مُحَمَّد، التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٧م.

٤٦. غاليم، مُحَمَّد، نظرية المزج التصوري عند فوكونييه وتورنر، مقال غير منشور (زودني به الأستاذ مُحَمَّد غاليم إجابةً عن بعض التساؤلات حول العرفانية).

٤٧. الغزالي، أبو حامد، بلوغ الغاية من تهذيب بداية الهداية، تحقيق جمال الدين مغازي، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، ٢٠١٥.

٤٨. فاخوري، عادل، علم الدلالة عند العرب: دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة، دار طليعة، بيروت، ط: الأولى: ١٩٩٤.

٤٩. [أبو] القاسم سليمان بن أحمد الطبري، المعجم الكبير، مكتبة بن تيمية، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي.

٥٠. قطوس، بسام، المختصر في النحو والإملاء والترقيم، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، الإربد–الأردن، ط.١، ٢٠٠٠م.

٥١. كون، توماس، بنية الثورات العلمية، ترجمة شوقي جلال، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مجلة عالم المعرفة، ع. ١٦٨، ١٩٩٢م.

٥٢. لايكوف، جورج ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ٢٠٠٩م.

٥٣. لايكوف، جورج ومارك جونسون، الفلسفة في الجسد: الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار الجديد الكتاب المتحدة، بيروت–لبنان، ٢٠١٦.

٥٤. المباركفوري، أبو العلى مُحَمَّد عبد الرحمن، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، مراجعة عبد الوهاب عبد اللطيف، عشرة أجزاء، الجزء الثالث، دار الفكر، بيروت–لبنان، ط: ٢، ١٤٠٦.

٥٥. مختار، أحمد، معجم اللغة العربية المعاصر، عالم الكتب، ط:١، ٢٠٠٨.

٥٦. الموحى، عبد الرزاق رحيم صلال، العبادات في الأديان السماوية: اليهودية–المسيحية–الإسلام، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، ط.١، ٢٠٠١م.

٥٧. موقو، عفاف، الدراسات المجازية في القرآن: مقاربة عرفانية لبلاغة النص القرآني، منشورات جامعة سوسة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠١٤م.

٥٨. نرليش، بريجيت وديفيد كلارك، اللسانيات الإدراكية وتاريخ اللسانيات، ترجمة حافظ إسماعيلي علوي، مجلة أنساق، العدد الأول، مايو، ٢٠١٧م.

٥٩. نصار، حسين، المعجم العربي: نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، مصر، ١٩٨٨.

٦٠. النووي، محيي الدين، المنهاج شرح النووي على صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٦١. وحيدي، مُحَمَّد، اللغة والمعرفة: قضايا البحث البيمعرفي: "مقاربة أولية لأنموذج العلاقة بين اللسانيات وعلم المعرفة"، مجلة فصول، العدد ١٠٠، ٢٠١٧.

ثالثًا: المراجع الأجنبية:

1. Charteriz-Blak, J., (2005).politicians and Rhetoric: The Persuasive Power of Metaphor.U.K. Palgrave Macmillan.
2. Evans, Vyvyan and Melanie Green: Cognitive Linguistics: An Introduction, Edinburgh University Press, Edinburgh, 2006.
3. Kovecses, Z.(2010) .Metaphor A Practical Introduction. Oxford University, Ed 2.

رابعًا: المواقع الإلكترونية:

1. https://bit.ly/2qhGG4W
2. https://bit.ly/2Sxzf6v
3. https://bit.ly/2SPq15Z
4. https://bit.ly/2SZ1Xxh
5. https://binbaz.org.sa/old/38753
6. https://bit.ly/2RJwUnO
7. https://bit.ly/2zIyfE8
8. https://bit.ly/2qFj7U0
9. https://bit.ly/2qFj7U0

قاموس المصطلحات

قاموس الـمـصـطـلحـات[١]

- **الآثار النمطية typicality effects**: هو مفهوم يرتبط بدرجة تمثيلية مقولة معينة للمقولات التي تندرج في إطارها. ويميز في هذا المفهوم بين المثال الأكثر تمثيلية للمقولة والمثال الأقل تمثيلية لها. ونأخذ على سبيل المثال مقولة الطائر، فمثال طائر أبي حناء يمثل لمتحدثي اللغة الإنجليزية نموذجا مثاليا، بينما لا تشكل النعامة ذلك، وهي من ثم غير تمثيلية وغير نمطية. وتدعى هذه الأحكام التفاضلية التي تنتج انطلاقا من التمثيلية بالآثار النمطية
- **إتمام completion**: يعدُّ الإتمام مفهوما أساسيا في نظرية المزج. فعند عملية مزج فضاءي الدخل عن طريق عملية التأليف، تأتي عملية الإتمام لإغناء عملية الفهم وبناء المعنى من خلال استحضار الأطر الخلفية المرتبطة بفضاءي الدخل، بالإضافة إلى خطاطة الاستدلال. ففي استعارة هذا الجراح جزار تزودنا عملية الإتمام بإطاري الجراحة والجزارة وما يقتضيانه من خبرة ومهارة في العمل، كما تدفعنا إلى استنتاج أن استعمال أدوات الجزارة في الجراحة أمر سلبي قد تنتج عنه أضرار للمريض.
- **إخفاءٌ وإبرازٌ hiding and highlighting**: يشير هذان المصطلحان، في نظرية الاستعارة التصورية، إلى أن عملية الإسقاط الاستعاري هي عملية انتقائية، تسقط فيها عناصر من مجال تصوري معين على مجال تصوري آخر، بينما تهمل بعض العناصر أو تخفى. فقولنا الأم مدرسة، تبرز هذه الاستعارة جوانب التربية والأخلاق، لكنها تخفي في الآن نفسه تراتبية المدرسة ومكوناتها من أقسام وحصص إلخ.

---

(١) أشير إلى أنني اعتمدت في تعريف هذه المصطلحات على معجم اللسانيات العرفانية "Green: Melanie and Vyvyan Evans, Edinburgh, Press, University Edinburgh Introduction, An Linguistics: Cognitive ٢٠٠٦."، ثم رأيت أن تلك التعاريف دقيقة ومختصرة للغاية، فاعتمدت على فهمي الخاص للموضوع بناء على قراءاتي، وقمت بصياغة تعريفات للمصطلحات بأسلوبي الخاص معززةً ذلك بأمثلة من الكلام العربي شعرا ومثلا وحديثا مألوفا، كما تم هنا تكرار تعريف بعض المصطلحات الواردة في متن الرسالة لاكتمال الفائدة.

- **استعارة إبداعية creative metaphor**: تعتبر الاستعارة إبداعية حينما تبتكر طرق جديدة في تناول موضوع معين. وقد حدد اللسانيون العرفانيون مجموعة من الطرق لإنتاج استعارات إبداعية، منها: توسيع الاستعارات والتشكيك فيها وتحسينها ودمجها. ومن أمثلة ذلك، النظر إلى الموت على أنه حيوان كاسر مفترس **كما في شعر أبي ذؤيب الهذلي**:

وإذا المنيــة أنشــبت أظفارهــا ألفيــت كــل تميمــة لا تنفــع

مع الإشارة إلى أن الاستعارة الإبداعية تفقد وهجها فتصبح عادية حينما تتداول بكثرة.

- **استعارة اتجاهية metaphor orientational**: يرى لايكوف وجونسون أن الاستعارات الاتجاهية لا تُبَنْيِنُ تصورا عن طريق تصور آخر، بل تعمل خلاف ذلك، على تنظيم نسقٍ كامل من التصورات المتعالقة، ويرى الباحثان أن هذه الاستعارة ترتبط بالاتجاه الفضائي: عال–مستَفِل، داخل–خارج، أمام–وراء، فوق–تحت، عميق–سطحي، مركزي–هامشي[١]. وهدفها جعل مجموعة من المفاهيمِ الهدفِ منسجمة في نظامنا التصوري، والمقصود بالانسجام هنا أن بعض مفاهيم الهدف تتصور بطريقة موحدة؛ كأن تتصور باتجاه الأعلى أو الأسفل. ويمكن التمثيل لهذه الاستعارة **بالأمثلة التالية**:

- إنني في قمة السعادة.
- لقد رفع من معنوياتي.
- سقطت معنوياتي.
- التفكير فيها يرميني في هاوية[٢].

(١) **ينظر**: جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، (٢٠٠٩): ٣٣.

(٢) **ينظر**: المرجع السابق:٣٤.

إن هذه التعابير الاستعارية تتصور السعادة فوق والشقاء تحت.

- **استعارة أنطولوجية ontological metaphor**: هذه الاستعارةُ تمكن المتكلمين من تصور تجاربهم من خلال الأشياء والمواد والأوعية بصفة عامة، بدون تخصيص نوع الشيء أو المادة أو الوعاء[١]. ويشير كوفيتش إلى أنها تقدم بنية عرفانية للمفاهيم الهدف أقل مما تقدمه الاستعارات البنيوية. غير أن المهمة الأساسية من الناحية العرفانية لهذه الاستعارة هي تحديد المكانة الأساسية للعديد من تجاربنا انطلاقًا من المواد وما شابه ذلك. وأنواع التجارب التي يتطلبها هذا الأمر هي تلك التي لا تكون موصوفة على نحو واضح أو ملتبسة أو مجردة. **ولننظر في الأمثلة التالية:**
  - يجب الخروج من الأزمة.
  - لديه عقل كبير.
  - إنها لعبة تتطلب الكثير من الركض.

فالأزمة متصوَّرة هنا بأنها حاوية. والعقل متصور على أنه شيء، والنشاط الرياضي متصوَّرٌ بأنه مادة (الركض). ونلاحظ أننا قمنا، من خلال هذه الاستعارة، بالإشارة إلى مظهر من تجربة الأزمة (الخروج) وبإضفاء بُعْدٍ كمي على العقل (كبير)، وتحديد مظهرا من مظاهر رياضة معينة (الركض). وتجدر الإشارة إلى أن لايكوف وجونسون يعتبران التشخيص شكلا من أشكال الاستعارة الأنطولوجية.

- **استعارة بنيوية metaphor structural**: عرف لايكوف وجونسون هذه الاستعارة بأنها تُبَنْيِنُ تصور استعاريا ما بوساطة تصور آخر[٢]. وبعبارة أخرى تمكِّنُ هذه الاستعارات المتكلمين من فهم

(١) **ينظر**: لحسن بوتكلاي ، الاستعارة في الخطاب السياسي، (٢٠١٦): ٥٠٧، ضمن قراءات في الخطاب السياسي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير.

(٢) جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، (٢٠٠٩): ٣٣.

الهدف (أ) عبر فهم المصدر (ب). فعلى سبيل المثال مفهوم الزمن يُبَنْيَنُ انطلاقًا من الحركة والمكان. وهو ما يتضح في الأمثلة التالية:

- ﴿قَالُوا مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ﴾ (الجاثية/٢٤).
- مرَّ زمن طويل لم أرك فيه.
- في السنة الماضية، حققنا نجاحا باهرا، ونترقب أن نصل إلى مزيد من الناجح هذه السنة.

فالأمثلة أعلاه توضح أننا نفهم الزمن انطلاقًا من مجموعة من الإسقاطات، وهي: الأزمنة أشياء (الدهر فاعلٌ)، ومرور الزمن حركة (الزمن يمرُّ)، وأن الأزمنة المستقبلية تقع أمامنا بينما الأزمة الماضية تقع خلفنا (الزمن الماضي يقع خلفنا، والزمن المستقبلي يقع أمامنا).

- **استعارة الصورة image metaphor**: هي نوع من أنواع الاستعارات التي يكون فيها المجالان متشابهين من حيث الصورة. فقول الشاعر:

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر وشرفتان راح ينأى عنهما القمر

يجسِّدُ هذا النوع من الاستعارة التي تكثر في الشعر. فهناك شبه واضح بين عيني الفتاة وغابة النخيل في السحر، أو الشرفتان اللتان يبتعد عنهما القمر.

- **إسقاط استعاري metaphorical projection**: يعدُّ الإسقاط الاستعاري من طرق الفهم البشري مثلهُ في ذلك مثل خطاطة الصورة. فالبشر يفهمون عالمهم انطلاقًا من إسقاطات استعارية بين مجالين: أحدهما مجرد (الهدف) وآخر ملموس (المصدر). وعن طريق هذا الإسقاط يفهمون المجال المجرد انطلاقًا من المجال الملموس. وتحكم الإسقاط الاستعاري تناسبات بين عناصر كل مجال، كما يكون انتقائيا يبرز عناصر ويخفي أخرى.

- **إطار Frame**: هو مصطلح اقترحه فيلمور للتعبير عن بنية منظمة من المعارف التي يوظفها المتكلمون في إنتاج الكلام وفهمه (انظر بنية تصورية).
- **بلورة elaboration**: هي العملية الثالثة من عمليات تشكيل البنية البارزة في نظرية المزج؛ فبعد التأليف والإتمام تأتي البلورة لتشغل المزج. وذلك نحو مزج وظيفة الجزارة بوظيفة الجراحة أو أدوات الجزارة بأدوات الجراحة.
- **بنية بارزة emergent structure**: عند إجراء عمليات المزج، تنتج بنية بارزة عبارة عن استدلال معين ناتج من الجمع بين فضاءين اثنين. هذا الاستدلال غير ناتج عن العناصر المكونة للفضاءين، بل هو محصَّل المزج بين تلك العناصر. ومن ثم الوصول إلى استدلال أن الجراح سيء، إنما هو ناتج عن عملية مزج بين فضاءي الجراح والجزار.
- **بنية تصورية conceptual structure**: يرتبط هذا المصطلح بطريقة تنظيم التصورات في الذهن البشري. وقد قدم اللسانيون العرفانيون أسماء عديدة للتعبير عن البنية التصورية، من قبيل: الإطار، أو النموذج العرفاني المؤمثل، وهذه التسميات ببساطة تعكس تصورات ذهنية ثابتة نسبيا يستعملها الناس في إنتاج الكلام وفهمه. وهكذا، فقولنا 'فلان ثعلبٌ'، يفهم انطلاقًا من الاستناد إلى إطار الثعلب، وما يتميز به من صفات أسقطها العربي على الإنسان، وخاصة صفة المكر.
- **البنية الدلالية semantic structure**: شكل تأخذه البنية التصورية لأغراض التشفير والإظهار بواسطة اللغة. تتضمن البنية الدلالية وحدات دلالية ترتبط بطريقة تقليدية بأشكال لغوية. ويشار إلى وحدة البنية الدلالية أحيانا بمفهوم معجمي

- **تأليف composition**: التأليف أولى عملية المزج المؤدية إلى البنية البارزة. وتتضمن هذه العملية صهر فضاءي الدخل والتأليف فيما بينهما من خلال مجموعة من التناسبات؛ وهكذا في استعارة هذا الجراح جزار يأخذ الجراح دور الجزار، ويأخذ المبضع دور الساطور، إلخ.
- **تصوُّرُ concept**: يميز في اللسانيات بين الدال والمدلول، فالدال هو الصورة السمعية للكلمة، نحو قولنا 'شجرة' (مفردة معجمية)، والمدلول هو التصور الذهني للكلمة؛ فكلمة شجرة مدلولها هو جذع وأغصان وأوراق وظل وثمار، إلخ. يبدو من هذا التمييز أن المفهوم أكثر غنى من المفردة المعجمية، لا سيما أن المفهوم قد يحمل معارف ثقافية ترتبط بالقداسة والخوف وغير ذلك مما هو ثقافي.
- **الجشطالت gestalt**: وحدة منظمة، وتصور مركزي في الحركة المعروفة باسم علم النفس الجشطالتي، الذي يرى أن الكل هو أكثر من مجموع أجزائه المكونة له.
- **خطاطة الاستقراء schema induction**: إن خطاطة الاستقراء هي ما يحفز بناء الفضاءات الذهنية، فقولنا 'فلان يمتطي أحلامه'، تحفز كلمة 'يمتطي' إطارَ امتطاء حيوان كالفرس مثلا، وهو ما يسمح بإسقاط بنية تصورية لامتطاء الحيوان على الأحلام وصاحبها.
- **خطاطة الصورة image schema**: تنتظم التصورات البشرية في شكل خطاطات صورة، وهي تمثيلات تصورية ناتجة عن تفاعلنا اليومي مع العالم المحيط بنا. وذلك نحو سفرنا من مدينة إلى أخرى وتوقفنا في محطة أو أكثر من محطة. إن هذه التجربة التي يعيشها البشر تجعله يكون تصورا ذهنيا عن كون الحياة قائمة على سفر من نقطة انطلاق إلى نقطة وصول. ويسمي مارك جونسون هذا التصور الذهني بخطاطة الصورة. ويرى أن هذه الخطاطات تعدُّ المصدر الخام للاستعارات، كما تعتبر من سُبُل الفهم. وترتبط هذه الخطاطة باستعارة الحياة رحلة، وهي شائعة الاستعمال في اللغة اليومية للبشر.

- **شروط الصدق truth conditions**: تعكس هذه الشروط طريقة تصنيف المقولات في النظرية التقليدية. نحو اعتبارنا مقولة الطائر كل حيوان له ريش ومنقار ويبيضُ. وليس من الضروري أن يكون قادرا على الطيران. وهنا تدرج في هذه المقولة النعامة والدجاج، إلخ.
- **صياغة تصوُّرية conceptualisation**: هي عملية بناء المعنى عن طريق الانتقال من المعنى المعجمي لمفردة إلى المعنى الموسوعي المرتبط بها. كالانتقال من الخيمة إلى الدلالات المرتبطة بها كالرفعة في قولنا فلان رفيع العماد. أو للدلالة على البداوة أو غير ذلك.
- **فضاء عام generic space**: هو فضاء أساسي في نظرية المزج؛ إذ يقدم المعلومات التي تكون مشتركة بين فضاءي الدخل وبين العناصر في الفضاء العام. وتعبّر عناصر الفضاء العام عن أدوار دلالية معينة كالمنفذ والمستفيد والوسيلة والهدف، إلخ.
- **فضاء ممزوج blended space**: يرتبط الفضاء الممزوج بنظرية المزج (انظر أسفله). وهو الفضاء الذي تمزج فيه عناصر فضاءي الدخل. ونشير إلى أن هذا الفضاء لا تسقط فيه كل عناصر الفضاءين، فالإسقاط يكون انتقائيا، هناك عناصر تسقط وعناصر تهمل (انظر مثلا الفضاء الممزوج لاستعارة هذا الجراح جزار). ويؤدي هذا الفضاء إلى بنية بارزة جديدة هي محصل التفاعل بين فضاءي الدخل.
- **فضاءا الدخل input spaces**: تقوم نظرية المزج على مجموعة من الفضاءات الذهنية، ومن أهم هذه الفضاءات فضاءا الدخل، وهما يوازيان في نظرية الاستعارة التصورية المجالين التصوريين المصدر والهدف. يتكون فضاءا الدخل من عناصر تتحكم فيها البنية العامة، وتسهر فيما بينها أثناء التأليف والإتمام مؤدية بعد عملية البلورة إلى ظهور بنية بارزة جديدة. وبعبارة مختصرة، فضاءا الدخل هما إطاران تصوريان لمفردة معينة، نحو إطار الصلاة، الذي يضم المصليين وطقوس الصلاة وغاياتها، إلخ.

- **الفونولوجيا phonology**: فرع من فروع اللسانيات يهتم بالنظام الصوتي للغة خاصة أو اللغة بصفة عامة. وهو مختلف عن الصوتيات، ففي معظم النظريات الفونولوجية/الصواتية قبل ١٩٦٠ كان الفونيم هو المفهوم التحليلي المركزي، وبطريقة ما وجدت نسخ مختلفة من نظرية الفونيم في غلوسيمانتيكس ومدرسة براغ خلال الستينيات من القرن العشرين. التي وجدت أن الفونيمات يمكن أن تفكك إلى حزمة من السمات المميزة وقدمت تصور الشكل الضمني المجرد المعالم انطلاقا من الفونيمات النسقية والمرتبطة بالأشكال الصوتية السطحية بواسطة نظام معقد من القواعد الفونولوجية. وسعان ما أثبتت الفونولوجيا التوليدية أنها حرة واتبعت مجموعة من النظريات المصممة لتقييد بعض مظاهر النظرية
- **كناية metonymy**: تعدُّ الكناية التصورية نظرية من نظريات الدلالة العرفانية. وتختلف عن الاستعارة في كون الاستعارة يُفْهَمُ فيها مجالٌ تصوري انطلاقًا من مجال تصوري آخر كفهم الحياة انطلاقًا من الرحلة. أما الكناية فتمثل فيها وحدَةٌ معينة انطلاقًا من وحدَةٍ أخرى، كدلالة البيت الأبيض على رئيس معين، كما في قولنا: 'رفض البيت الأبيض التعليق على الحادث'. ومن نماذج الكناية، نجد: "المُنْتِج بدل المُنْتُوج" (اشتريت ستروين جديدة)، فالمقصود سيارة ستروين. والمكانُ للحدث (يخاف الرأي العام الأمريكي من فيتنام جديدة)، فالمقصود حادثة هزيمة أمريكا في الفيتنام. والمكان للمؤسسة (رفض شارع داونين التعليق)، فالمقصود هو المؤسسة الواقعة في داونين، إلخ.
- **لسانيات عرفانية cognitive linguistics**: هي فرع من فروع اللسانيات أعاد الاعتبار لدور الجسد في عملية الفهم وسيرورة التفكير البشريين. تقوم هذه اللسانيات على دراسات تجريبية تبرز دور البنيات التخييلية كالإسقاطات الاستعارية وخطاطة الصورة في كيفية إدراكنا للعالم المحيط بنا. وهي من

ثم معنيَّة بالأساس بدراسة ارتباط اللغة بالذهن. وقد برزت أول الأمر من أعمال في علم النفس المعرفي مع إلينور روش وزملائها، وأعمال جاكندوف وفيلمور في الدلالة، ثم تبلورت مدرسة قائمة الذات في سنة ١٩٨٧، بعد صدور ثلاثة كتب مؤسسة هي كتاب جورج لايكوف: النساء، والنار، وأشياء خطيرة Women, Fire and Dangerous Things، وكتاب مارك جونسون: الجسد في الذهن The Body in the Mind، وكتاب رولاند لانكاكر أسس النحو العرفاني Foundations of Cognitive Grammar.

- **المستوى القاعدي Basic Level**: وفقا لنظرية الطراز يعدُّ المستوى القاعدي مستوى تَشَكُّلِ المقولة الذي يمكن أن يعتبر مثاليا optimal للبشر انطلاقا من مبدأ الاقتصاد العرفاني. ويقدم هذا المستوى من المِقْوَلَةِ مستوى المعلومات في مستوى أوسط من التفصيل، أي بين المستويين الأكثر تضمنا والأقل تضمنا: المستوى العلوي والتابع. يرتبط المستوى القاعدي بمقولات مثل: سيارة وكلب وكرسي. ويرتبط المستوى العلوي (الأكثر تضمنا) بمقولات مثل: المركبة والحيوان والأثاث. أما المستوى التابع (الأقل تضمنا) فيرتبط بمقولات من قبيل: سيارة رياضية وكلب رَعْيٍ، وكرسي هزاز. وقد ادعت ألينور روش أن المقولات المشَكَّلَة في المستوى القاعدي تميل إلى البروز أولا في اكتساب اللغة وبصورة متطورة، فالمقولات في هذا المستوى من السهل إدراكها وتحديدها
- **المفهمة conceptualisation**: هي عملية بناء المعنى الذي تسهم فيه اللغة، وذلك بتقديم نَفَاذٍ إلى معرفة موسوعية غنية وبتحفيز عمليات معقدة من الدمج التصوري. وتعتبر اللسانيات العرفانية أن الوحدات من قبيل الكلمات لا تحمل معنى/معان بل تسهم في عمليات بناء المعنى التي تحدث في المستوى التصوري.

- **المَقْوَلَةُ categorisation**: عملية دينامية تعملُ فيها الوحدات اللغوية كَمُحَفِّزَاتٍ لِتَشْكِيلَةٍ من العمليات التصورية، التي تُوَظِّفُ المعرفة الخلفية.
- **المورفولوجيا morphology**: دراسة بنية الكلمات والمقولات النحوية المتحققة بوساطة المورفات morphs، مثلا: كلمة worker تتكون من الجذع work واللاحقة er الدالة على الفاعل.
- **الميتالغة** أو اللغة الواصفة **metalanguage**: وهي اللغة المستعملة في الحديث عن اللغة أو وصفها بصفة عامة أو بصفة خاصة.
- **نحو توليدي/لسانيات توليدية generative grammar/generative linguistics**: هو كل نحو يتكون من مجموعة من القواعد الشكلية والصريحة بشكل كامل، ويسعى إلى توليد كل الجمل في لغة معينة.
- **النحو الذهني mental grammar**: معرفة لغوية ممثلة في ذهن المتكلم عبارة عن ابتكار للوحدات الرمزية
- **نظائر counterparts**: يتكون فضاءا الدخل في نظرية المزج من عناصر تحكمها البنية العامة التي تسند وظائف معينة لكل عنصر، كالفاعل أو المستفيد أو الوسيلة أو الهدف، إلخ. كل وظيفة في فصاء دخل تجد لها نظيرا في فضاء دخل آخر، كالمبضع والساطور بوصفها نظيرين من حيث وظيفة الأداة.
- **نظرية الاستعارة التصورية conceptual metaphor theory**: هي نظرية طوَّرها جورج لايكوف ومارك جونسون في كتابهما الاستعارات التي نحيا بها. وتقوم هذه النظرية على مسلمة أساسية مفادها أن الاستعارة ليست ذات وظيفة تزيينية فقط، بل هي ذات وظيفية مركزية في التفكير.

فنحن نفكر عن طريق الاستعارات. ويحدث ذلك من خلال إسقاطات بين مجالين تصوريين. ولو أخذنا كمثال استعارة الدين بناية، لوجدنا أننا نفكر في الدين انطلاقًا من البناية. وأن هذا التفكير ليس مجرد فعل بلاغي غايته الإقناع، بل هو يدد طريقة تفكيرنا في الدين من خلال إسقاط بنية البناية عليه، أي الجدران والسقف والباب والمفتاح والغرف، إلخ. وما يرتبط بذلك من دلالات الحماية والملكية والاستقلال، إلخ.

- **نظرية المزج blending theory**: هي نظرية طورها جيل فوكونيي ومارك تيرنر. تقوم هذه النظرية على فكرة مفادها أن البشر يفهمون الأشياء من خلال قيامهم بعمليات مزج بين فضاءات ذهنية. ويشير مثال استعارة 'هذا الجراح جزار' بشكل واضح إلى ذلك، فالإنسان يفهم أن المقصود بهذه الاستعارة هو أن الجراح لا يتقن عمله. لكن هذه النتيجة لا يصل إليها الناس بسهولة، فهناك عملية مزج بين فضاء الجراح والجزار، ودمج للفضاءين وإسقاط لعناصر وإبقاء على أخرى، واستدلال نهائي بأن الجراح يستعمل أدوات الجزار في عمله، ومن ثمَّ يؤدي عمله إلى نتائج لا تحمد عقباها.
- **نظرية الطراز prototype theory**: نظرية للمقولة البشرية التي وصفتها إلينور روش من أجل تفسير النتائج التجريبية التي استكشفتها هي وزملاءها خلال سبعينيات القرن العشرين. ترى نظرية الطراز أن هناك مبدأين يقودان تشكيل المقولات في الذهن البشري: مبدأ الاقتصاد العرفاني، ومبدأ بنية العالم المدركة. وأن هذين المبدأين يؤديان إلى نظام مقولة بشري. يعني المبدأ الأول أن البشر يحاولون الحصول على المعلومات من بعضهم بعضا بأقل مجهود عرفاني ممكن، وبأقل الموارد. بينما يعني المبدأ الثاني أن العالم المحيط بنا ذو بنية تعالقية كارتباط الأجنحة بالريش والقدرة على الطيران

- نموذج عرفاني **cognitive model**: مفهوم في الدلالة العرفانية يرى أن أي كلمة تشير إلى مفهوم ذهني يتكون من مجموعة من المعارف المتعلقة بهذا المفهوم. وهكذا فلفظ 'علِّيِّين' في القرآن الكريم يشير إلى مفهوم السعادة والفلاح اللذان يعبر عنها باتجاه فوقي. وهذا المفهوم يشمل معرفة منظمة حول كون كل ما يرتفع هو أمر جيد ويشير إلى السعادة. نحو قولنا: معنوياته مرتفعة. وهكذا، فالنموذج العرفاني هو معارف مرتبطة بمفهوم معين، تشير إلى جانب منه مفردة معجمية معينة.
- **النموذج العرفاني المؤمثل idealised cognitive model**: هو بنية نظرية طوَّرَهَا جورج لايكوف من أجل تفسير الآثار النمطية المستكشفة من قبل نظرية الطراز. والنموذج العرفاني المؤمثل هو تمثيل ذهني ثابت نسبيا يمثل "نظرية" حول بعض مظاهر العالم، التي يمكن للكلمات والوحدات اللغوية الأخرى أن تعتبرها متقاربة. في هذا الصدد، النموذج العرفاني المؤمثل شبيه بتصور الأطر، بما أن كلاهما يرتبط ببنيات معرفة معقدة نسبيا. مع ذلك، النموذج العرفاني المؤمثل غني ومفصل. وهو مؤمثل بسبب كونه مجردا عبر مجموعة من التجارب بدلا من تمثيل أمثلة مخصوصة من تجربة معينة. فعلى سبيل المثال، المفهوم المعجمي (أعزب) يفهم انطلاقا من نموذج عرفاني مؤمثل للزواج، الذي يتضمن معلومات خطاطية مرتبطة بسن الزواج وحفل الزفاف والمسؤولية المرتبطة بالزواج والمشاركين المنخرطين في الزواج والشروط التي ستحكم مكانتهم قبل وبعد حفل الزفاف. والمكان الذي سيحدث فيه الزواج، وما إلى ذلك. وفقا للايكوف النموذج العرفاني المؤمثل مثله مثل سيرورتي التفكير والمقولة الذهنيين يشكل مجموعات منسجمة من تمثيل المعرفة. وينظم انطلاقا من خطاطة الصورة والاستعارة والكناية. يوظف النموذج العرفاني المؤمثل كذلك في بنية الفضاءات الذهنية خلال بناء المعنى الآن قولي

- **نموذج مجمع cluster model**: يتكون النموذج المجمع من عدد من النماذج العرفانية المؤمثلة المتلاقية، التي تؤدي بصورة جماعية إلى مجمع معقد يشكل من ثم نموذجا واسع النطاق وثابتا، ويعتبر النموذج المجمع سيكولوجيا أكثر تعقيدا من النماذج العرفانية المؤمثلة الفردية التي تتكون منه. ووفقا لجورج لايكوف الذي طور تصور النماذج العرفانية المؤمثلة، فإن مقولة الأم هي مثال للنموذج المجمع، واقترح لايكوف أن النموذج المجمع الأم مصنوع من النماذج العرفانية المؤمثلة الآتية: نموذج الولادة والنموذج الأبوي، والنموذج المغذي، والنموذج الجينالوجي.